الإستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي

لغاية 23 هـ - 645 م

(دراسة تاريخية)



الاستطلاع ودوره في

التاريخ العربي الإسلامي

لغاية 23هـ - 645م

الاستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي

لغاية 23هـ-645م

(دراسة تاريخية)

الدكتور خالد محمد عباس الجبوري

(فريق ركن متقاعد)

الطبعـةالأولـى

1434هـ - 2013م



الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جــوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

3073/8/2012

المؤلف ومن في حكمه:

خالد محمد الجبوري

الناشر

الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

الاستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي لغاية 23هـ – 645م

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي شركة الأكاديميون للنشر والتوزيع .

ISBN :978-9957-449-10-0

الإهداء

إلى سيد الأنبياء والمرسلين . . . سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسـلم . .
.

إلى الذين يعملون الخير في سبيل اللـه تعالى. . .

إلى. . من سهرت عليَّ الليالي وغرست في نفسي حب الدراسة والمثابرة وحب عمل الخير . . . أمي تغمدها اللـه برحمته

الى . . الذي شمله قول الرسول صلى اللـه عليه وسلم «إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، او عمل ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» ... أبي رحمه اللـه

إلى أخوتي وأخواتي . . . أدباً واحتراماً

إلى زوجتي العزيزة وولديَّ . . . حباً ووفاءً

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للـه رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بـن عبـد اللـــه صلى اللـه عليه وسلم وعلى اله وصحبه الطاهرين. وبعد فإن الكتابـة في موضـوع الاستطلاع يعد من أكثر موضوعات البحث التاريخي شـغفا وحبـا لعقـول البـاحثين لاعتماده على التحليـل المنطقـي الـذي يقـود بـدوره إلى اسـتنتاجات تكـون أساسـا لقرارات صناع القرار وفي مختلف النواحي وقد قيل قديما أن المعرفـة المـسبقة هــي السبب الذي يمهد للقائد الحكيم سبيل دحر العدو.

خلق الإنسان وفي فطرته نزوع إلى معرفة المجهول وهذه من نعم الباري عز وجل على الانسان الذي خلقه في اكمـل وأحـسن صـورة ﴿ لَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْـسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْـوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:4]. وهـذا مـا جعـل الانـسان في حالـة متواصـلة مـن التفكير والتأمل والإبداع لكشف الاسرار التي تحيط به سعيا للحصول عـلى المعرفـة المسبقة التي هي تعنـي جمـع المعلومـات وبـشكل خـاص عـن طريـق الاسـتطلاع بوساطة العيون والطلائع والكمائن وغيرها من وسائل الاستطلاع المتاحـة وبحـسب الظرفين الزماني والمكاني.

وعلى مستوى الانسان العربي، فان تداول المعلومات عمليـة يمارسـها العـربي بحكم اوضاعه الاجتماعية وظروفه الاقتصادية والسياسية، وقـد بلغـت عنايتـه بهـا حدا من الاهمية ظهرت في اشعاره وأمثاله بما يؤكد اهتمام الانسان العـربي بمعرفـة تفاصيل الارض التي يعمل عليها وعُدَّ جهله بها بمثابة قتله وبالعكس عنـدما يكـون عارفا بها يكون قادرا على قهرها «قتلت ارض جاهلها وقتـل ارضـا عالمهـا». وعنـدما انبثق نور الاسلام تطورت قدرات العرب في مجـال الاسـتطلاع وظهـر ذلـك جليـا في المعارك التي قادها الرسول القائد صلى اللـه عليـه وسـلم والمعـارك التـي دارت في العهد الراشدي ولا سيما ضد الامبراطورية الفارسية والإمبراطوريـة البيزنطيـة وهـذا التطور في مجال الاستطلاع كان اساسه نابع من خلال الاحتكاك مع جيـوش الفـرس والروم.

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه محاولةً جادةً لإبراز جوانب الاستطلاع في التاريخ العربي الاسلامي وبشكل خاص حروب المـسلمين في العهـد النبـوي والعهـد الراشدي وبالتحديد منذ هجرة الرسـول الاكـرم صـلى اللــه عليـه وسـلم في العـام الاول لـلـهجرة وحتى العام الثالث والعشرين لـلـهجرة، وفي نطـاق جغـرافي يتحـدد بمنطقة الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر، باختيـار معـارك معينـة جـرى التركيز عليها لأهميتها التاريخية وبروز دور الاسـتطلاع فيهـا، وبمـا يـشكل ردا عـلى الادعاءات والتشكيك وتشويه الحقائق التي اعتاد عليها الكثير من الاجانب ولاسيَّما الغربيون منهم والذين صوروا هذه الحروب بأنها غزوات خالية من نواحي الابداع والفن الحربي المتطور. ناكرين ما جاءت به مدرسة الرسول القائد صلى اللــه عليـه وسلم وأصحابه الكرام من الذين بنوا ثم قادوا الجيوش العربيـة الإسـلامية وقهـروا أعظـم امبراطـوريتين كانـت سـائدة في ذلـك الوقـت مـن مبـادئ وقواعـد عـسكرية وإبـداعات أذهلـت القيـادات العـسكرية لتلـك الامبراطوريـات وأغنـت

الفن الحربي الانساني بزيادات مهمة، وهذا ما دعاني لاختيار هذا العنوان لأنني لم اجد من بحث هذا الموضوع بشكل علمي من قبل.

تم اعتماد المنهج الوصفي التاريخي لما يتطلبه تسلسل الاحداث والوقائع المختلفة واخذ عامل الزمن بنظر الاعتبار باعتماد اسلوب التحليل المنطقي للحدث بما يوصل إلى الحكم الصحيح على نتائجه في تلك الحقبة الزمنية. وبالمنهج التحليلي يمكن التوصل إلى ما يعنيه الحدث والوقوف على الابعاد المؤدية اليه والنتائج المتمخضة عنه. كما تم اعتماد المبدأ المحايد في بيان ما تحقق من النتائج الايجابية او السلبية للطرفين في المعارك دونما الانحياز العاطفي لأحد الجانبين في المعركة.

لقد توزعت الاطروحة على ثلاثة ابواب، وفي الباب الاول بحثت في مفهوم الاستطلاع وأهميته العامة ومواصفات عناصره، بثلاثة فصول، اما الفصل الأول فكان مخصصا للاستطلاع لغة واصطلاحا اذ تطرقت إلى بيان الاصل اللغوي لهذا المصطلح ومدلولاته ومنهجية استعماله مستندا ابتداءً على ما جاء بالقرآن الكريم من ايات بشأنه وآراء فقهاء الاسلام وعلماء اللغة والنحو وما تبع ذلك من شعر ونثر. ثم تناول البحث الاستطلاع اصطلاحا في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكري وتفرعاته المختلفة المستعملة في الوقت الحاضر.

وفي الفصل الثاني تم بحث الاهمية العامة للاستطلاع، وفي هذا الفصل جرى التطرق إلى المحاور المختلفة التي برز فيها دور الاستطلاع في العلوم الفقهية والأصول الفلسفية ثم بحثت الاكتشافات الجغرافية وموضوع الابحاث العلمية ثم بعد ذلك تم تناول اهمية الاستطلاع عسكريا وبشيء من التفصيل.

وأمـا الفـصل الثالـث فقـد خـصص لعنـاصر الاسـتطلاع والـشروط الواجـب توافرها بها، اذ بحثت مواصفات العيـون والطلائـع والكمنـاء والمواصـفات الخاصـة بالرسل، وكل هذه المصطلحات تحتاج إلى اشخاص ذوي مـؤهلات خاصـة ومحـددة ليكونوا لائقين للعمل في مجال الاستطلاع فـضلاً عـن وجـود شروط عامـة مـشتركة. وجرى التطرق إلى اسلوب التعامل مع هذه العناصر.

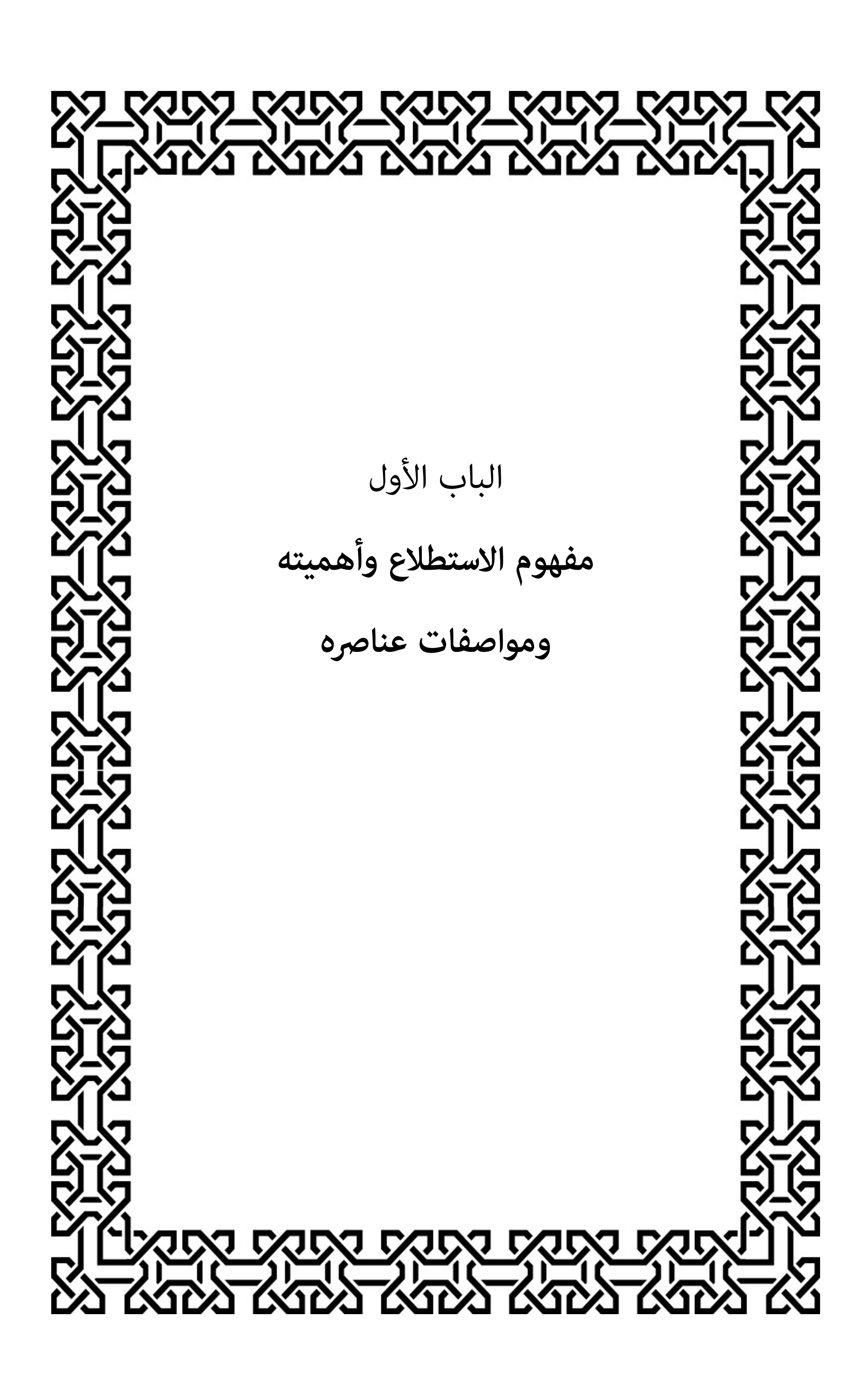
اما الباب الثـاني فقـد بحثـت فيـه مـسيرة الاسـتطلاع عـبر التـاريخ في ثلاثـة فـصول، كـان الفـصل الاول يتنـاول الاسـتطلاع والأنبيـاء وقمـت بتحليـل الوقـائع الاستطلاعية مع الانبياء عليهم الـسلام منـذ خلـق سـيدنا ادم ومـرورا بـسيدنا نـوح وإبراهيم وموسى حتى النبي عيسى على رسـولنا وعلـيهم اجمعـين الـصلاة والـسلام مستندا في ذلك على ما جاء بالقرآن الكـريم. مـن ايـات كريمـة بـصدد مالـه علاقـة بالاستطلاع وتحليل ذلك في كل حالة على حدة.

اما الفصل الثاني فبحثت فيه الاستطلاع الذي مارسـه القـادة التـاريخيون في زمن المصرين القدماء وعلى عهد ملوك الدولة الأكدية والآشورية في العراق القـديم ثم ما جرى في معارك الإسكندر المقدوني مع الفرس من قتال في العـراق وبـروز دور الاستطلاع في ذلك، وما حدث لهنيبال في محاربة الرومان وما وقع للزبـاء في جانـب الاستطلاع. وتناول الفصل الثالث الاستطلاع قبيل ظهور الاسلام وتجـسد ذلـك فـيما يسمى بأيام العرب ومـا بـرز فيهـا مـن دروس اسـتطلاع مهمـة تـدل عـلى الفطنـة والذكاء وقد تم اختيار نماذج من هذه الايام مورس الاسـتطلاع فيهـا بـشكل متميـز يدل على القدرات العربية في مجال الاستطلاع والحـصول عـلى المعلومـات واختـتم هذا الفصل بالإشـارة إلى معركـة ذي قـار ومـا بـرز فيهـا مـن دروس بمـا لـه علاقـة بالاستطلاع.

اما الباب الثالث فقد بحثت فيه عن التطبيقات العملية لدور الاستطلاع في العهد النبوي والعهد الراشدي وضمَّ على فصلين.

اما الفصل الاول فقد تناولت فيه الاستطلاع في عهد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ودوره في مواجهة القبائل العربية واليهود في معارك بدر واحد والخندق وفتح مكة.

وتناول الفصل الثاني الاستطلاع في العهد الراشدي ودورهِ في محاربة المرتدين وعمليات فتح العراق والشام ومصر وما برز فيها من عبقريات عربية اسلامية تجسدت في اجتياز خالد بن الوليد لبادية الشام في عملية عسكرية منظمة قل نظيرها في التاريخ العسكري إذ اخترق خالدٌ بادية الشام في حركة سريعة وخاطفة غير مكشوفة واستطاع مباغتة عدوه الجيش البيزنطي وخلق حالة من الصدمة والاضطراب في صفوفه. والإبداع البارز في معركة نهاوند وفتح مصر باستعمال ولأول مرة ما يسمى بالأدبيات العسكرية المعاصرة بالدفاع السيار في هاتين المعركتين الحاسمتين.



الباب الأول

مفهوم الاستطلاع وأهميته

ومواصفات عناصره

الفصل الأول

الاستطلاع لغةً واصطلاحاً

الاستطلاع لغةً

من اجل التعرف على مفهوم الاستطلاع في اللغـة والاصـطلاح، لابـد لنـا مـن بيان الأصل اللغوي والتاريخي لهذا المصطلح ومدلولاته ومنهجية استعماله.

فالاستطلاع مشتق من الفعل طَلَعَ يَطلُعُ ومطلَعاً ومطلِعاً: طَلَعَـت الـشمس والقمر والفجر والنجوم، تطلُعُ طُلوعاً ومطلعَاً ومطلِعاً فهـي طالعـة، وهـو أحـد مـا جاء من مصادر فَعَل يَفعل على مفعِل، ومطلَعاً بالفتح لغة وهـو القيـاس، والكـسر الأشهر[1]. والمطلع: الموضع الذي تطلع عليه الـشمس، وهـو قولـه: ﴿حَتَّـى إِذَا بَلَـغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ ﴾ [الكهف:90].

(1) ابن منظور، لسان العرب: ج 105/10.

أما الآية الكريمة: ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر:5]، فإن الكسائي[1] قرأها بكسر اللام. وكذلك روي عن أبي عمرو[2] انه قرأها بكسر اللام.

---

(1) الكسائي: هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، والكوفي الكسائي امام في القرآن الكريم واللغة والنحو من اهل الكوفة، ولد سنة (119هـ) في إحدى قراها وقرأ النحو بعد الكبر وتنقل في البادية وسكن بغداد وتوفي بالري سنة (189هـ) وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ) تاريخ بغداد (بيروت، دار الكتاب العربي، لا. ت) ج403/11.

(2) ابو عمرو: هو محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم ابو عمرو المطرز البارادي اللغوي المعروف بغلام ثعلب وكان صادقاً زاهداً. ولد سنة (261هـ) وتوفي في بغداد سنة (345هـ). ينظر: ابو بكر الزبيدي محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاندلسي (ت 379هـ) طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار المعارف، ط2، 1984م) ص209. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج356/1. الذهبي محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد سعيد بسيوني (بيروت، دار الكتب العلمية، لا. ت) ج71/2.

أما ابن كثير[1] ونافع[2] وعاصم[3] وحمزة[4] فإنهم يقرؤون مطلع بفتح اللام: ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ .

(1) ابن كثير: هو الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة (711هـ) وتوفي سنة (774هـ). درس علوم الفقه والتفسير، صحب ابن تيمية وصحب الشيوخ منذ صغره فازداد علماً وفقهاً. من اشهر مصنفاته (البداية والنهاية). ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: (بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، بلا. ت) ج231/6.

(2) نافع: هو ابو الاسود المعروف بأبي نجيد الاسدي التميمي. وهو من الشعراء الاسلاميين وله مشاركة في معارك الردة وصاحب خالد بن الوليد في اليمامة. شهد فتوح الشام والعراق. مات سنة 37 هـ ينظر: المنقري نصر بن مزاحم (ت211هـ) وقعة حطين (القاهرة 1365هـ) ص 564. ابن حجر العسقلاني احمد بن علي (ت 852هـ) الاصابة في تمييز الصحابة (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، بلا. ت) ج581/3.

(3) عاصم: ابن ايوب البطليموسي، ابو بكر، نحوي عالم باللغة (شرح المعلقات، وديوان امريء القيس) مات سنة (494هـ). ينظر: السيوطي، بغية الوعاة (ص274) اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، اسماء المؤلفين واثار المصنفين ج1 استنبول 1951-1955، ص435.

(4) حمزة: هو ابو عمارة بن حبيب الكوفي المعروف بالزيات، كان أحد القراء السبعة، وعنه أخذ الكسائي القراءة، واخذ هو عن الاعشى، إنما قيل له: «الزيات» لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعرف به مات سنة (150هـ) بحلوان وله ست وسبعون سنة.
ترجمته: ابن خلكان، احمد بن محمد (ت 681هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، مكتبة النهضة، ط1، 1948م) ج455/1.
الصفدي، خليل أبيك (ت 764هـ) الوافي بالوفيات، باعتناء: محمد الحجري، (فيسبادن، دار النشر فرانز شتاينر، 1984م) ج172/13.

ويقول الفراء[1]: ان اكثر قارئي القرآن يجمعون على فتح اللام في «مطلع» لأنه أقوى في قياس اللغة العربية من اذ أن «المطلع» معناه «الطلوع» أما «المطلع» فمعناه الموضع الذي تطلع منه الشمس، ولكن العرب بقولهم: «طلعت الشمس مطلعاً» بكسر اللام إنما يقصدون المصدر وليس الموضع الذي تطلع منه الشمس، ويقول الفراء أيضاً أن وزن الفعل الثلاثي المجرد من الباب الأول «فتح ضم» مثل خَرَج يخرُجُ ودَخَل يدخُل وطَلَع يطلُع فإن الاسم من مصدره يكون بفتح العين أي بفتح اللام في طَلَع فيكون مطلع وليس مطلِع وهو المفضل عند العرب، ما عدا بعض الشواذ من الأسماء الاتية: مسجد (سَجَد يسجَد) مغرِب (غَرَب يغرُب) مشرِق (شرَق يشرُق) مسقِط (سقَط يسقُط) مرفِق (رفَق يرفُق) مفرِق (فَرَق يفرُق) مجزر (جَزَر يجزُر) المسكِن (سكَن يسكُن)، المنسِك (نسَك ينسُك) المنبِت (نبَت ينبُت)، المطلِع (طَلَع يطلُع) اذ اجتمع رأي العرب على جعل العين علامة الاسم، وفتح العين علامة المصدر[2]أما الأزهري[3] فيقول: يحدث في لغة العرب ان تحتل الأسماء مواقع المصادر وتنوب عنها ومثال ذلك:

(1) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي مولى بني اسد (او بني منقر). أبو زكرياء المعروف بالفراء، إمام الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة. ولد في الكوفة سنة 144هـ وانتقل إلى بغداد وتوفي في طريق مكة 207هـ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج149/14.

(2) ابن منظور، لسان العرب (بيروت، دار صادر) ج235/8.

(3) الازهري: هو محمد بن احمد بن الازهر الهروي أبو المنصور. احد الائمة في اللغة والأدب عني بالفقه فاشتهر به اولاً ثم غلب عليه التبحر في اللغة العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في اخبارهم. ومن مؤلفاته: تهذيب اللغة (مخطوط) و(غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء) (مخطوط). ولد الازهري سنة 282هـ وتوفي سنة 370هـ ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج48/1. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج501/1.

﴿ حَتَّـى مَطْلَـعِ الْفَجْـرِ ﴿٥﴾ ﴾ اذ أن «المطلـع» هـو اسـم يقـصد بـه المـصدر (طلـوع)، حالـه حـال المطلَـع (أي المـصدر). ويستـشهد عـلى ذلـك بـرأي الكـسائي والفراء[1].

يقـول قـسم مـن البـصريين ومـنهم الزجـاج[2] (وهـو قـول مـأخوذ عـن سيبويه)[3] (المطلع والمطلع) جـائزان ومعنـاهما موضـع طلـوع الـشمس. ويقـال: «اطلعت الفجر اطلاعاً» أي نظرت إليه حين طلَع الفجر. وقال (الازهري): «نـسيم الـصبا مـن اذ يُطلـعُ الفجـر». ويـوم طلعتـه الـشمس أي طلَعـت منـه الـشمس. وفي الدعاء: «طلعت الشمس ولا تطلـع بـنفس أحـد منـا» عـن اللحيـاني[4]، أي لا مات واحد منـا مـع طلوعهـا، أراد: ولا طلَعـت فوضـع الآتي منهـا موضـع المـاضي. واطلَع لغة في ذلك، قال رؤبة[5]: «كأنه كوكـب نجـم أطلعـا»[6]، والألـف في نهايـة

(1) ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج235/8.

(2) الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق النحوي الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن. وكان من أهل الفضل والدين، جميل المذهب مات سنة 311هـ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج89/6-90. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب: ج62/2.

(3) سيبويه: هو أبو بشر (عمرو بن عثمان بن قنبر) مولى بني الحارث بن كعب. مـات سـنة 180هــ وقيل 188هـ إمام البصريين في النحو. لقب سيبويه ومعناه رائحة التفـاح. نـشأ في البـصرة واخـذ العلم عن الخليل الفراهيدي والاخفش اشتهر بكتابه المعـروف (بكتـاب سـيبويه)، وهـو في علـم اللغة العربية ونحوها. ينظر: السيوطي: بغية الوعاة (بيروت، المكتبة العـصرية، لا. ت) ج229/2-230.

(4) اللحياني: هو علي بن حازم بن مبارك. له كتاب النوادر. كان من الرجال الشرفاء. ينظر: أبو بكر الزيدي، طبقات النحويين: ص 190. السيوطي: بغية الوعاة: المصدر السابق: ج85/2.

(5) رؤبة: هو رؤبة بن العجاج، يكنى بأبي الجحاف. مات في خلافة أبي جعفر المنصور من كبار شعراء الرجز، كولادة العجاج. ولد في عصر بني أمية وهـو مـن مخـضرمي الـدولتين الأمويـة والعباسـية. ويحتج العلماء بشعره في قـضايا اللغـة والنحـو. ينظـر: الاصـفهاني، الاغـاني ج314/2. ابـن قتيبـة، الشعر والشعراء (بيروت، عالم الكتب، ط1، لا. ت) ص141.

(6) ابن منظور، لسان العرب: ج235/8.

كلمة (أطلعا» من مجاز الـشعر. وطـلاع الأرض مـا طلعـت عليـه الـشمس وطـلاع الشيء ملؤه، اذ قال الخليفة عمر بـن الخطـاب رضي اللـــه عنـه وهـو عـلى فـراش الموت: «لو أن لي طلاع الأرض ذهباً»، وطلاع الأرض ملؤها كما في هذا القول: «طلاع الأرض ملؤها حتى يطالع أعلاها فيساويه[1]. ومعنى يطلع هنـا يبلـغ. وقـد جـاء في الحديث: «جاءنا رجل به بذاذة[2] تعلو عنه العين[3]» فقـال هـذا خـبر مـن «طـلاع الأرض ذهباً» أي يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

قال أوس بن حجر[4]، واصفاً قوساً وغلظ معجسها[5] الذي علا الكف:

كتـوم[6] طـلاع الكـف لا دون ملئهـا   ولا عجـسها عـن موضـع الكـف أفـضلا

---

(1) ابن منظور، لسان العرب: ج235/8.

(2) البذاذة: سوء الحالة والهيئة والرثة. (بذذ) بذذت تبذيذاً وبذاذة وبذوذة أي رثت هيئتك وسـاءت حالتك. ابن منظور، لسان العرب، ج80/5.

(3) تعلو عنه العين: تنبو عنه العين ولا تلتصق به. ابن منظور، لسان العرب: ج318/19.

(4) اوس بن حجر: هو اوس بن حجر بن عتاب التميمي، يكنى بأبي شريح. مـن شـعراء قبـل الاسـلام وفحولها. كان شاعراً مضر حتى اسقطه النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى. كان عاقلاً في شـعره، كثير الوصف لمكارم الاخلاق. واشتهر بوصف الخمر والسلاح ولا سيما القوس. كـان دقيـق المعـاني في اختيار الالفاظ، وعرف أيضاً بشعر الغزل. ينظر أبو الفرج الاصـفهاني، كتـاب الاغـاني: ج64/11. ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص27.

(5) معجس: عجس القوس وعجسها ومعجسها وعجزها مقبضها الذي يقبضه الرامي منهـا: قبـل هـو موضع السهم منها. ابن منظور، لسان العرب: ج4/8.

(6) الكتوم: القوس التي لا صدع فيها ولا شق ولا عيب، ابن منظور، لسان العرب: ج410/15.

هذا وقد روى لنا الليث[1] مـن بـاب الاستـشهاد بـأن القـول (طـلاع الأرض) الذي يقصد به عمر رضي الـلـه عنه ما طلعت عليه الشمس مـن الأرض وهـو قـول أبي عبيد[2].

وطلع علينا فلان مـن بعيـد أي قـدم إلينـا مـن بعيـد. وطلعتـه أي رويتـه. ويقال: حيا الـلـه طلعتك[3]، أي عسى الـلــه أن يـشرح صـدرك وفرحـك، وهـو مـن قبيل الدعاء.

وطلع يطلع طلوعـاً وأطلـع الرجـل عـلى القـوم أي هجـم علـيهم وهـي مقتبسة عن سيبويه[4]. وطلـع علـيهم اتـاهم. وطلـع علـيهم غـاب عـنهم وهـو من الأضداد. وطلع عنهم أي غاب أيضاً عنهم، وطلعـة الرجـل أي شخـصه ومـا طلع منه. وتطلعه: نظر إلى طلعته نظر حب أو بغضة أو غيرها. وفي الخـبر عـن

---

(1) الليث: هو نصر بن عاصم الليثي. مات سنة 89هـ أو 90هـ كان فقيهاً عالماً بالعربية مـن قـدماء التابعين. أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني. كان يـرى رأي الخـوارج، ثـم تـرك ذلـك. ينظـر: ياقوت الحمـوي، معجـم الادبـاء: (بـيروت، دار الفكـر، ط3، 1980) ج244/19. الـسيوطي، بغيـة الدعاة: ج313/2.

(2) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام. مات بمكة سنة 224هـ أخذ العلم عن أبي زيد وعن أبي عبيدة بن المثنى والاصمعي واليزيدي والكساني والفراء. صنف عدداً كبيراً من الكتب منها: (غريب القـرآن)، (غريب الحديث)، و(معاني القرآن) و(القراءات) و(المذكر والمؤنث) و(الامثال السائرة). كان عالمـاً مجيداً في علوم القرآن واللغة العربية. السيوطي، بغية الوعاة: ج/253.

(3) ابن منظور، لسان العرب: ج236/8.

(4) المصدر نفسه: ج236/8.

بعضهم: تطلعه العين صورة. وطلعَ وطَلَعَ طلوعاً (الجبل): رقية وعلاه (بالكسر والفتح). وفي حديث السحور: «لا يهدينكم[1] الطالع، يعني الفجر الكاذب».

طلعت سن الصبي: بدت شباتها[2]. كل باد من علو طالع. وفي الحديث: هذا يسر قد طلع اليمن أي قصدها من نجد[3]. وأطلع رأسه: أشرف على شيء، كذلك اطلع واطلع غيره وأطلعه، والاسم الطلاع. واطلع على باطن أمره: (من باب افتعل)، واطلعه على الأمر: علمه به. والاسم الطلع. وفي حديث ابن ذي يزن[4]: قال لعبد المطلب[5]: أطلعتك طلعه أي اعلمتك به. والطلع بالكسر: اسم من اطلع على الشيء إذا علمه. وطلع على الأمر يطلع طلوعاً واطلع

---

(1) يهيدنكم: هاده الشيء هيداً وهاداً أي أفزعه وكربه. ابن منظور، لسان العرب: ج453/4.

(2) شباتها: الشباة، شباه كل شيء حدّ طرفه وقيل حدّه وحد كل شيء شباته والجمع شبوات وشباً والشباة طرف السيف وحده. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ج147/19.

(3) ابن منظور، المصدر نفسه: ج236/8.

(4) ابن ذي يزن: هو سيف بن ذي يزن، هو احد ملوك اليمن من حمير. اشتهر بقوة الرأي والحزم. وقف بوجه الاحباش وعمل على طردهم من اليمن والجزيرة العربية في الجنوب. ودارت حوله القصص الشعبية. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق: ج363/1. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق: ج139/2.

(5) عبد المطلب: هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف زعيم قريش عبد مناف زعيم قريش قبل الاسلام جد الرسول صلى الله عليه وسلم . كان من أكابر قريش عرف بالحكمة والشجاعة ورجاحة الرأي. اسمه شيبة. وسمي بذلك لأن في رأسه شيبة وكنى بأبي الحارث. ولد في المدينة ونشأ بمكة نحو (127ق. هـ-45 ق. هـ) (500م-579م) أحبه قومه ورفعوا من شأنه فكانت له السقاية والرفادة. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص246. الزركلي، الاعلام، قاموس التراجم، ج4، ص299.

عليهم اطلاعاً وأطلعه وتطلعه: علمه، وطالعه إياه فنظر ما عنده قال قيس بن ذريح[1]:

كأنك بدع[2] لم تر الناس قبلهم ولم يطلعك الدهر فيمن يطالع

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات:54-55] ومعناه هل انتم تحبون أن تتطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار، أي أن المسلم اطلع فرأى قرينه في سواء الجحيم أي في وسط الجحيم[3].

وجميع قراء القرآن الكريم متفقون على قراءتها: ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾. واستطلع رأيه: نظر ما هو رأيه. طالعت الشيء: اطلعت عليه. وطالعه بكتبه: اطلع عليها، وتطلعت إلى ورود كتابك. الطلعة: الرؤية اطلعتك على سري، وقد اطلعت من فوق الجبل واطلعت بمعنى واحد. واطلعت في الجبل اطلع طلوعاً معناها أدبرت فيه حتى لا يواني صاحب. وطلعت عن صاحبي

---

(1) قيس بن ذريح: من بني خزيمة. مات بحدود 60هـ كان من شعراء الغزل في العصر الاموي وهو رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما). كان منزل قومه في ظاهر المدينة. عرف بحبه من لبنة بنت الحباب الكعبية. وله ديوان شعر مطبوع. ينظر: أبو الفرج الاصفهاني، الاغاني (بيروت، مؤسسة جمال، لا. ت) ج174/19.

(2) بدع: كل محدث، للمدح والذم. مثل حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: «نعمت البدعة هذه» ابن منظور: ج352/9.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت، مكتبة الهلال، ط1، 1986) ج59/5.

طلوعاً إذا دبرت عنه. وطلعت عن صاحبي إذا أقبلت عليه. قال الأزهري: «هذا كلام العرب»[1].

وقال أبو زيد[2] في باب الأضداد ما يلي: «طلعت على القوم أطلع طلوعاً إذا غبت عنهم حتى لا يروني، وطلعت على القوم طلوعاً إذا أقبلت عليهم حتى يروني».

قال ابن السكيت[3]: «تكون هذه العبارة صحيحة عندما نأخذ حرف الجر «على» بمعنى «عن» و«من» مستشهداً على ذلك بقوله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ [المطففين:1-2] معناها إذا «اكتالوا على الناس ومن الناس».

---

(1) ابن منظور، لسان العرب: ج237/8.

(2) أبو زيد: هو سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري أحد أئمة الادب واللغة من اهل البصرة ووفاته بها. كان يرى رأي القدرية. ومن تصانيفه كتاب (النوادر في اللغة، والهمز، والمطر). ولادته سنة 119هـ ووفاته 215هـ ينظر: ابن حزم أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي. (ت 456هـ). «جمهرة أنساب العرب»: تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، دار المعارف، ط4، لات) ص373. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج77/9.

(3) ابن السكيت: هو يعقوب بن اسحق أبو يوسف بن السكيت. كان عالماً من علماء النحو بالكوفة. واشتهر بدراسة علوم القرآن الكريم واللغة والشعر. اخذ عن الكوفيين والبصريين كالفراء وأبي محمد الشيباني. عاش في زمن الخليفة العباسي المتوكل على الله، ومات قتلاً بأمر المتوكل سنة 244هـ ووجه المتوكل إلى امه دينه. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ج349/2.

واطلع الرامي أي جاز سهمه من فوق الهدف. وقد جاء في حديث كسرى[1]: أنه كان يسجد للطالع، والطالع هو السهم الذي يجاوز الهدف ويعلوه. وقد عقب الازهري على ذلك قائلاً: «إن الطالع من السهام هو السهم الذي يقع وراء الهدف ويعدل بالمقرطس[2]. ومعنى قول كسرى أنه كان يسجد للطالع أي انه كان يخفض رأسه إذا شخص سهمه فارتفع عن الرمية. وكان يطأطئ رأسه ليقوم السهم فيصيب الهدف.

وامرأة طلعة: امرأة تكثر التطلع. يقال: امرأة طلعته قبعة[3]، امرأة تنظر ساعة ثم تختبئ[4]. يقال: «اطلعني طلِع امرك». ويقال أيضاً: «طلع الاكمة» أي ما إذا علوته منها رأيت ما حولها. ويقال: «نخلة مطلعة» أي نخلة مشرفة على ما حولها طالت جميع النخيل وكانت اطول من سائرها. ويقال: فلان طلاع الأنجد: أي غالب للأمور. وفلان طلاع الثنايا وطلاع انجد إذا كان يعلو الأمور فيقرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه. والأنجد: جمع النجد، وهو الطريق في الجبل وكذلك

---

(1) كسرى: هو كسرى أنوشروان ابن قباذ فروز بن يزدجرد بن بهرام جور. كان على الدين المجوسي. عمل على بسط نفوذ سيطرته على الحيرة التي كان ملكها النعمان بن المنذر. لما كانت ليلة ولادة الرسو ل الكريم صلى اللـه عليه وسلم ، ارتجء إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج92/2.

(2) المقطرس: قرطس: إذا اصاب الرامي يل قرطس أي اصاب القرطاس. والرمية التي تصيب هي رمية مقرطسة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج54/8.

(3) قبعة: قبع يقبع قبوعاً القنفذ: ادخل رأسه في جلده وتوارى، وقبع رأسه: ادخله في ثوبه. وقبع الرجل في قميصه: ادخل رأسه في جيبه. وقبع في الأرض: ذهب فيها. وقبع قبعاً وقبوعاً النجم: ظهر ثم خفي. وقبعت المرأة استترت. وقبع في منزله: انزوى فيه واستتر فهو قابع وقُبَع. ينظر: المنجد في اللغة: ص606.

(4) ابن منظور، لسان العرب: ج237/8.

الثنية[1]، يقال: «فلان طلاع الثنايا» أي ركاب المشاق[2]. وطلع هذه الأرض، أي بلغها. ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة:7]. أي التي يبلغ المها ووجعها إلى القلوب فتحرقها[3]. والاطلاع هو البلوغ. قال الاصمعي[4]: «وما تمنيت من مال ولا عمر إلا بما سر نفس الحاسد الطلعة»[5].

والاستطلاع بمعنى الاستشراف، كقول متمم بن نويرة[6] رضي الله عنه:

لاقى على جنب الشريعة لاطئاً[7] صفوان[8] في ناموسه يتطلع[9]

(1) المصدر نفسه: ج238/8.

(2) المنجد في اللغة: ص75.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير المرجع السابق ج603/3.

(4) الاصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن اصمع الباهلي، أبو سعيد الاصمعي، راويه العرب وأحد أئمة العلم والشعر والبلدان. نسبة إلى جده اصمع، ومولده ووفاته في البصرة (121هـ-216هـ) (740م-831م) وتصانيفه كثيرة منها: (الأبل)، (الضداد)، (خلق الإنسان)، (الخيل)، وللمستشرق الالماني (وليام اهلورد) كتاب سماه (الاصمعيات). مثل تاريخ بغداد، وفيات الاعيان، طبقات النحويين.

(5) الطلعة: (بضم الطاء وفتح اللام): الكثيرة التطلع إلى الشيء أي انها كثيرة الميل إلى هواها تشتهيه حتى نهلك صاحبتها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج237/8.

(6) متمم بن نويرة: هو متمم بن نويرة بن حمزة بن شداد اليربوعي التميمي أبو نهشل، شاعر فحل، صحابي من اشراف قومه، اشتهر قبل الاسلام والاسلام. اشهر شعره رثاءه لأخيه (مالك). سكن المدينة في أيام خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وتزوج بها امرأة لم ترض اخلاقه لشدة حزنه على اخيه. ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، كتاب الاغاني، المرجع السابق: ج89/15. والزركلي، الاعلام، ج7، ص154-155.

(7) لاطئاً: لطأ لطوءاً بالأرض: لصق بها. ولطيء لطأً بالأرض: لصق بها. ينظر: المنجد في اللغة ص722.

(8) يوم صفوان: صاف. ينظر: المنجد في اللغة ص429.

(9) الزبيدي: تاج العروس، المرجع السابق: ج454/21.

والطليعة هم القوم الذين يبعثون لمطالعة خبر العدو. وتستعمل كلمة «الطليعة» سواء للمفرد والجمع، وطليعة الجيش هو نفر من الجيش يبعث ليطلع طلع العدو. والطلع هو اسم هذا النفر من الجيش الذي هو طليعة وهو مشتق من اطلع. وفي الحديث: «إنه إذا غزا بعث بين يديه طلائع». وهؤلاء الطلائع هم قوم يبعثون ليطلعوا طلِعَ العدو[1]، (كالجواسيس» جمع جاسوس، ومشتقة من فعل جسَّ[2].

والتجسس: اللمس باليد كالاحتساس، والحواس. قال اللحياني: تجسست فلاناً من فلان أي بحثت عنه، كتحسست، كقوله تعالى: ﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:87]. وقيل: التجسس (بالجيم) أن يطلبه لغيره، والتحسس (بالحاء) أن يطلبه لنفسه أي يقوم به شخصياً بينما (بالجيم) أن يقوم به شخص أخر.

والطلائع أحدهم يدعى طليعة. ويمكن أن تطلق كلمة طليعة على الجماعة أيضاً كما يقصد بالطلائع الجماعات أيضاً. ويقدم الأزهري أمثلةً أخرى تضم هذه الازدواجية منها: الربيئة[3] والشيقة[4] والبغية[5] وثلاثتها تعني الطليعة، كل لفظة منها تصلح للواحد والجماعة، واستطلع رأيه أي نظر ما عنده

---

(1) ابن منظور، لسان العرب: ج237/8.

(2) المصدر نفسه: ج337/7. الفيروز ابادي: القاموس المحيط: ج204/1.

(3) الربيئة: جمعها رابايا، وهي الطليعة من الجيش. يقال: بثوا راباياهم، أي طلائعهم. ينظر: المنجد في اللغة: ص244.

(4) الشيقة: (والشيقان) وهي طليعة القوم الذين يشتاق لهم أي يشرف لهم على تحركات العدو. ينظر: المرجع نفسه: ص408.

(5) البغية: جمعها بغايا: وهي طلائع الجيش. أي التي تكون قبل ورود الجيش. ينظر، المرجع نفسه: ص44.

وما الذي يبرز عليه من أمره. واطلعتك على سري أي اظهرته لك وأعلمتك به. واطلع رأسه إذا اشرف على شيء والاسم من الإطلاع: طلاع، كسحاب، والطلوع: ظهور على وجه العلو والتملك كما في الكشاف. ويقال: أنا اطالعك بحقيقة الأمر، أي اطلعك عليه، وهو مجاز كما في الأساس. وكذا قولهم: طالعني بكتبك، واطلعت من فوق الجبل، واطلعت بمعنى واحد[1]. واستطلع: استخبر، استقصى عن الشيء فتش وبحث. واطلع على: فحص شيئاً، نفذ إلى الصميم، أي إلى عمق الشيء. وطلع: مقدار، كمية. وطلعة: مرة واحدة. ومطلع (بكسر اللام) ومطلَع (بفتح اللام) جمعها مطالع: المشرق، مطلع الشمس، محل بزوغ الشمس. مرتفع من اذ يمكن الرؤية إلى بعيد: مرقب العسس، مرصد الحرس، أو مربأ الرقباء، برج المراقبة، وطوالع الجيش: رواد القوات العسكرية[2].

وفي اللغة الإنكليزية، فإن كلمة Reconnoiter[3] تعني يستطلع، يستكشف، يعاين، يقدر، يمسح، يبحث عن تفاصيل أمر ما، ينقب. الذهاب إلى اقصى حد من البحث والاستقصاء والتحقق، لا سيما فيما يخص العدو وقواته وأسلحته وما يخص طبيعة ارضه وتضاريسها. وكلمة RECONNAISSANCE تعني الاستطلاع يتم بوساطة مجموعة من الأشخاص أو الكشافين، وقد تعتمد هذه المجموعة على السير على الاقدام أو باستعمال الآليات أو الطائرات أو الزوارق لمعرفة مواضع العدو والكشف على طبيعة أرضه ومعالم منطقته (كالبحيرات

---

(1) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ج456/21.

(2) يوحنا بلو: مستشرق يسوعي، الفرائد الدرية في اللغتين العربية والفرنسية (بكفيا، جبل لبنان، بيروت 8/ايلول/1883م) ص445 وص996.

(3) THE ADVANCE DICTIONARY OF CURRENT ENGLISH BY ASHORNL Y, E. V. GOTENBY H. WAKEFIED. OXFORD UNIVR SITY PRESS LONDON. P. 1046.

والأنهـار والجبـال الـخ..) والاسـتطلاع بـالقوة، باسـتعمال قـوة عـسكرية كافيـة للمقاومة والتصدي لأي عدو ممكن مواجهته[1].

وفي اللغة الألمانية، ان كلمة «AUFKLAREN» تعني كشف، أوضح اسـتطلع، استكشف، فهم، نور، اطلع على، وهـي بـصيغة الفعـل. وكلمـة: «AUFKLARUNG» فهي تعني «توضيح»، (اسـتنارة»، (إطـلاع»، «اسـتطلاع»، «استكـشاف». امـا كلمـة «AUFKLARER» فإنها تعني: «كشاف»، «مستكشف»، «مستطلع»[2].

الاستطلاع اصطلاحاً

1- ربَّ أفضل مفتاح للوصـول إلى ينـابيع الاسـتطلاع البدائيـة وأصـولها هـو الرجوع إلى الاحلام والرؤى.

يحدثنا القرآن الكريم عن رؤيا أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما رأى في المنام وهو يذبح ابنه اسماعيل عليه السلام وكيف أنه همَّ بذبحه تنفيـذاً لما استطلعه في الحلم، وإخبار ابنه اسـماعيل عليـه الـسلام بـذلك، الـذي شـجعه عـلى تنفيذ أمر اللـه عز وجل:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَـيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَـامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَـا أَبَـتِ افْعَـلْ مَـا تُـؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللـه مِـنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات:102].

(1) المصدر نفسه: ص 1046.

(2) GOTZ SCHREGLEV DEUTSCH-ARABISCHES WORTERBUCH, OTTOHARRASSOWITZ, WIESBADEN, 1974 P. 73. 74.

وفي قصة النبي يوسف عليه السلام مثل أخر على الاستطلاع من خلال الأحلام فلقد رأى يوسف عليه السلام في حلمه أحد عشر كوكباً من كواكب السماء خرت ساجدة له، كما رأى أيضاً الشمس والقمر ساجدة له مع الكواكب، وقال المفسرون أن الكواكب الأحدى عشر كانت اخوته والشمس والقمر أبواه. وكانت سنه إذ ذاك اثنتي عشرة سنة. وبين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر اربعون سنة[1]. ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف:4].

اتفق المفسرون على ان رؤى الأنبياء هي وحي من عند اللـه، كما ذكر ذلك ابن عباس رضي اللـه عنه[2].

2- فيما يخص الأشخاص العاديين، فإن العقل الباطن يكون في اثناء النوم الطبيعي مفتوحاً لكل طارئ من الخواطر وكثيراً ما يكون مشغولاً آنذاك بمهمة التنفيس عن رغبات صاحبه المكبوتة. ويقال ان ابن سينا الفيلسوف المشهور كان إذا صعبت عليه مشكلة توضأ وصلى ثم نام فيرى حل تلك المشكلة في احلامه. ويروي مثل هذه القصة عن ديكارت[3] فهو قد اكتشف كشوفه العظيمة وهو نائم في فراشه صباحاً حسبما قيل.

أما فيما يخص المستر (وليم جيمس) سكرتير المالية الأسبق في الولايات المتحدة، فإنه قد اعتاد أن يضع ورقاً وقلماً بجانب فراشه ليسجل به ما قد

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، المصدر السابق ج41/2-42.

(2) الصابوني، صفوة التفاسير، المصدر السابق: ج40/3.

(3) ديكارت: (1596م-1650م) فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي. يعد مؤسس الفلسفة الحديثة. ينظر: منير البعلبكي، المورد، معجم الاعلام، ص24.

تكشف له الأحلام من حلول لمشاكله الكثيرة. ويحدثنا ابن خلدون أنه استعمل دعاء معيناً قبل النوم سماه «حالومية» فاطلع بها في نومه كما قال على أمور كان يتشوق إليها. ويعلل ابن خلدون هذه الحالومية في النائم تعليلاً نفسياً يقارب التعليل الحديث، فهو يقول: «... وإنما هذه الحالوميات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فإذا قوي الاستعداد كان أقرب إلى حصول ما يستعد له»[1].

3- يقول (ستيل) في كتابه (الحاسة السادسة): «... إن فارساً وجواده قد توغلا في إقليم قفر متسع الرقعة وقد اشتد بهما الظمأ، فترك العنان لفرسه يسير كما يشاء، فاتجه الفرس إلى موقع ماء كان على بعد اثني عشر ميلاً منه. وسبب ذلك أن الصورة الذهنية لهذا الماء الذي وصل إليه قد اوجدت في مخ الحصان موجة طولها كطول الموجة المنبعثة من الماء فأنساق نحو المصدر الذي تنبعث منه هذه الامواج».

كما يحكى عن «هانيبال» القائد القرطاجي الذي هزم الرومان كانت له مقدرة على قراءة فكر خصمه ومعرفة خططه. فيضع لها ما ينسفها. وكذلك «رومل» القائد الألماني المشهور في الحرب العالمية الثانية كان يؤمن بالحاسة السادسة ويستعملها في إدارة المعارك. فبينما كان قواد الانكليز يدققون ويحققون في كل خطوة يخطونها ويحسبون لكل أمر حسابه، كان رومل يباغتهم بضربة قاصمة لا تدخل في قائمة الحساب ولا تعرف تدقيقاً وتحقيقاً[2].

(1) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار القلم، ط1، 1978م، ص105.

(2) علي الوردي، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة، مكتبة الوراق، ط2، (لندن)، 1966، ص156.

4- يقع ضمن مصطلح الاستطلاع، السحر والتنجيم، ودور الكهنة والمنجمـين في تحقيق الانتصارات للقادة والملوك. فعندما هزم (كورش)[1] ملك الفرس البـابليين في عهد ملكهم (بلشصر)[2] اذ أقام حصاراً حول مدينة بابل كما أشار عليه كهنة (بل مـردوك)[3] سراً. فـأمر جنـوده بـدخول مدينـة بابـل مـن دون قتـال مـستفيداً مـن اتفاقياته السرية مع هؤلاء الكهنة، فـنجح في ذلـك. وكـان سـبب نجاحـه هـذا هـو استطلاعه كوامن الضعف في مملكة بابل من خلال الكهنة إذ اسـتخدم ممارسـاتهم الطقسية المشحونة بالكراهية والبغضاء ضد ملكهم والتي هي أعمال سحرية[4].

5- الاستطلاع كاصطلاح عسكري هـو جهـد موجـه في الميـدان لغـرض جمـع المعلومات عن العدو ومنطقة القتال لخدمـة هـدف اسـتطلاع المعرفـة. وتـستعمل العناصر الاتية عناوين رئيسة فيه: العدو، الأرض، الطقس[5].

---

(1) كـورش: (550 ق. م-529 ق. م) امبراطـور الفـرس، ومؤسـس الامبراطوريـة الفارسـية، قـضى عـلى مملكة الميدين (عام 550 ق. م). ينظر: المورد، معجم الاعلام، 1987، ص22.

(2) بلشصر: أخر ملوك بابل على ما جاء في الكتاب المقدس. وهو حـسب الكتابـات المـسمارية اسـمه (بيليتشاوصور). شهير برؤياه التي كتبت على حائط قصره الكلمات الثلاث السرية (منا منـا، ثقـل وفرسين) كشف له دانيال النبي سرها أنـه سـيقتل في تلـك الليلـة. وفعـلاً اغتيـل عـام 539 ق. م. ينظر: المنجد في الاعلام، ص140.

(3) مردوك: كبير الالهة في البانثيون البابلي. ابن أيا إله المياه. عمت عبادته في بلاد ما بـين النهـرين في عهد حمورابي. ينظر: المنجد في الاعلام: ص652.

(4) RICHARD WILMER ROWAN AND ROBERT G. DEINDORFER SECRET SERVICE 33 CENTURIES OF ESPIONAGE WILIAMKIMBERLONDON 1967. P. 11.

(5) كراسة الحركات المدرعة، التدريب العسكري، مطبعة الجيش (بغداد، 1971م) ص194.

وهذا يعني جمع المعلومات على مستوى التعبئة للقادة والآمـرين، وكـذلك على مستوى العمليات التي تتحدد في ميدان المعركة.

اما على المستوى السوقي (الاستراتيجي) فيكون من صلاحية القيادة العامـة والدولة ضمن مذهب الفكر العسكري الغربي.

أمّا وجهة نظر المذهب العسكري الشرقي، فإنها تذهب إلى ابعـد مـن ذلـك فتـدخل ضـمن مفهـوم الاسـتطلاع، والموقـف الـسياسي، والاقتـصادي، والاجتماعـي المعادي، فضلاً عن فقرات العدو، الأرض والطقس.

ويوضح ذلك مفهوم الاستطلاع المعتمد لدى الجـيش المـصري: (هـو جميـع الإجراءات التي تتخذ بوساطة القيادات للحـصول عـلى المعلومـات التـي تخـص مـا يأتي:

أ- القوات المسلحة للعدو.

ب- طبيعة مسرح العمليات المستقبلية.

ج- الموقف السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعدو[1].

وعملية الاستطلاع تـشمل جمـع المعلومـات وإيـصالها إلى الجهـة المختـصة لتقوم بتحليلها وصولاً إلى معرفـة قـوة العـدو ونوايـاه ومـن ثـم توزيـع ذلـك عـلى الجهات المستفيدة. ويرى الفريق الركن محمد فتحـي أمـين «أن الاسـتطلاع واجـب يتخذ للحصول على المعلومات بوساطة الرصد البصري أو طرق الكشف بما له علاقة بفعاليات العـدو الحقيقـي أو العـدو المحتمـل أو الحـصول عـلى المعلومـات التـي

(1) محاضرات مدرسة الاستخبارات العسكرية، الاستطلاع (بغداد، 1983م) ص54.

تخص الأنواء الجوية أو المياه الجوفية أو الخواص الجغرافية لمنطقة معينة»[1] ونرى أنه يمكن عَدّ الاستطلاع هو جميع الإجراءات التي يتخذها القادة والآمرون وهيئات الركن وتنفذ بوساطة وحدات الاستطلاع العام والاستطلاع الاختصاصي للصنوف المختلفة للحصول على المعلومات الخاصة بالعدو والأرض والطقس لمنطقة القتال وتعتمد على مبادئ مهمة هي (السيطرة المركزية) والاستثمار المنظم، وان تكون هادفة وموقوتة، وتحقق التواصل والأمن مع الانسيابية المستمرة، يرافق ذلك الاستنتاج المنطقي[2].

وقد يكون من الممكن في ضوء التجربة وتيسر قدر من المعلومات من تصور اعمال العدو المحتملة بشكل عام. لكن تبقى المعضلة قائمة ازاء الاسئلة التقليدية (متى يشرع العدو بأية قوة وبأي اتجاه) وهذا ما يتم الحصول عليه من خلال وضع العدو تحت المراقبة المستمرة بوساطة عناصر الاستطلاع التي تناط بها مسؤوليات وأهداف محددة لمختلف الاعماق.

6- ولما كان الاستطلاع بهذه الدرجة من الأهمية بالنسبة للقادة والآمرين في صناعة قراراتهم، فلابد من مراعاة أسس الاستطلاع الآتية[3].

أ- تتبع مكان وتنقل أهداف الاستطلاع دائماً. وهذا يعني بضرورة تحرك عناصر الاستطلاع وفقاً لحركة هدف الاستطلاع وليس تبعاً لمكان وتنقل القوات

---

(1) الفريق الركن محمد فتحي أمين، قاموس المصطلحات العسكرية (لات بغداد) ص31.

(2) كراسة الاستخبارات الأساسية، رئاسة أركان الجيش المطابع العسكرية (بغداد، 1983) ص10-11.

(3) كراسة واجبات الأركان في الميدان للقوات المسلحة دائرة التدريب، مديرية التطوير القتالي، م/1 (بغداد آب 1988) ص732-733.

الموالية. وقد يكون هدف الاستطلاع قطعات معادية أو عوارض أرضية أو منطقة ما. يجب أن يسمح لعناصر الاستطلاع بأقصى حرية للعمل.

ب- الأخبار بجميع المعلومات بدقة تامة. يحرص المستطلع للحصول على معلومات تستعمل في انتاج معلومات المعركة ولأجل أن تكون هذه المعلومات ذات فائدة للقائد فإنه يجب أن يتسلمها في الوقت الذي يستفاد منها. وأن تكون دقيقة في الإجابة على الأسئلة: ماذا؟ (بضمنها كم العدد؟) وأين؟ وماذا يعملون؟ يجب أن يخبر جميع أفراد الاستطلاع المعلومات الإيجابية والسلبية كافة بكل سرعة ودقة إلى مقرهم الأعلى.

ج- تجنب الاشتباك الحاسم. تحصل عناصر الاستطلاع على المعلومات بوساطة التملص حيثما كان ذلك ممكنا. ولكنها تقاتل عند الضرورة فقط للحصول على المعلومات المطلوبة. يجب عدم تعريض واجب الاستطلاع للخطر بالقتال مع العدو.

د- إدامة التماس مع العدو. يحصل على التماس بالعدو بأسرع ما يمكن عند القيام بواجب الاستطلاع للحصول على معلومات تخص قوات العدو.

هـ- يجب إعطاء الموقف بسرعة عند الحصول على التماس مع العدو أو عند الاصطدام بمانع أرضي، فعلى عناصر الاستطلاع القيام بما يأتي:

أولاً: إخبار المقر وبالوسيلة المناسبة.

ثانياً: تنفيذ الاستطلاع لكشف أماكن العدو وقوته وتأليفه ومواضعه.

ثالثاً: يجب على آمر مجموعة الاستطلاع أن ينتخب مسلكاً للعمل بعد استطلاعه لموضع العدو إذ يستطيع الحصول على أكثر ما يمكن من المعلومات.

7- وبعد هذا العرض لأسس الاستطلاع لابد من التعرف على تصنيف الاستطلاع في تاريخنا المعاصر. ويمكن تقسيم الاستطلاع بحسب المستويات التعبوية

والعملياتية والسوقية (الاستراتيجية) ومن خلال ذلك تحدد المسؤوليات، فيقسم الاستطلاع إلى أربعة مستويات هي: استطلاع المعركة، والاستطلاع القريب، والاستطلاع المتوسط، والاستطلاع البعيد. وما يأتي تعريف موجز لكل منها[1]:

أ- استطلاع المعركة:

هو الجهد الموجه لجمع المعلومات عن العدو وأرض المعركة القريبة وينفذ من عناصر استطلاع الفوج أو ما يعادله والذي هو بتماس مع العدو قبل المعركة مباشرة وفي اثناءها عن طريق المراصد[2] أو دورية الاستطلاع، والغرض من استطلاع المعركة هو تحديد أماكن مقاومات وتأليف قوات العدو التي بالتماس وكذلك عن الاحتياط الفوري القريب الكائن خلف التماس، والحصول على معلومات عن الأرض، ويكون عمق هذا النوع من الاستطلاع لغاية (3) ثلاثة كيلومترات.[3]

---

(1) كراسة واجبات الأركان في الميدان للقوات المسلحة، المصدر السابق ص734.

(2) المرصد: هو إحدى الوسائل للحصول على المعلومات في الميدان اذ يقوم الاشخاص بإجراء الرصد من وحدات الاستطلاع أو من الوحدات المقاتلة نفسها المنفتحة على خط الجبهة بالرصد المستمر ومراقبة تحركات العدو ونشاطه ضمن قواطع معينة محددة ويتم الرصد بالعين المجردة أو باستخدام الوسائل البصرية المساعدة نهاراً وليلاً. ويتألف المرصد من (2-3) أشخاص يكون أحدهم آمر المرصد وهو مسؤول عن السيطرة على المرصد وتحديد مكانه الذي يشرف على أكثر ما يمكن من منطقة الرصد وأن يكون مخفياً عن الرصد الأرضي والجوي المعادي. انظر: كراسة الاستخبارات الأساسية (بغداد 1983) ص40-41.

(3) دورية الاستطلاع: هي مجموعة أشخاص صغيرة وتتألف عادة من ضابط صف مع جندي واحد أو جنديين للحماية. تقوم هذه الدورية بالحصول على المعلومات المطلوبة بالرصد والمراقبة وتحاول تجنب التماس بالعدو وتنفيذ واجبها بصمت وبدون قتال إلا عند الدفاع عن النفس. ينظر: المرجع نفسه ص46.

ب- الاستطلاع القريب:

هو الجهد الموجه من عناصر الاستطلاع في مستوى اللواء لجمع المعلومات عن منطقة الحركات التعبوية الحالية وينجز عادة في وحدات المدفعية في الوقت الحاضر وبقية الوحدات المقاتلة. تكون مسؤولية فصيل الاستطلاع في مستوى اللواء لجمع المعلومات عن العدو وحتى عمق (8) كيلومترات من الحافة الأمامية عن طريق فتح (1-2) مرصد ودفع (1-2) دورية استطلاع ودفع دورية قتال[1] واحدة بهدف مراقبة خطوط العدو الأمامية المعقبة واحتياطات العدو ذات التأثير على المعركة بحجم اللواء ومناطق انفتاح المدفعية والأسلحة السائدة والمقرات ضمن عمق العمل المحدد بـ (8) كم. اما مسؤولية الاستطلاع بمستوى الفرقة فهي جمع المعلومات عن العدو وحتى عمق (20) عشرين كيلو متراً من الحافة الأمامية من خلال فتح (3-4) مراصد على الجبهة وبالعمق ودفع (2-3) مجموعة استطلاع عميق[2] ودفع (2-3) دورية استطلاع بهدف المراقبة لمناطق التحشد التعبوي المعادي والاحتياطات، والمقرات التعبوية مناطق المدفعية وأية أهداف ضرورية ضمن منطقة العمل.

(1) دورية القتال: هي مجموعة من الأشخاص يتوقف حجمها على طبيعة الواجب المكلفة به يتراوح تأليفها عادة من حضيرة ولغاية فصيل الحضيرة من (8-10) أشخاص والفصيل من (28-30 شخصاً) مشاة، وتكلف بواجبات مختلفة. مثل اختطاف الأسير، نصب كمين، إغارة على موقع معادٍ. ينظر المرجع نفسه ص46.

(2) مجموعة استطلاع. مجموعة عميق تتألف من (4-6) أشخاص تعمل في أعماق العدو وترسل المعلومات إلى مقرها. ينظر: كراسة الاستطلاع العميق، وزارة الدفاع الطبعة الاولى، ص13.

ج- الاستطلاع المتوسط:

هو جهد جمع المعلومات عن العدو أو عن طبيعة الأرض الواقعة خارج نطاق الخطة التعبوية مباشرة وعلى عمق (30-40) كيلو متراً من الحافة الأمامية وعليه تكون من مسؤولية كتيبة استطلاع الفيلق من خلال فتح (6-8) مرصد على الجبهة وبالعمق ودفع (6) ست مجموعات استطلاع عميق مع دفع (6-8) دوريات استطلاع بهدف مراقبة مناطق التحشد العملياتية الرئيسة ومقرات القيادة والسيطرة وشقق النزول للسمتيات وأية أهداف استطلاع أخرى حيوية، ويمكن إجراء الاستطلاع من عناصر الاستطلاع بوساطة الطائرات السمتية.

د- الاستطلاع البعيد:

يجري في المناطق التي تقع خارج ساحة التعبئة وعلى مسافة أكثر من مدى عمل عناصر استطلاع الفرقة والفيلق.

8- وسائل الاستطلاع الحديثة في جمع المعلومات: لقد تطورت وسائل الاستطلاع تبعاً للتقدم الحضاري الذي حققته البشرية في المجالات كافة وشهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين قفزات هائلة في وسائل الاستطلاع ويمكن إلقاء نظرة على ذلك من خلال السمات الرئيسة لهذه الوسائل وكما يأتي:

أ- الاقمار الصناعية.

ب- المركبات الفضائية المأهولة.

ج- منظومات القيادة والسيطرة والإنذار المبكر المحمولة جواً.

د- الطائرات الاستطلاعية.

أ- الاقمار الصناعية:

إن أروع ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة هو عملية تسخير الأقمار الصناعية التي تدور حول الكرة الأرضية في مدارات محددة وبارتفاعات معينة لأغراض المراقبة الدقيقة لكل ما يدور فوق سطح الأرض وفي باطنها وفي أعماق البحار ومن العمليات الاستطلاعية التي تقوم بها الأقمار الصناعية هي:

1- **الاستطلاع التصويري:** تزود الأقمار الصناعية بأرقى وأحدث ما وصلته التكنولوجيا في مجال صناعة معدات التصوير عن بعد فهي تمتاز بالحساسية الفائقة وبزيادة في أمد البؤري مع متحسسات للأشعة تحت الحمراء لها القابلية على تغطية مناطق شاسعة جداً ومن ارتفاعات تصل إلى حدود (250) كم مع قابلية على إدامة المراقبة والتصوير للأجسام المتحركة والثابتة التي لا يزيد حجمها عن (3) ثلاثة أقدام. وباستطاعة الأقمار الصناعية من التقاط صورٍ واضحة لأعمدة الإنارة في الشوارع. إن الصور التي تلتقطها الأقمار الصناعية ترسل لحظة التقاطها إلى اجهزة استقبال في مراكز أرضية محددة أماكنها على الأرض بشكل دقيق جداً وتستعمل هذه المراكز الحاسبات الإلكترونية التي تقوم بدورها بتسلم المعلومات الرقمية لبيانات الصور على شكل نبضات لاسلكية تترجم على الحاسبات وتحول إلى صور حقيقية لغرض الاستفادة من معلوماتها. وقد تطورت أجهزة إرسال الصور من الأقمار الصناعية إلى المراكز الأرضية باستعمال أشعة الليزر التي تزيد من سرعة الإرسال إلى مئات المرات من الموجات اللاسلكية التي من المحتمل أن تكون غير واضحة.

2- **مراقبة التجارب النووية بالأقمار الصناعية:** تستعمل الدول الكبرى بعض الأقمار الصناعية بشكل خاص لأغراض مراقبة التجارب النووية من

خلال تسجيل النشاط الإشعاعي في الفضاء إذا كان التفجير فوق الأرض أو حتى لتسجيل النشاط النووي في باطن الأرض أو تحت الماء كما أن هذه الأقمار الصناعية لها القابلية أيضاً على مراقبة أي نشاط عسكري أو إطلاق للصواريخ وذلك من خلال الاستعمال المنظور للأجهزة المتحسسة للإشعاعات الحرارية الصادرة من المعدات العسكرية أو الصواريخ بمقارنتها مع الأشباح الأخرى على الأرض أو في الفضاء وتسجيلها كأفلام حرارية.

3- **الرصد الجوي بالأقمار الصناعية:** يقوم قسم من الأقمار الصناعية بالتخصص بقضايا الرصد الجوي ومراقبة الظروف المناخية للكرة الأرضية وذلك من خلال مسح شامل لمساحات شاسعة من الأرض والتنبؤ بأمور الطقس والتحذير من العواصف والأعاصير وإجراء دراسات شاملة على الظروف المناخية لأي جزء من الأرض وبحقب مستقبلية لغرض الاعتماد عليها في إعداد الخطط التنموية كالزراعة وغيرها.

4- **التجسس بالأقمار الصناعية:** تمتلك دول عديدة لهذا النوع من الأقمار الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا. إلا أن الأولى قد استغلت الفضاء الخارجي استغلالاً ذي كفاية في زرع أقمارها الصناعية التجسسية التي تجمع لها المعلومات عن أي مكان على سطح الأرض فهي مزودة بكاميرات خاصة متطورة وأفلام حساسة وأجهزة تقوم بتحويل الصور إلى إشارات كهربائية تبث إلى الأرض وتستلم من محطات منتشرة في أماكن متعددة على الأرض وتصب جميعها في مركز رئيس مسيطر على هذه الأقمار تابع للسلاح الجوي الأمريكي ومقره في ولاية (كاليفورنيا) اذ تستلم المعلومات التجسسية في هذا المركز ويجري تحليلها واستخراجها كمعلومات ترسل إلى الجهة المستفيدة منها ولدى الولايات

المتحدة الأمريكية أقمارٌ صناعية تجسسية لكل وكالة من وكالاتها المعلوماتية فمـثلاً لوزارة الدفاع الأمريكية أقمارٌ تجسـسية تعمـل لـصالحها فقـط فـضلاً عـن الأقـمار الصناعية الأخرى التي تعمل لوكالة المخابرات الأمريكية (CLA).

5- **المواصلات بالأقمار الصناعية:** تأخذ في الوقت الحاضر المواصلات بالأقمار الـصناعية أهميـة كبـيرة في العـالم فهنـاك شـبكات مـن الأقـمار الـصناعية تـدور في مدارات معينة ضمن ارتفاعـات مختلفـة تخـتص فقـط بالمواصـلات وهـذه الأقـمار ترتبط بمراكز أرضية مجهزة بحاسـبات إلكترونيـة ضـخمة لغـرض الـسيطرة وتوزيـع المعلومات حسب نوعها والجهة التي تستفيد منها. تقـوم الأقـمار الـصناعية بخـدمات كبيرة ضـمن هـذا الاختـصاص ففـي طريقهـا يـتم تبـادل المعلومـات ضـمن شـبكة الحاسبات الإلكترونية الدولية (الانترنيت) التي يتم عـن طريقهـا تبـادل المعلومـات التي تخدم مجالات كثيرة لخدمـة البـشرية فـضلاً عـن انـه عـن طريـق الاتـصالات بالأقمار الصناعية تعمل منظومـة (GLOBAL POSITIONING SYSTEM) التـي يرمـز لها (G. P. S) وهي منظومة تحديد الأماكن الكونية التي عـن طريقهـا يمكـن إيجـاد الاحـداثيات لأي جـسم عـلى سـطح الأرض وتحديـد موقعـه لغايـة أقـل مـن (1) متر واحد وهذه المنظومة لها اسـتعمالات مدنيـة وعـسكرية كثـيرة جـداً في الوقـت الحاضر فقد دخلـت ضـمن منظومـات توجيـه الأسـلحة عـن بعـد واسـتطاعت ان تؤمن دقة إصابة عالية لهـذه الأسـلحة كـما أن هـذه المنظومـة لهـا فوائـد مدنيـة كثيرة أيضاً وأن مبـدأ عملهـا ببـساطة يـستند إلى نقطـة تقـاطع الأشـعة المرتـدة في أكثر من قمـرين صـناعيين تمثـل مكـان الجـسم وتـزداد دقـة تحديـد الموقـع كلـما كان عـدد الأقـمار الـصناعية التـي ترتـد فيهـا الإشـارة المنبعثـة مـن الجـسم الـذي يــراد تحديــد موقعــه أكــثر وهكــذا. ومــن المفيــد ذكــره في هــذا المجــال أن

الأقمار الصناعية الآن تتم السيطرة عن طريقها على وسائل خاصة في الدول المتقدمة اذ حققت هذه الدول قفزة كبيرة في هذا المجال[1].

10- **المركبات الفضائية المأهولة**[2]: من المركبات المأهولة مركبة (مير) الروسية وهي من مخلفات الاتحاد السوفيتي وقد زارها عدد ليس بالقليل من رواد الفضاء. ولابد أن تكون لهذه الزيارات مهمات استطلاع عسكرية. ومن الواضح أنه مهما كانت إمكانية العاملين في مراكز المراقبة الأرضية فإنها لا تتمكن من الحصول على المعلومات بالقدر الذي يكون فيه الإنسان المكان والمدار نفسه ويوجه تلك الأقمار ذات التقنية العالية جداً للحصول على متطلبات تلك المراكز ورغباتها.

11- **منظومات القيادة والسيطرة والإنذار المبكر المحمولة جواً**: طائرات مخصصة لأغراض الإنذار المبكر عن طائرات الضرب للعدو والسيطرة على عملية التوجيه الراداري لطائرات التصدي وقد تضاف إليها منظومات لغرض الاستطلاع الإلكتروني ومنها (E-2c وE-3) الأمريكية والنمرود البريطانية و(Tu126-) الروسية، وهذه الطائرات عبارة عن رادارات مطورة محمولة جواً على هذه الطائرات المخصصة لهذه الغاية. كما يمكن أن تقوم هذه المنظومات برصد القواعد الجوية المعادية ومراقبة التمارين والمناورات ذات الأهمية وكشف تحركات الأهداف البحرية، والأهداف الأرضية ذات الأهمية السوقية[3].

---

(1) غازي احمد خليل، مجلة الهدهد، مديرية الاستخبارات العسكرية العامة العدد العاشر، بغداد، 1999، ص84.

(2) رياض إبراهيم، مجلة الهدهد، مديرية الاستخبارات العسكرية العامة العدد الثاني، بغداد 2000، ص103.

(3) رياض إبراهيم، مجلة الهدهد، مديرية الاستخبارات العسكرية العامة العدد الثاني، بغداد 2000، ص105.

12- الطـائرات المـستعملة للاسـتطلاع الـسوقي: وهــي طـائرات مـصممة خصيصاً للاستعمال في دور الاستطلاع السوقي التي تـتمكن مـن القيـام بالاسـتطلاع في أعماق بعيدة وعلى ارتفاعات عالية جداً متجنبـة الـدفاعات الجويـة وهـي مـزودة بأجهزة تصوير ومعدات ذات تقنية عالية جداً وحـساسة اذ يمكنهـا التقـاط الـصور ليلاً ونهاراً ومنها:

أ- الطائرة (U. 2). طائرة أمريكية الصنع استطلاعية تجسـسية وهـي بعيـدة المدى، ودورها القيام بأعمال التجـسس والتـصوير الجـوي الـسوقي مـن ارتفاعـات عالية وبدقة كبيرة. مداها يزيد على (4000) ميل وعلى ارتفاع (90000) قدم.

ب- الطائرة بلاك برد (SR-71). طائرة أمريكية الصنع اسـتطلاعية تجسـسية، تحلق على ارتفاع (80000) قدم وتـصل سرعتهـا إلى اكـثر مـن ثلاثـة أضـعاف سرعـة الصوت ومداها يزيد على (3000) ميل.

ج- طائرة ميك 25. طائرة روسية الصنع وتعد الطائرة الاسـتطلاعية الرئيـسة في روسيا للقيام بمهام الاستطلاع السوقي سرعتهـا تعـادل مـا يقـارب ثلاثـة أضـعاف سرعة الصوت. مداها (1650) كم أقصى ارتفاع (80000) قدم[1].

13- يتضح مما تمت الإشارة إليه في تصنيف الاستطلاع في العصر الحديث أن عملية الاستطلاع تتكون من حلقـات متعـددة تؤلـف بمجموعهـا سلـسلة منتظمـة تؤمن متطلبات القادة والآمرين سـواء في مرحلـة قيـامهم بالاستحـضارات للمعركـة وصناعة قـراراتهم أو عنـد تطـور صـفحات المعركـة مـن خـلال معلومـات حلقـات الاستطلاع التي أهمها استمرارية وضع العدو وفعاليته تحت المراقبة لتأمين المعرفـة المبكرة بنوايا العدو وتجنب مباغتته لنا.

(1) رياض إبراهيم، مجلة الهدهد، العدد الثاني عشر، المصدر السابق، ص106.

الفصل الثاني

الأهمية العامة للاستطلاع

إن غاية كل استطلاع بصورة عامة هو جواب عن سؤال ذي صلة بأمر مجهول. خلق الإنسان وفي فطرته نزوع إلى معرفة المجهول. وهذه نعمة من لدن الباري عز وجل كي لا يكون الإنسان جامداً إذ لا يدري عن مكونات ذاته وما يحيط به من أسرار بل يصبح ذا ديناميكية مستمرة في المبادرة والإبداع. إذ يأمر الله تعالى البشر بالتأمل والتفكر بما يحيط بهم في هذا الكون العريض ليكشفوا عن بعض ما قدر فيه وفي ذوات أنفسهم من مقادير.

كما ورد في القرآن الكريم ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت:53].

إنه وعد الله لعباده -بني الإنسان- أن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون ومن خفايا أنفسهم على السواء. وعدهم أن يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق. هذا الدين وهذا الكتاب وهذا المنهج. ولقد صدقهم الله وعده، فكشف لهم عن آياته في الآفاق، من خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد وكشف لهم من آياته في أنفسهم وما زال يكشف لهم في كل يوم عن جديد.

لقد عرف البشر أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون ان هي إلا ذرة صغيرة تابعة للشمس وعرفوا أن الشمس كرة صغيرة منها في الكون مئات الملايين وعرفوا طبيعة أرضهم وطبيعة شمسهم. وعرفوا الكثير عن مادة هذا الكون الذي يعيشون فيه. عرفوا أن أساس بناء هذا الكون هو الذرة وعرفوا أن الذرة تتحول إلى شعاع وعرفوا إذن أن الكون كله من إشعاع في صور شتى هي التي تجعل منه هذه الأشكال والأحجام. وعرفوا الكثير عن كوكبهم الأرضي الصغير. وعرفوا أنه كرة أو كالكرة وعرفوا أنه يدور حول نفسه وحول الشمس، وعرفوا قاراته ومحيطاته وأنهاره وكشفوا عن شيء من باطنه وعرفوا الكثير من المخبأ في جوف هذا الكوكب من الأقوات. ولم تكن فتوح العلم والمعرفة في اغوار النفس بأقل منها في جسم الكون. فقد عرفوا عن الجسم البشري وتركيبه وخصائصه وأسراره الشيء الكثير. عرفوا عن تكوينه وتركيبه ووظائفه وأمراضه، وغذائه وتمثيله، وعرفوا عن أسرار عمله وحركته ما يكشف عن خوارق لا يصنعها إلا اللـه. وعرفوا عن النفس البشرية شيئاً أنه لا يبلغ ما عرفوه عن الجسم لأن العناية كانت متجهة بشدة إلى مادة هذا الإنسان وآلية جسمه أكثر مما كانت متجهة إلى عقله وروحه[1]. وهكذا نرى أن هذا المنهج الاستطلاعي يقع في فطرة الإنسان القائمة على البحث والتقصي المستمرين لكشف الأسرار والوقوف على حقائقها والذي يمكن عده منهجاً استطلاعياً معرفياً.

يتناول القرآن الكريم هذا الموضوع مرةً أخرى حاثاً الإنسان على التفكر للوصول إلى أسرار الكون عن طريق الاستطلاع المعرفي لتدبر عظمة خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار من ظلام إلى نور ومن نور إلى

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير. المصدر السابق م3، ص128. وسيد قطب، في ظلال القرآن الطبعة العاشرة، 1982، دار الشروق، بيروت، م5، ص3130-3131.

ظلام، إن هي إلا شواهد وبينات لأصحاب العقول يدركون أن خلقها لم يأت عبثاً بل جاء عن حكمة ربانية هادفة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللـه قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:190-191]. إن هذا التعبير في هذه الآية القرآنية الكريمة يرسم لنا صورةً حيةً من الاستقبال السليم للمؤثرات الكونية في الإدراك السليم وصورة حية من الاستجابة السليمة لهذه المؤثرات المعروضة للأنظار والأفكار في صميم الكون بالليل والنهار ومشهد السماوات والأرض ومشهد اختلاف الليل والنهار لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا. لو تلقيناه كمشهد جديد تتفتح عليه العيون أول مرة، لارتعشت له رؤانا ولاهتزت له مشاعرنا ولأحسسنا أن وراء ما فيه من تناسق لابد من يدٍ تنسق ووراء ما فيه من نظام لابد من عقل يدبر ووراء ما فيه من أحكام لابد من ناموس لا يتخلف وأن هذا كله لا يمكن أن يكون خداعاً ولا يمكن أن يكون جزافاً ولا يمكن أن يكون باطلاً. ولا ينقص من اهتزازنا للمشهد الكوني الرائع أن نعرف أن الليل والنهار ظاهرتان ناشئتان من دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس ولا أن تناسق السماوات والأرض مرتكز إلى (الجاذبية) أو غير الجاذبية. هذه فروض تصح أو لا تصح، وهي في كلتا الحالتين لا تقدم ولا تؤخر في استقبال هذه العجيبة الكونية واستقبال النواميس الهائلة الدقيقة التي تحكمها وتحفظها[1].

(1) سيد قطب، ظلال القرآن، مصدر سابق، المجلد الأول ص 544-545. والصابوني، صفوة التفاسير، مصدر سابق المجلد الأول، ص252.

تأسيساً على ما تقدم وتأكيداً عـلى أن الإنـسان مجبـول بفطرتـه عـلى حـب المعرفة وكشف أسرار الكون، نجد أن في مسيرته عبر التاريخ تطلع مستمر ومتجـدد لحل ألغاز ما يحيط به من الكائنات.

اذ نرى الإنسان تارةً يبحث في العلوم الفقهية وطـوراً في الأصـول الفلـسفية، ومـرةً في الاكتـشافات الجغرافيـة وأخـرى في الأبحـاث العلميـة وأخـرى في الجانـب العسكري.

العلوم الفقهية والاستطلاع:

لقـد احتلـت العلـوم الفقهيـة مكانـةً بـارزةً في التـاريخ العـربي الإسـلامي وصـولاً إلى دقـة تفـسير مـا جـاء في القـرآن الكـريم ودقـة وصـحة الحـديث النبوي الشريف اذ نجد أن رواة الحديث الشريف أمضوا وقتاً طويلاً ومعاناة شديدة من أجل معرفة دقة وصحة هـذه الأحاديـث الـشريفة قـاطعين المـسافات الطويلـة من بلد إلى بلد متجشمين عناء السفر من أجل الحصول على الحديث المتواصل كـما فعـل الإمـام البخـاري[1] رحمـه اللـه. وقـد قـال عـن نفـسه: مـا وصـفت في كتـابي (الصحيح) حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقـال بكـير بـن نمـيرة: كـان محمد بن اسـماعيل يـصلي ذات يـوم فلـسعه الزنبـور سـبع عـشرة مـرة فلـما قـضى صـلاته قـال انظـروا أيـش هـذا الـذي أذاني في صـلاتي فنظـروا فـإذا الزنبـور قـد

(1) البخاري: هو محمد بن اسمعيل بن إبراهيم وقيل ابن الاحنف الجعفي مولاهم أبـو عبـد اللـه البخاري. ولد في شوال عام 194هـ وتوفي في 256هـ وضـع كتابـه (الـصحيح) فعظـم شـأنه وعـلا ذكره وهو اول من وضع في الإسلام كتاباً صحيحاً. ينظر: ابن حجر العسقلاني (ت852هـ). تهـذيب التهذيب، دار صادر، بيروت ط1، مطبعة دار المعـارف النظاميـة الهنـد، حيـد أبـاد الـدكن (سـنة 1326هـ).

ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته[1]. وهذا ما يدلل على درجة خشوعه وورعه عند قيامه بتأدية الصلاة. وقال الغريري: سمعت محمد بن أبي حاتم وراق محمد بن إسماعيل قال: سمعته يقول ذاكرني عمرو بن علي بحديث فقلت لا اعرفه فسروا بذلك وصاروا إلى عمرو بن علي فقالوا له ذاكرنا محمد بن اسماعيل بحديث فلم يعرفه. فقال عمرو بن علي: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث[2].

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل: سمعت أبي يقول ما اخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل. وقال الفضل بن العباس الرازي: رجعت مع محمد بن اسماعيل مرحلة وجهدت الجهد على اجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني. وقال صالح بن يسار: سمعت نعيماً بن حماد يقول محمد بن إسماعيل فقيه هذه الامة. وقال الحاكم: سمعت أبا الطيب يقول سمعت ابن قريحة يقول ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أحفظ من البخاري[3].

مما تقدم نرى أهمية ومنزلة البخاري رحمه الله في دقته وجهوده غير الاعتيادية في التمحيص والتحقق في تثبيت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وما شهادات الذوات الذين مرَّ ذكرهم إلا دليلاً على عبقرية وتميز محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله. وبذلك يستحق هذا الرجل الأمين المنزلة التي يتمتع بها على مر العصور بما له علاقة بالأحاديث النبوية الشريفة. وهذه هي إحدى

(1) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، المصدر نفسه، ج48/1.
(2) المصدر نفسه، ص49.
(3) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ص50-55.

الممارسات الاستطلاعية التي ساعدت على فرز الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة.

ومن رواة الحديث النبوي الشريف الثقاة هو مسلم[1]. حصل لمسلم في كتابه (صحيح مسلم) حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله إذ أن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن اسماعيل، وذلك لما اختص به في جمع الفرق وجودة السياق والمحافظة على اداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية. قال شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء: كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم[2].

وهكذا نجد أن الإمام مسلم قد خدم الفقه الإسلامي شأنه شأن الإمام البخاري. فكلاهما يعدان من المصادر التي يعول عليها للأحاديث النبوية الشريفة. وكان عملهما يمثل نوعاً من الاستطلاع الفقهي كلفهما وقتاً طويلاً وجهداً متميزاً في السفر والتحقق في جمع هذه الأحاديث النبوية الشريفة التي تأتي منزلتها بعد منزلة القرآن الكريم.

الأصول الفلسفية والاستطلاع

إن اصول الاستطلاع الفلسفي تنطلق من البحث في وجود اللـه الباري ووحدانيته. فلو قال أحدهم أن هنالك الهين، ينتج عن هذا احتمالان: الاحتمال الأول أن هذين الالهين متفقان في الخلق، إذن فهما إله واحد. الاحتمال الثاني،

---

(1) مسلم: ابن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري الحافظ. توفي سنة (261هـ) وهو من أئمة المحدثين. أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه إثنى عشر ألف حديث. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، المصدر السابق، ج1، ص126.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص126-128.

أنهما مختلفان وهذا يناقض فعل الخلق، لأن لو أن أحدهما أوجد لأفنى الآخر، وهذا يناقض الشيء المخلوق فعلاً. إذن كلا الاحتمالين يؤديان إلى التوحيد. (فإن قال قائل: فما ننكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين؟ قيل: أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق. فقلنا: لو كان المدبر اثنين لم يخلُ من اتفاق أو اختلاف. فإن كانا متفقين فمعناهما واحد، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنين. وإن كانا مختلفين كان محالاً وجود الخلق على التمام والتدبير على الاتصال، لأن المختلفين فعل كل منهما خلاف فعل صاحبه، بأن احدهما إذا أحيا أمات الآخر، وإذا أوجد أحدهما أفنى الآخر. فكان محالاً وجود شيء من الخلق على ما وجد عليه من التمام والاتصال)[1].

وقد قال عز وجل في محكم كتابه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللـه لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللـه رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:22]. وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللـه مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللـه عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:91].

الاكتشافات الجغرافية والاستطلاع:

تعد الاكتشافات الجغرافية من الأنشطة الاستطلاعية اذ أن المكتشفين الجغرافيين بجهودهم التي يبذلونها في أغراض منها اكتشاف مناطق جديدة من الكرة الأرضية والإحاطة بطبيعة التضاريس بما فيها من جبال ووديان وأنهار وبحار وصحارى وغيرها. وما يتعلق بأحوال السكان وظروف بيئاتهم المختلفة. وكانت رحلاتهم الجغرافية مليئة بالمغامرات ومحفوفة بالمخاطر لعدم تيسر

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج1، ص29.

الاتـصالات آنـذاك بيـنهم وبـين قواعـد انطلاقهـم، ومـن هـؤلاء الجغـرافي الـشهير الادريسي[1]. نشأ محمد بن محمد بـن عبـد اللــه الادريـسي في أصـحاب (روجـار) الفرنجي صاحب صقلية وهو روجار الثاني (Rojer II).

وكان الادريسي من كبار الجغرافيين العالميين معروفاً برسـمه لخارطـة العـالم القـديم. فـضلاً عـن ذلـك كـان الادريـسي أديبـاً وشـاعراً وظـف شـعره في خدمـة الجغرافية، وهذه بعض الأبيات من شعره يصف رحلاته ومغامراته الجغرافية:

ليـــت شـــعري ايـــن قـــبري ضـــاع في الغربـــة عمـــري

لم ادع للعـــين مـــا تـــشتاق في بـــرِ وبحـــري

لم اجـــد جـــاراً ولا داراً كـــما في طـــي صـــدري

فكـــأني لم أسر إلا بميـــت أو بقفـــر[2]

ومن الجغرافيين المشهورين أبن بطوطـة[3] المعـروف بـالرحلات الكثـيرة التي قام بها، وظل يجوب أقطار الأرض، منذ أن كان في سن الثانيـة والعـشرين حتى أشرف على الخمسين. وقد زار خلال رحلاته معظـم أجـزاء العـالم القـديم

(1) الادريسي: هو محمد بن محمد بن عبد اللـه المعروف بالشريف الادريسي. مؤلف كتـاب (نزهـة المشتاق في اختراق الآفاق). (ت568هـ) ينظر: ابن ايبك الصفدي (696-794هـ) الوافي بالوفيـات، باعتناء هيلموت ريتر-دار النشر فرانز شتاينر فيسبادن، ط2، ص163-164.

(2) ابن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر نفسه، ص164.

(3) محمد بن عبد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف اللواتي الطنجـي. أبـو عبـد اللــه بـن بطوطة. ولد في طنجة عام 703هـ-1304م. توفي سنة 770هـ-1368م. وشب في مـسقط رأسـه في محيط ديني. ينظر: ابن حجـر العـسقلاني، الـدرر الكامنـة (ت 852هــ) مطبعـة دائـرة المعـارف العثمانية، الهند، حيدر أباد الدكن، ج3، ص480-481.

المعروف آنذاك ما عدا القسم الأوربي، مما حقق له تفوقاً على جميع رحالة القـرون الوسطى.

ولا يكـاد يدانيـه في اتـساع رحلاتـه سـوى (مـاركو بولـو) الرحالـة البنـدقي المشهور. وقد قطع في رحلاته نحو مئة وخمسة وسبعين ألـف ميـل والتـي تـساوي مئتين وثمانين ألف كيلو متر. وقد ساح في جزيرة العرب شمالاً وجنوباً وشرقـاً وغربـاً فزار نجداً والحجاز والبحرين وعمان وحضرموت والـيمن وطـاف في أرجـاء العـراق ومصر وبلاد الشام وأقطار المغرب العربي وسـاحل أفريقيـا الـشرقي وتجـول في بـلاد فارس والأناضول وأواسط آسيا وتركستان والحوض الادنى لنهـر الفولغـا. وكـاد يـشد الرحال إلى سيبريا لولا اعتقاده بقلة الجدوى من ذلك. ثـم اتجـه إلى أقطـار الـشرق الاقصى، فأقام في بلاد الهند زمناً ثم تجول في الساحل الجنوبي الغربي لـلـهند. ومكث ما ينيف على عام ونصف في جزر المالديف. ثم تنقل بين جزر الهنـد الـشرقية، وزار الملايو ورحل إلى جنوب الصين. ولما عاد إلى موطنه بعد غيبة قاربت الثلاثـين عامـاً، حن إلى السفر ثانيةً فقام برحلة قصيرة إلى الاندلس. ولم يكد يستقر في فـاس بعـض الوقت حتى عبر الصحراء الكبرى متجهاً إلى السودان. وقد امتـاز ابـن بطوطـة عـن بقية الرحالة بإدلائه أحكاماً عن الأوضاع الاقتـصادية والاجتماعيـة والـسياسية لكـل بلد مر به، عن خبرة ومعرفة[1].

نستنتج مما ذكر آنفاً أن ما قام به الرحالة أبن بطوطة يقدم مثلاً عملياً على تنفيذ الاستطلاع الاستراتيجي لما غطته رحلاته من بقاع واسـعة في مـشارق

---

(1) خـصباك شـاكر -الـدكتور- كتابـات مـضيئة في الـتراث الجغـرافي العـربي. بغـداد 1978، ص256-257.

الأرض ومغاربها. ولابد من تثمين هذا الجهـد الاسـتثنائي عاليـاً إذا مـا أخـذنا بنظـر الاعتبار المدة التي استغرقتها رحلاته وما توصل إليه من معلومات ثمينة ولو أننـا لا تتوافر لدينا تفاصيل عن الوسائل التي اسـتعمالها في أسـفاره وعـن مرافقيـه الـذين شاركوه في هذه الرحلات لتـسهيل مهمتـه في تحقيـق هـذا الإنجـاز العظـيم. ومـن جملة الصعوبات المحتملة هي كيفية معرفتـه بتلـك البلـدان مـن اذ الطوبوغرافيـا وأحوال السكان والتي تعتمد أساساً على إلمام عميق بلغات تلك الأقوام.

ومن الجغرافيين المـشهورين عالميـاً هـو (كريـستوف كولـومبس) مكتـشف أمريكـا. هـو مـن أعظـم رجـال البحريـة. ولـد سـنة 1451م وتـوفي سـنة 1506م. ان كريستوف كولومبس لم يكن يهدف من رحلته أن يبرهن أن الأرض كروية، ولا كـان يريد اكتشاف أمريكا، بل كـان يحـاول بكـل سـهولة أن يجـد طريقـاً بحريـاً قـصيراً للوصول إلى بـلاد الهنـد. كـان كولـومبس يتوقـع أنـه لـو سـار مـسافة أربعـة آلاف وأربعمئة كيلو متر غرباً بمحاذاة جزر كاناري للوصول إلى الجزر اليابانية فلربما عدَّه سكانها الاصليين رئيساً لهم واتخذوه زعيماً. لقد قدر كولـومبس خطـأ حجـم الكـرة الأرضية وعرض المحيط الأطلسي. لقد بدأ رحلته من إسبانيا في الثالث مـن آب عـام 1492، وبعد تسعة أيام وصل جزر الكناري، وثم اتجه غرباً. وفي العاشر مـن تـشرين الأول من السنة نفسها وافق طاقمه على مواصلة الإبحار لمدة ثلاثة أيام.. وبعد ثمان وأربعين ساعة رست سفنهم على ساحل خلـيج (فرنانـدس) وبـذلك أصـبح كولـومبس مالكاً لعالم جديد. لكنه اعتقد أن ذلك المكان هو جزيرة من الجـزر الهنديـة القريبـة من اليابان أو الصين. لقد عرف الناس خلال ثلاثين سنة أن كولومبس كـان عـلى خطـأ من اذ اعتقاده أنه وصل اليابان أو الصين بينما هو قد اكتـشف قـارة جديـدة هـي أمريكا وهي ما عرف فيما بعد بالعالم الجديد[1].

---

(1) THE WORLD BOOK ENCYCLOPEDIA VOLUME4 Ci-Cz (h) PAGE 690-697.

إن رحلة كريستوف كولومبس هي مثل فريد من نوعه عن مكتشف يكتشف قارة كبيرة بالصدفة. بالنسبة له كان يريد أن يجد طريقاً قصيرة للوصول إلى الهند فوجد نفسه فجأة في عالم جديد تطؤه قدم أجنبية لأول مرة في التاريخ. وهذا يمثل إنجازاً استطلاعياً ضخماً رغم كون المستطلع لم يكن يقصد البحث عن هذا الهدف بالذات.

الأبحاث العلمية والاستطلاع:

تعد الأبحاث العلمية جزءاً من عمليات الاستطلاع بمعناها الواسع. فكل البحوث العلمية هي نتائج لمقدمات قائمة على البحث والتقصي وكمثل على ذلك الأبحاث العلمية التي قام بها العالم الشهير نيوتن.

ولد إسحاق نيوتن في مدينة ولزثورب في إنكلترا سنة (1624) ولم يبدِ في طفولته اهتماماً في الدراسة إلى درجة أن والدته أرادت أن تجعل منه فلاحاً. غير أنها اكتشفت أن اهتمامات ابنها كانت في اتجاه آخر. وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره التحق في جامعة كامبردج وسرعان ما برزت قدرته على استيعاب الموضوعات العلمية والرياضية فراح يعتمد على أبحاثه المستقلة وبين سن الحادية والعشرين والسابعة والعشرين وضع أسساً لنظريات أدت فيما بعد إلى ثورة علمية في العالم.

إن منتصف القرن السابع عشر كان حقبة لأعظم ثورة علمية. فلقد أحدث اختراع التلسكوب في بداية هذا القرن انقلاباً شاملاً في علم الفلك. وقام الفيلسوفان الانكليزي (فرانسيس بيكون)[1] والفرنسي (رني ديكارت) بحث

(1) بيكون: فرنسيس (1561-1626) فيلسوف إنكليزي ولد في لندن. دعا إلى تجديد الفلسفة وإحياء العلوم الاختبارية. ينظر: المنجد في الاعلام، توزيع المكتبة الشرقية. دار المشرق –بيروت، 2000، ص162.

علماء أوربا على نبذ أرسطو والاعتماد على التجربة والرصد الذاتي. إن ما نـادى بـه (بيكـون) و(ديكـارت)[1] قـام بتطبيقـه (غـاليلو)[2]، الـذي برصـده الفلـكي بوسـاطة التلسكوب المبتكر حديثاً، أحدث ثورة في دراسة الفلك. على الرغم من أن (غـاليلو) و(كوبر نيكوس)[3] اسهما في فهم أوسع للكون، إلا أنهما لم يضعا مبـادئ تجمـع مـا بين جميع الحقائق ضمن نظرية موحدة تـساعد عـلى تنبـؤات عمليـة. إن إسـحاق نيوتن هو الذي تقدم بتلك النظرية الموحدة ووضع علماً حديثاً لا يزال يعتمد عليه حتى هذا اليوم.

إن أولى اكتشافات نيوتن وباكورة أعماله كانت في موضـوع طبيعـة الـضوء. لقد اكتشف أن الضوء الأبيض الاعتيادي هو مزيج من جميع ألوان قوس قزح. وقام بتحليل دقيق للنتائج المتعلقة بقوانين انعكـاس الـضوء وانكـساره، وباسـتعماله هـذه القوانين صـمم عـام 1668 أول تلـسكوب عـاكس وقـام بـصنعه فعـلاً وهـو أنمـوذج للتلسكوب المستعمل اليوم في معظم المراصد الفلكيـة الكـبرى. كـان اسـهام نيـوتن الاكبر في حقل الرياضيات هي ابتكاره لحساب التفاضل والتكامل الذي نبعـت منـه الكثير من النظريات الرياضية الحديثة، وكـان الأداة الأساسـية التـي مـن دونهـا مـا كانت تتحقق غالبية العلوم الحديثة اللاحقة.

(1) ديكارت: رنى. (1590-1650) فيلسوف ورياضي فيزيائي فرنسي خـدم في الجـيش. وجـال في أوربـا. وأستقر في هولندا في عام 1629 وأقام فيها عشرين سنة. مات في سـتوكهولم. تقـوم فلـسفته عـلى التحرر من الفلسفة التقليدية المدرسية. ينظر المصدر نفسه، ص254.

(2) غاليلو: (1564-1642) عالم إيطالي من علماء الفيزياء والفلك المـشهورين. اكتـشف حركـة دوران الأرض حول الشمس. دانته الكنيسة عام 1633 وأبرأته 1992. ينظر المصدر نفسه، ص392.

(3) كوبر نيكوس: نيقولا. (1473-1543). فلكي بولوني برهن على دوران الكـرة الأرضـية حـول نفـسها وحول الشمس. ينظر: المصدر نفسه، ص471.

رغم ذلك فإن أعظم اكتشافات قام بها نيوتن كانت في حقل الميكانيك، هذا العلم الذي يبحث في حركة الأشياء المادية. كان (غاليلو) قد اكتـشف القـانون الأول للحركة الذي يصف حركة الأشياء عندما لا تكون خاضعة لتـأثير أيـة قـوة خارجيـة. ولكن السؤال الأهم في علم الميكانيك هو كيـف تتحـرك الأشـياء في ظـروف كهـذه. ولقد حل نيوتن هذه المشكلة بوساطة قانونه الثاني في الحركة الـذي يـنص عـلى أن تعجيل جسم يساوي القوة مقسومة على كتلة ذلك الجسم. لهذين القانونين أضاف نيوتن قانونه الثالث في الحركة الذي ينص أن لكل فعل يوجد رد فعـل معـاكس لـه ويساويه بالمقدار. وقانونه الأكثر شهرة هو قانون الجذب العام. هذه المجموعة من القوانين الأربعة تشكل نظاماً موحـداً يمكـن بوسـاطته تقـصي الأنظمـة الميكانيكيـة كافـة ابتـداءً مـن الحركـة الاهتزازيـة لرقـاص الـساعة وانتهـاءً بحركـة الكواكـب في مـداراتها حـول الـشمس. في سـنة 1687 نـشر كتابـه (المبـادئ الرياضـية للفلـسفة الطبيعية (PRINCIPA) الذي وضع فيـه قوانينـه عـن الجاذبيـة والحركـة. لقـد قـام نيوتن بحل المشكلة الرئيسة في علم الفلـك وهـي مـشكلة التنبـؤ بمواقـع وحركـات النجوم والكواكب بدقة.

كما أنه أسهم في دراسة الديناميك الحرارية وعلم الصوت وأعلن مبـادئ الفيزياء المهمة في الزخم. واكتشف نظرية ذات الحدين في الرياضـيات وأعطـى أول تفسير مقنع لأصل النجوم. إن نيوتن هو من كبار العلماء المكتشفين، يشهد لـه بـذلك كـل مـن (لايبنـز)[1] و(لابـلاس)[2] و(ارنـست مـاخ)[3] وغـيرهم. ومـا

(1) لايبنز: كوتفريد قلهلم. (1646-1716) رياضي وفيلسوف ومخترع ألمـاني. اكتـشف أسـس التحليـل الحسابي. اشتهر بنزعته التفاؤلية. ينظر: المصدر نفسه، ص502.

(2) لابلاس بيار (1749-1827) فلكي ورياضي فرنسي اشتهر بفرضيته القائلة: إن أصل النظام الشمـسي ضباب سديمي. ينظر: المصدر نفسه، ص486.

(3) مـاخ: إنـست (1838-1916) فيزيـائي وفيلـسوف نمـساوي: أنكـر وجـود الـزمن المطلـق والفـضاء المطلق. ينظر: المورد. معجم الأعلام قاموس إنكليزي -عربي، ص57.

يعزز من أهمية نيوتن هو قيامه بتوحيد القوانين التي يمكن استعمالها للقيام بتنبؤات جديدة.

لقد قام بثورة علمية جذرية طالت جميع نواحي الحياة البشرية وأساليب عيشهم، وكذلك تأثيره على التكنولوجيا والاقتصاد والسياسة والفن والفلسفة. لقد كان نيوتن أكثر العلماء تأثيراً على تطور العالم[1].

أهمية الاستطلاع عسكرياً:

يتوقف نجاح الخطط للقادة العسكريين في ساحات القتال على توافر ودقة المعلومات التي ينبغي أن تكون موقوتة لأن وصولها متأخرة تكون غير ذي فائدة وللاستطلاع أهمية كبيرة في شن الحرب النفسية المؤثرة على العدو لقرب عناصر الاستطلاع من قطعاته. ويكون تأثير هذه الحرب شديداً عندما تستعمل عناصر الاستطلاع وسائلها في شن الحرب النفسية حيال قطعات العدو والتي غالباً ما تكون مشدودة الأعصاب نتيجة إرهاصات الحرب والبعد عن العوائل إذ تتلقى ما تبثه عناصر الاستطلاع من دعاية من خلال الشائعات وغيرها وهذا ما يؤثر على معنوياتها وعندما تركز عناصر الاستطلاع على استثمار الوسائل الحديثة في تنفيذ الحرب النفسية بما فيها مكبرات الصوت والمناشير. فعندما تقوم عناصر الاستطلاع بالتحدث عن ويلات الحرب وفراق الأهل والأصدقاء وتحمل الخسائر لأغراض لا تمس مصلحة المقاتل بصلة وتدعو المقاتل إلى إلقاء السلاح والهرب من جبهة القتال. كل ذلك يفعل فعله في نفوس المقاتلين ولا سيما إذا تزامن ذلك مع شحة في الأرزاق والعتاد والبقاء مدةً طويلةً في

(1) MICHAEL HART. THE 100 RANKING OF THE MOST INFLUENTIAL PERSONS IN HISTORY HART PUBILSHING COMPANY NEW YORK 1978 P. 41-46.

الخنادق. والاستطلاع الجيد يعد من عوامل النجاح الأساسية في الحرب. فمن الصعب دخول حرب وإدامتها بكفاية من دون استطلاعات توافر معلومات موثوقة وكما مر ذكره فإن الاستطلاع يسعى للحصول على معلومات عن الأرض والطقس وعن العدو وهو العامل الأهم. والخطة التي يؤمل لها النجاح هي التي تعتمد على المعلومات الدقيقة والواضحة عن العدو وكل ما يتصل به. (القائد الذي يقاتل عدوه وهو في جهل مطبق عن قوته فإنما يقاتل وهو أعمى البصر والبصيرة لذلك لا يكون نصيبه إلا الاخفاق والاندحار)[1].

وعلى عناصر الاستطلاع أن تتوخى الحيطة والحذر في عملها كيلا يكشفها العدو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:71]. وقد اعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية متميزة للاستطلاع وجلب المعلومات عن الخصم. ففي الحديث الشريف (من يأتيني بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير)[2].

ولما كانت عناصر الاستطلاع هي مقدمة الجيش وتقوم بمعرفة المعلومات عن العدو قبل غيرها لقربها منه فإنها ستكون أحد العناصر المهمة في معرفة نوايا العدو واتجاهات عمله المقبل وهذا ما يؤمن الإنذار المبكر الذي يساعد على التهيؤ والاستعداد لنا ويجنبنا المباغتة المعادية. قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:122] .

---

(1) خطاب، لواء ركن، محمود شيت، الوجيز في العسكرية الإسرائيلية (القاهرة، 1977)، ص11.

(2) ابن حنبل، مسند الأمام أحمد، الجزء الخامس، دار صادر (بيروت لات) ص234.

ومن المفيد الاشارة الى أهمية الاستطلاع والمعرفة المبكرة من خلال ممارسة ذلك من الولاة المسلمين في إدارة شؤون الرعية فقد أولى العرب المسلمون أهمية كبيرة لحاملي الأخبار فهذا زياد[1] بن ابيه يطلب من حاجبه ان لا يتدخل في اربعة امور ومن هذه الامور زائر الليل لأن هذا الزائر لا بد ان يكون معه شيئاً خطيراً وان لا لأنتظر حتى يأتي الصباح، والأمر الثاني هو رسول مواضع الحدود والأطراف فإن تأخير استلام معلوماته لساعة واحدة قد يضر بعمل سنة كاملة وعليه فلا حرج على دخوله على الوالي حتى وان كان الوالي في وقت راحته ونومه وقد قال زياد في ذلك: (وليتك حجابي وعزلتك عن اربعٍ هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجنه عني ولا سلطان عليه وصاحب الطعام فإن الطعام اذا اعيد تسخينه فسد وطارق الليل فلا تحجبه فشر ما جاء ولو كان خيراً ما جاء في تلك الساعة، ورسول الثغر فأنه ان ابطأ ساعة افسد عمل سنة فأدخله عليَّ ولو كنت في لحافي)[2]

ولا تتحدد أهمية الاستطلاع في الحصول على المعلومات التي تتعلق بالعدو بل تشمل أيضاً ما له علاقة بالرعية من أمور العدل والأمن والاقتصاد وهذا أمر مهم للحاكم أو الوالي لكي يكون على بينة من مجريات الأمور في

---

(1) زياد بن ابيه أمير من الدهاة والقادة الفاتحين والولاة من أهل الطائف اختلف في أسم أبيه فقيل عبيد الثقفي، وقيل أبو سفيان، والدته سمية وهي جارية ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري أيام امارته على البصرة ثم ولاه الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه إمرة فارس ولما توفي عليٌ رضي الله عنه امتنع زياد على معاوية بن ابي سفيان وتحصن في قلاع فارس وتبين لمعاوية انه اخوه من أبيه فكتب اليه بذلك فقدم زياد عليه والحقه معاوية بنسبه سنة 44هـ وكان عضيده الاقوى ووولاه البصرة والكوفة، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص162.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج1، ص114.

ولايته وكذلك من خلال الاستطلاع في الدول الحليفة والصديقة. تستطيع هذه الدول تحقيق نتائج إيجابية لمصلحتها كدول حليفة. وهذا ما يدعو إلى ضرورة التنسيق بين الدول الحليفة في الحصول على معلومات مبكرة تساعد في معالجة بعض الأمور قبل تفاقمها. وهذا يستوجب الاستمرار في عملية جمع المعلومات وفي كل الأوقات، والقيام بالزيادة والتعديل عليها، حتى لا تفاجأ بخطط ومخادعات الأعداء، فتؤخذ على حين غرة. (تفقد عدوك قبل أن يمتد باعه ويطول ذراعه وتكبر شكيمته وتشتد شوكته ويعضل داؤه ويعجز دواؤه)[1].

وبذلك يمكن تجنب المفاجأة من العدو الوقت نفسه يمكن انتزاع المبادرة منه أو حرمانه منها، مما يعرف في الوقت الحاضر بالضربة الاستباقية. (أن ما يلزم من آمر الجيش أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها ويتفحص أحواله حتى يخبرها فيسلم من مكره ويلتمس الغرة في الهجوم عليه)[2].

ومن المهم أيضاً عدم إهمال أية معلومة ترد عن العدو، بل ينبغي التعامل مع أية معلومات مهما كانت ضعيفة بإدخالها في دور التمحيص والتحليل وإخضاعها للمقارنة، وثم تقويمها، لأن العدو قد يستعمل الخدعة لتمرير نواياه (أن يطلع على ما يحدثه العدو من مكيدة أو يضمر من خديعة، أو يجمعه من مباينة فيأخذ من ذلك حذره ويعد له عدته فلا ينال منه غرة ولا يصاب منه غفلة فيهلك)[3]. وكما علينا أن نحذر من مفاجأة العدو علينا أن نستثمر أية فرصة سانحة ولو طال الوقت وفي ذلك ينصح الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (ت 429هـ) الأمثال. (القاهرة لات) ص66.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية (بيروت، 1985) ص45.

(3) الماوردي، نصيحة الملوك، المصدر السابق، ص480.

القائد الإسكندر المقدوني: (افترص من عدوك ولا تسأمن من مطاولة عدوك، فإن في الانتظار تمكنا من فرصة أو بصر بعورة، وأعلم أن الدنيا دول)[1].

ومن المهم في الاستطلاع الانتباه إلى اليقظة وعدم الغفلة أو الاشتغال ببعض الأمور التي تحول الاهتمام عن رصد العدو. وعند الالتزام بهذه المبادئ سيبقى العدو تحت الرصد والمراقبة من العناصر التي تقوم بالاستطلاع وهذا ما يؤدي إلى النتائج المتوخاة. (.. استعمال اليقظة وترك التناوم والغفلة والاشتغال بشيء من اللذات والملاهي، ما لم يفرغ من الحرب وينتهي من هذه الأمور، ولا يرضى حتى يجعل على العدو في كل أحواله عيناً راقبة وآذاناً واعيةً..)[2].

وكذلك على مسؤول الاستطلاع أن يحيط إحاطة جيدة بطبائع عدوه وعاداته من اذ المطاولة والأسلوب في استمرار القتال. (أن يقف على رسوم العدو في وقائعهم. فمن الأعداء من رسمه في ذلك المغالبة، بحملةٍ، أو حملتين أو ثلاث ثم يولي إذا لم ينفذ له ما يريد)[3].

كما وضع المفكر الصيني الشهير (صان تسو)[4] مبدأً مهماً في كتابه الموسوم (فن الحرب) الذي كتب فيه: (أعرف عدوك وأعرف نفسك، وعندها لا خطر عليك أبداً من خوض مئة معركة). [5]

---

(1) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أو العباس أحمد بن القائم خليفة (ت 668هـ) عيون الأنباء في طبقات الأطباء. مطبعة الذهبية (القاهرة 1299هـ) ص99.

(2) الماوردي: نصيحة الملوك، المصدر السابق ص479.

(3) الماوردي: نصيحة الملوك، المصدر السابق ص482.

(4) صان تسو: قائد وفيلسوف صيني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. ألف كتابه المعروف بـ (فن الحرب) الذي بقي يعتبر أهم رسالة عسكرية في آسيا خلال الألفي عام الماضية. ينظر: المؤلفات التراثية العسكرية السبع للصين القديمة. ترجمها إلى الإنكليزية رالف سويز. وترجمها للعربية فالح عبد القادر، وزارة الدفاع العراقية ص243.

(5) A BRIEF GUIDE TO INTELLIGENCE PRINCIPLES AND PRACTICE ISSUED BY BRITISH SCHOOL OF SESVICE INTELLIGENCE –1982 PAGE 7.

ومن إحدى مهام الاستطلاع هي الربط بين فعاليات العدو المرصودة من عناصر الاستطلاع ومن ثم التحليل والاستنتاج والخروج بعد ذلك بالتنبؤ بعمل العدو القادم أي تخمين ما سيقوم به العدو من أعمال. ويظهر أن الشاعر الإنكليزي الشهير شكسبير[1] هو أحد الأوائل الذين اقتربوا من المعنى الحديث لكلمة التنبؤ. فنجد شخصيته ما كبث في المسرحية الموسومة (ماكبث) يتحدث مع الساحرات وهو عائد من أحد المعارك وكانت هذه الساحرات قد اخبرنه أنه سيصبح نبيلاً ثم ملكاً. فرد عليهن مستفسراً عن أساس هذا التنبؤ. وفعلاً بعد مدة أصبح نبيلاً فسعى إلى تحقيق الجزء الثاني من التنبؤة ليصبح ملكاً، فقتل ملك اسكوتلاندا المدعو (دانكن) عند حلوله ضيفاً عليه في قلعة ماكبث[2].

والمثال التقليدي المعاصر لقيمة الاستطلاع من خلال الخبرة بجيوش الأعداء هي المشورة التي قدمها العقيد (فون روين) إلى هيتلر. وفون روين كان مسؤولاً عن شعبة الاستطلاع عن القوات الأجنبية في الجيش الألماني. وكان قد خبر سياقات عمل الجيوش البريطانية والفرنسية في ظروف الحرب. فكانت مشورته: (في حالة غزو بولندا من الجيوش الألمانية في عام 1939 فإن البريطانيين والفرنسيين سوف لا يهاجمون ألمانيا بل سيكونون منتظرين لبعض الوقت) وذلك لما عهده في هذه الجيوش من التباطؤ في ردود أفعالهم، من خلال معرفته السابقة.

---

(1) شكسبير، وليام (1564-1616) كاتب مسرحيات وشاعر وهو أشهر ما عرف العالم من كتاب الدراما. وشعره أحسن كتب من الشعر باللغة الإنكليزية، وقد ترجمت أعماله إلى لغات عديدة. يتمتع شكسبير جماهيرية عالمية على مستوى القراء. ينظر: WORLD BOOK, VOLUME 17 P. 268 المصدر السابق.

(2) WILLIAM SHAKESPEARE MACBTH. EDITED BY BERNARD LOTT M. A. LONG MANS LONDON 1967 P. 17.

ولذا فإن ثلاثاً وعشرين فرقةً عسكرية ألمانية من الفرق الضعيفة فقط تركت في الساحة الألمانية لتواجه مئتي وعشر فرق حليفة عند اجتياح القوات الألمانية للأراضي البولندية. ولو أن الفرق العسكرية الحليفة تحركت في حينه لأمكنها من اكتساح ألمانيا بأسرها في خريف عام 1939[1].

(1) BRIEF GUIDE TO INTELLIGEWCE المصدر السابق p. 16.

الفصل الثالث

عناصر الاستطلاع والشروط الواجب توافرها بها[1]

نعني بعناصر الاستطلاع جميع المصادر والوكالات التي توظف جهودها في جمع المعلومات المختلفة عن العدو والأرض والطقس، والمقصود بالأرض ساحة القتال/ الحركات/ العمليات. وهذه هي العناصر الرئيسة للاستطلاع، وما تأتي به من معلومات يعد ركناً أساسياً من الأركان التي تعتمد عليها خطط القادة العسكرية في مختلف مستوياتهم. أما المصادر والوكالات تعني الآتي:

1- **المصدر:** هو منبع المعلومات التي تؤخذ[2] منه. وهو الشيء أو الشخص الذي تؤخذ منه المعلومات.

2- **الوكالة:** هي أية هيئة أو أي فرد يتمكن من جمع ومعالجة المعلومات وإنتاج الاستخبارات[3].

---

(1) توافرها بها: يقصد توفر الشروط في العناصر.

(2) كراسة الاستخبارات الأساسية. رئاسة أركان الجيش. دائرة التدريب. مديرية التطوير القتالي. الطبعة الثانية. آذار (بغداد 1992) ص11.

(3) المصدر نفسه ص11.

وبدون المعلومات الدقيقة المستحصلة من عناصر الاستطلاع المؤهلة عن العدو لا يمكن للقائد الميداني أن يضع خطة رصينة لمواجهة عدوه. لأن أية خطة من هذا النوع ستفتقر إلى المعرفة الدقيقة بنوايا العدو المقبلة. فضلاً عن التفاصيل الأخرى ذات الصلة بقوة العدو من حيث العدة والعدد.

ومن المفيد تحديد المواصفات المطلوبة بعناصر الاستطلاع بحسب المستوى الآتي:

- المواصفات الخاصة بالعيون.
- المواصفات الخاصة بالطلائع.
- المواصفات الخاصة بالكمناء.
- المواصفات الخاصة بالرسل.

1- المواصفات الخاصة بالعيون[1]:

أ- أن يكون مشهوداً لهم بالصدق والثقة بنصائحهم. لأن المشكوك في أمرهم من حيث الصدق والنصيحة سوف لن يستفاد من معلوماتهم التي ستكون عرضة للريبة والشك حتى وإن صدقوا في معلوماتهم. (أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه. فإنه يتوجه إلى العدو، وإذا كان متهماً لا يقتنع بخبره، وإن كان صادقاً، لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه فلا يعمل بقوله فتفوت فيه

(1) العين هي حاسة الرؤية وهي مؤنثة وجمعها أعين وعيون. والعين أيضاً عين الماء والعين هي الديديان والجاسوس. وعين الشيء ضياؤه. ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 666هـ) مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان 1410هـ-1981م (ص466-467). الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، لا ت، ج4، ص151.

النصيحة بسبب ذلك. بل ان كان غير ناصح فإنه يعود بالضرر على مرسله لأنه يكون عيناً عليه لا له)[1].

ب- أن يكون ذا حس استخباري وفطنة وذكاء، لكي يستوعب بعقله وذكائه أحوال خصمه حتى وإن حاول ذلك الخصم كتمان الأمور عنه وإخفائها. (أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو وبالمشاهدة ما كتمه عن المنطق به يستدل ببعض الأمور على بعض فإذا أخذ بالفراسة في أمر ثم لاح له أمر آخر قوي عنده واعتقد بانضمام بعض القرائن إلى بعض)[2].

ج- أن يكون ذا دهاء وصاحب حيلة وخدعة بحيث لا يغفل عن أمر قد يؤدي به إلى فخٍ معادٍ، وعليه أن يكون منتبهاً لكافة الخيارات المفتوحة أمامه ولا يقع فريسة عدوه الذي بدوره يقوم بالتخطيط لأجل الإيقاع به. (أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ويدخل بحيلته إلى كل مدخل. فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب ربما ظفر العدو به)[3].

د- أن يتصف بمعرفة الظروف المحلية للبلاد التي يعمل فيها بحيث يكون ملماً بالعادات والتقاليد لتلك البلاد حتى لا يضطر إلى السؤال والاستفسار عند تنقله بين أبناء البلاد المقصودة. (أن يكون له دراية بالاسفار ومعرفة البلاد التي

---

(1) الأنصاري: عمر بن إبراهيم الأوسي (تفريج الكروب في تدبير الحروب). تحقيق جورج سكانلون (القاهرة 1961) ص17. الهرثمي، صاحب المأمون أبو سعيد الشعراني (ت 234هـ-848م) [مختصر سياسة الحروب] تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة (مطبعة مصر 1964) ص24.

(2) الأنصاري. مصدر سابق. ص17.

(3) الانصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، المصدر السابق، ص17.

يتوجه إليها فيكون غنياً عن السؤال عنها وعن أهلها. فإنه إذا سأل ربما تنبه له العدو وفطن به فيكون ذلك سبباً لهلاكه)[1].

هـ- ينبغي على العين معرفة لغة أهل المنطقة التي سيعمل فيها ليتمكن من فهم ما يسمعه عند اختلاطه بأهلها. ومع ذلك ألا يكون العين من جنس العدو، فإن الأشخاص من جنس واحد ينحازون إلى بعضهم بالفطرة. وقد عني النبي محمد صلى اللـه عليه وسلم فأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود. وفي هذا يقول زيد: (أمرني رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية)[2]. (أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها ليلتقط الكلام الذي يسمعه ممن يخالطه من العدو، ومع ذلك لا يكون من جنس العدو، فإن الجنس يميل إلى الجنس بالطبع)[3].

و- أن يكون العين متصفاً بالصبر والتحمل. وهذا يتطلب إعداد وتدريب العيون حتى ترتقي إلى المستوى المطلوب واللياقة كي يستطيع مقاومة إجراءات العدو القاسية. كما ان التحمل والصبر يساعدان العين على إنجاز مهمته بنجاح. فظروف الجوع والعطش وأساليب العدو التعسفية المحتملة عند وقوع العين بيده قد يجعل العين أسير شبك العدو ومن ثم يؤذي نفسه ويضر بجيشه. (أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من العقوبة إذا ظفر به العدو حتى لا يخبر بأحوال مرسله، ولا يطلع على وهن فيه وفي عسكره)[4].

---

(1) المصدر نفسه ص18.

(2) اللواء جمال محفوظ، المدخل إلى القيادة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976. ص156.

(3) المصدر نفسه ص18.

(4) اللواء جمال محفوظ، المدخل إلى القيادة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، المصدر السابق، ص18.

ز- أن يكون العين من ذوي الإيمان والأمانة في القضية والمهمة المكلف بها بحيث يكون محصناً من احتمال استمالة العدو له فيصبح منقلباً على جيشه وبلده. (ذكروا عن بعض الحكماء في الحرب أنه كان يصير جاسوس عدوه جاسوساً له)[1].

2- المواصفات الخاصة بالطلائع[2]

(الطليعة هي الخيالة التي تتقدم العسكر لاستطلاع الأخبار وكشفها. وسميت بذلك الطلائع لاطلاعها على خبر العدو وتسمى الكشافة أيضاً لكشفها الخبر)[3].

أما مواصفات الطلائع فهي:

أ- أن تكون عناصرها متصفة بالاحاطة الوافية حول مجريات الحرب، فإن نجاح الطليعة يعني نجاح الجيش في الحرب. (ينبغي أن يختار للطليعة رجال النصح والمعرفة بمواقف الحروب فإن النصرة متى حصلت للطليعة كانت النصرة العسكرية غالباً)[4].

---

(1) الهرثمي: (مختصر سياسة الحروب) مصدر سابق ص24.

(2) الطلائع: هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس. واحدهم طليعة وقد تطلق على الجماعة. والطلائع الجماعات. قال الأزهري: وكذلك الربيئة والشيقة والبغية بمعنى الطليعة، كل لفظة منها تصلح للواحد والجماعة. ابن منظور (لسان العرب) ج10، ص107.

(3) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب. مصدر سابق ص51.

(4) المصدر نفسه، ص51.

ب- أن تكون خيولهم سريعة الجريان وظهورها[1] سليمة وحوافرها جيدة ومن جنس واحد وغير جامحة. (أن تكون خيولها سوابق جيدة الظهور سالمة الحوافر ليس بها جماح)[2].

ج- تأليفها غير محدد العدد ويكون وفقاً للظروف والواجب. ويفضل ألا يكونوا أقل من ثلاثة لتأمين إيصال الخبر إلى قيادة الجيش ولتوافر الأمن. (ألا يكونوا أقل من ثلاثة: أحدهم يأتي بالخبر واثنان يتقدمان إلى العدو ليحفظ كل واحد منهم ظهر صاحبه)[3].

د- ينبغي عليهم السير في الأرض الصلبة المستوية الخالية من غبار وجبال كيلا تحجب عنهم رؤيتهم للعدو ورصده. وفي حالة وجود غبار وجبل في المنطقة نفسها فبإمكانهم فرز مجموعة منهم للرصد من أعلى الجبل. (والأحسن أن يكون مسيرهم في أرض مستوية ليس فيها غبار إن أمكن، فإن احتاج الأمر إلى الصعود إلى مكان عال من جبل أو نحوه، صعد البعض وبقي البعض في الأرض المستوية)[4].

هـ- أن يكونوا خفافاً لا يحملون معدات ثقيلة كالدروع والترس مما يعرقل حركتهم وكذلك عدم حمل أثقال إضافية وغير ضرورية على سروج خيولهم.

---

(1) ظهورها: الظهر من كل شيء خلاف البطن. والظهر من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، ينظر، محمد بن ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص406.

(2) الأنصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، المصدر السابق، ص51.

(3) الهرثمي. مختصر سياسة الحروب. مصدر سابق ص49.

(4) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب. المصدر السابق ص52.

(لا يلبسون الدروع ولا يحملون الترس ولا يكون مع أحد منهم ثقله ولا فضول[1] من الظهر)[2].

و- وعلى الطليعة ألا تندفع إلى أكثر من ثلثي المسافة فيما بينهم وبين قوات عدوهم. (ولا ينتهي الطليعة في السير إلى أكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين العدو، وعليهم ألا يسرعوا إلى جهة العدو متوغلين في جهتهم)[3].

ز- أن تكون عناصر الطليعة من المنتبهين إلى تصرفات العدو وحيله حتى لا يقعوا في الشراك التي قد يستعملها عدوهم كأن يظهر تراجع قسم من قوته في الوقت الذي ينوي فيه إيقاعهم في شرك من خلال توريطهم في ملاحقته وهو يفتعل الهزيمة لا سيما إلى جهة غير جهة عسكره. (وإن أظهر العدو هزيمة بين أيدي الطليعة فلا يتبعوه، فإنه لربما كان هناك كمين يخرج عليهم لا سيما إذا كانت هزيمة طليعة العدو في غير جهة عسكر العدو)[4].

ح- على الآمر العسكري ومسؤول الطليعة وضع إشارات معينة متفق عليها بينهما تخص العدو. (ينبغي لمن يأتي بالخبر إذا وقعت الإحالة بينه وبين العسكر بعدو أو نحوه أن يكون بينه وبين صاحب العسكر إشارات يفهم منها مقاصده)[5].

---

(1) الفضول: الفضل والفضيلة معوف ضد النقص والنقيصة والجمع فضول. ابن منظور (لسان العرب) ج14، ص39.

(2) الهرثمي. مختصر سياسة الحروب. مصدر سابق ص49.

(3) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب. مصدر سابق ص52.

(4) المصدر نفسه ص52.

(5) المصدر نفسه ص53.

3- المواصفات الخاصة بالكمناء[1]

تعدُّ عمليات الكمائن من العمليات الخاصة التي تتطلب مواصفات معينة ينبغي توافرها في عناصرها لأجل أن يتمكنوا من تنفيذ هذه الكمائن بنجاح. هذا من جانب فضلاً عن توافر صفات بخيولهم وكذلك الأماكن التي يتم نصب الكمين فيها ومن المواصفات:

أ- يكون رجال الكمين من الشجعان والمهرة بفنون الحرب والقتال لأن عملياتهم تنجز بعيداً عن بقية جيشهم وهم بذلك يمثلون قوة منعزلة تعمل لوحدها وبإمكانياتها الذاتية على الأغلب. (أن يكونوا أشجع فرسان العسكر وأدربهم بالحرب وأعرفهم بالتجارب، فإنهم ينفردون عن العسكر ويكونون في مكان ليس لهم فيه من يعينهم ولا ينجدهم من أهل العسكر لبعدهم عنهم)[2].

ب- أن يكون آمر قوة الكمين على مستوى عال من التدريب والتدبير عارفاً بالمواقع الصالحة للاختفاء وذا إبداع ذاتي يستطيع معه التعامل مع المواقف المختلفة. (أن يكون عليه مقدماً عارفاً بأمور الحروب، عالماً بالأماكن الصالحة للاختفاء)[3].

---

(1) الكمناء: كمن كموناً اختفى وكمن له يكمن كموناً وكمن استخفى وكمن فلان إذا استخفى في مكمن وكمن فلان لا يفطن له. وأكمن غيره أخفاه. وفي الحديث جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر (رضي الله عنه) فكمنا في بعض حرار المدينة أي استترا واستخفيا. والكمين في الحرب معروف، والحرار جمع حرة وهي الأرض ذات الحجارة السود. ابن منظور. لسان العرب، ج17، ص240.

(2) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب، المصدر السابق ص71.

(3) المصدر نفسه، ص71.

ج- في حالة استعمالهم للخيول ينبغي أن تكون هذه الخيول أكثر سلامة من خيول الطلائع من حيث جودة ظهورها وحوافرها وصهيلها لأهمية عامل الكتمان والاختفاء في نجاح الكمين. (وأما خيولهم فيتعين أن تكون ثابتة الحوافر، سالمة الظهور عرية عن الحرن والجماح وأن لا يكون فيها من الخلق ما يستدل به عليهم حال إكمانهم من الصهيل ونحوه)[1].

د- على مجموعة الكمين أن تخرج راصداً أمامياً يطلع على أخبار العدو ويصيرها بدوره إلى جماعة الكمين. ويلاحظ في الراصد أن يكون موثوقاً وصاحب فطنة. (أول ما يتعين على أهل الكمين أنهم يقيمون لهم ديدباناً[2] يطلع على أخبار العدو ومتجددات أمور العسكر ويعرفهم بذلك ويجب أن يكون ذلك الديدبان ممن يوثق به ويتحقق نصيحته)[3].

هـ- أن يتحلى عناصر الكمين بالانضباط العالي وعدم الحركة أو القيام بأعمال يستطيع العدو من خلالها كشف الكمين مثل صيد الحيوانات أو التعرض لها. (وعلى أهل الكمين أن يتجنبوا التعرض للصيد من الطير والوحش مما حولهم فإن ذلك مما يوجب نفار الطير والوحش)[4].

و- على الكمين ألا يظهر إلا خلسة ومن خلال استغفال العدو وعليه الاستفادة من الظرف الملائم فلا يتحرك إلا في ساعات الصيف الأشد حراً أو في ساعات الشتاء الأشد برداً. (لتكن ساعة ظهورهم من المكمن بالغدوات في

(1) المصدر نفسه، ص71.
(2) الديدبان: هو الطليعة والشيفة. أبن منظور (لسان العرب) ج1 ص360.
(3) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب. مصدر سابق، ص72.
(4) المصدر نفسه، ص72.

حال الغفلة مـن عـدوهم وعنـد حطهـم عـن دوابهـم وأمراحهـا، وعنـد انتـشارهم واغترارهم[1] في أحر ساعة تكون في أيام الصيف وأبرد ساعة تكون في أيام الشتاء)[2].

ز- أن يتم توزيع عناصر الكمين على شكل مجموعات منتشرة على مـساحة بحيث تكون هذه المجموعات متقاربة مع بعضها حتى تكون رجعتهم أو تجمعهم سريعاً. (ليكن المكمن كراديس منتشرة متقطعة من غير أن يبعد بعضهم عن بعض ولتكن حملتهم عن صدق وانكماش من غير دهشة ولا اختلاط ليسعوا الرجعـة إلى الموضع الذي أبعدوا عنه)[3].

4- المواصفات الخاصة بالرسل[4]

مـن وسـائل جمـع المعلومـات عـن الآخـرين الرسـل هـؤلاء الـذين ينقلـون الرسـائل الـشفهية منهـا أو التحريريـة بـين مـسؤولي الـدول أو بـين القبائـل أو المجموعات وهؤلاء الرسل بلا شك يحتلون مكانةً مهمةً لما لدورهم مـن خطـورة في العلاقات المشتركة بين الجهات التي يعملون معها من ملـوك وقـادة وشـيوخ قبائـل وغيرها. ومن الصفات التي ينبغي توافرها بهم:

---

(1) اغترارهم: غر: الغر والغرة من الغار والتغرة والغار الغافل. وفي الحديث فرأوا من المـسلمين غـرة فصلى صلاة الخوف، الغرة الغفلة أي كانوا غافلين. ينظر: ابن منظور، لسان العـرب ج6، ص320-350.

(2) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب. مصدر سابق ص50.

(3) المصدر نفسه ص51.

(4) الرسول: بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر. ويقال هي رسولك وتراسل القوم أرسـل بعـضهم إلى بعـض. والرسول الرسالة والمرسل. ابن منظور. (لسان العرب) ج13، ص301.

أ- أن يكـون الرسـول ذكيـاً وذا بـصيرة وحكمـة ولـه اطـلاع بوظيفتـه ومـن الصادقين المعروفين بالثقة والأمانة والدقة فقـد قـال اردشـير بـن بابـك أحـد ملـوك الفرس (كم من دم سفكه الرسول بغير حلة وكم جيوش هزمـت بـذلك وقتـل أكـثر وكم حرمة انتهكت ومال قد نهب وعهد قد نقض بخيانة الرسل وأكاذيب ما يـأتون به)[1].

ب- أن يتصف الرسول بالنزاهة والعفة وعدم الطمع حتـى لا يتـأثر بـبعض الأمور التي تفسد مهمته جراء تغليب مصلحته الذاتية على أمانة مهمته فقد سـأل الاسكندر رسولاً عن سبب رسالة بينه وبين ملك آخر فأجابه ذلك الرسول: «فذكر أن ذلك وقع منه لتقصير من الملك في حقه). فقـال لـه الاسـكندر (فـأراك لنفـسك قـد سعيت لا لنا)[2].

ج- أن يكون جريئاً ومندفعاً وشـجاعاً وبعكـسه فإنـه قـد لا يـستطيع نقـل القضايا المحرجة إلى الجانب الثاني خوفاً من النتيجـة التـي قـد تجلـب الأذى عليـه، فقد يحمل الرسول رسائل تجعل الطرف الثاني يغضب وقد يقدم على قتله.

د- أن يكون الرسول محيطـاً بأصـول المخاطبـة والتحـدث وسريـع البديهيـة بحيث يستطيع الإجابة وإقناع المقابل بما يعرضه مـن رأي. (أن يكـون عالمـاً بمواقـع الخطاب والجواب أما الخطاب إذا كان عارفاً بمواقفه أو در الكلام في موقعـه، وقـام بالحجة على من أرسل إليه)[3].

(1) الأنصاري. تفريج الكروب في تدبير الحروب، مصدر سابق، ص21.
(2) المصدر نفسه، ص22.
(3) الانصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، المصدر السابق، ص23.

هـ- أن تكون للرسول خبرة وتجربة متراكمة من خلال اجتيازه لفحوص من ملكه ورئيسه لا سيما إرسال عين للملك معه للتأكد من سلامة تصرفه. (على الملك أن يمتحن رسوله لمدة طويلة، قبل أن يوجهه في رسالة ليعلم حقيقة ماله)[1].

و- وخلاصة القول في الرسول، أن يكون صورة مرسله والناطق بأسمه على أن يلاحظ في الرسول روعة منظره ورجاحة عقله وسرعة البديهية، له من الذكاء والفطنة ما يمكنه من التصدي للمواقف غير المتوقعة، وصاحب ثقة وأمانة ومحافظاً على الأسرار، عفيفاً في المال والجاه ولا يتعاطى المنكرات من خمر وميسر وبعكس ذلك فسيكون الرسول عالة على نفسه وأميره وبلده. (فلا يرسل إلا من يرضى أن يكون صورته الممثلة عند عدوه، ولسانه الناطق بحضرته فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر، كامل المخبر، صحيح العقل، حاضر البديهة، ذكي الفطنة، فصيح اللهجة، جيد العبارة، ظاهر النصيحة، موثوقاً بدينه وأمانته، مجرباً منه، حسن الاستماع، كتوماً للأسرار، عفيفاً عن الأطماع، غير منهمك في الفواحش والسكر والشراب، فإنه في كل هذه الخلال عوائد يعود نفعها على الملك والمملكة إذا وجدت في الرسول، وفي اضدادها ضرر عليهما)[2]. واختيار الرسل مأخوذ عن الله عز وجل حيث اختار لكل رسالة أفضل أهل زمانه.

---

(1) المصدر نفسه ص24.

(2) الماوردي، نصيحة الملوك، تأليف أقضى القضاة، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (ت 450هـ-1058م) تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، 1986، ص501.

5- **وسائل أخرى للاستطلاع**

هناك وسائل اخرى للاستطلاع تتعلق بنقل المعلومات بما لـه علاقـة بـداخل الدولة وخارجها منها:

أ- البريد.

ب- الحمام الزاجل.

ج- مناور النار.

د- الاستطلاع الشخصي (تفقد أحوال الرعية).

أ- البريد[1]**:** يرى قـسم مـن المـؤرخين أن تأسـيس معاويـة بـن أبي سـفيان لديوان البريد، كان خطوة أكثر تقدماً في طريق تطوير نظام الاستخبارات[2]. وكـما هو معروف، فإن البريد كان يتحدد بنطاق الرسائل الرسمية بـين المركـز والأقـاليم وبالعكس. وقـد اسـتعملت للبريـد وسـائل مختلفـة للاتـصال مـن جـمال وبغـال وطيور ونيران ودخان وطبول ومرايـا، واتـسع مفهـوم البريـد فأصـبح يـشمل كـل الأخبار الداخلية والخارجية التي يـتم الحـصول عليهـا بوسـائل جمـع المعلومـات عـدا القتـال، وهـذه تـشمل التـسلل والحيلـة والـذكاء وكـذلك المعلومـات التـي تخص الرعية والولاة والعدالة والاسـتقرار والفـساد (وقـد ابتكـرت للبريـد طـرق مختلفة للاتصال من جمال وبغال وطيور ونيران ودخان وطبـول ومرايـا.. وكانـت

(1) البريد: هو الرسل على دواب البريد والجمع برد، وبرد بريداً، أرسله وفي الحديث أنـه صـلى اللــه عليه وسلم قال إذا أبردتم أي بريداً فأجعلوه حسن الوجه حسن الأسم. البريـد الرسـول وابـراده إرساله، وقال بعض العرب الحمي بريد الموت اراد أنها رسول الموت تنذر به. وصاحب البريـد قـد ابرد إلى الأمير فهو مبرد والرسول بريد. بن منظور. لسان العرب ج4، ص53.

(2) المصدر نفسه، . ج4 فص7، ص104.

صلاحيات صاحب البريد واسعة وتشمل كل الأخبار الخارجية والداخلية)[1].
وبمرور الوقت بالدولة الأموية وضعف خلفائها المتأخرين، انسحب ذلك سلباً على الاستخبارات والأمن فيها، حتى قال أحد أمراء بني أمية (... وكان زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بها)[2]. ويقال أن الخليفة أبا جعفر المنصور سأل أحد أنصار بني أمية عن سبب انهيار دولتهم فأجابه: (من تضييع الأخبار)[3]. فضلاً عن كون البريد كرسول، فإن المفهوم منه مسافة معروفة مقدرة باثني عشر ميلاً أو أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال (فالمراد منه مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلاً وقد قدره الفقهاء وعلماء المسالك بأنه أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف الذراع)[4].

ب- الحمام الزاجل[5]: وأكثر من اهتم بالحمام الزاجل في نقل الرسائل هم خلفاء بني العباس، ويقال في رواية تاريخية أن هذا النوع من الحمام هو الذي نقل في سنة 212هـ نبأ أسر بابك الخرمي إلى الخليفة المعتصم. (واطلقت الطيور إلى المعتصم وكتب إليه بالفتح)[6]. وبعد ذلك اهتمت الدولة العربية الإسلامية

(1) الدكتور فاروق عمر فوزي، الجيش والسلاح، ج3/فصل 7 ص104.
(2) المصدر نفسه ج4/ فص 7 ص105.
(3) المصدر نفسه ج4/ فص7 ص95.
(4) القلقشندي، صبح الاعشا في كتابه الانشا. أبي العباس احمد بن علي القلقشندي (ت 812هـ -1418م) ج4، ص366.
(5) الحمام الزاجل: الزجل إرسال الحمام الهادئ من مزجل بعيد. زجل به يزجل وزجل الحمام يزجلها زجلاً إرسالها على بعد وهي حمام الزاجل، والزجال من الفارسية. ابن منظور، لسان العرب ج13، ص321.
(6) فاروق عمر فوزي، الجيش والسلاح. مصدر سابق، ج4 فص7، ص107.

بتربية الحمام الزاجل وسـيلةً للبريـد والاسـتطلاع واعتنـت العـرب بأنـساب الحـمام كاهتمامها بأنساب الخيول[1].

ج- المناور[2]: توصف المناور بأنها مواضـع رفـع النـار في الليـل والـدخان في النهار وذلك أن مملكة إيران لما كانت بيدهولاكو من التتار وكانت الحـروب بيـنهم وبين أهل هذه المملكة كان من وسـائل الأخبـار لهـذه المملكـة، أن وضـعوا أمـاكن مرتفعة من رؤوس الجبال توقد فيها النـار لـيلاً ويثـار فيهـا الـدخان نهـاراً للإشـارة بحركة التتار إذا أرادوا الحرب أو الإغارة عليهم[3]. وقد استعملت الدولـة الإسـلامية النار والدخان كوسيلة للاستطلاع، فشكلت مفارز ووزعتها على عـدد مـن الربايـا في المرتفعات وتقوم هذه المفارز برصد تحركات العدو ومن ثم ترسـل إشـارات متفـق عليها وكانت النار تشعل ليلاً والدخان نهاراً وينتقل الخبر من ربيئة إلى ربيئة حتـى يصل إلى مقر القيادة العامة وتشير الأخبار أن بدء استعمالها في عهد الخليفـة عمـر بن الخطاب رضي اللـه عنه اذ أمر معاوية بن أبي سفيان بعد فتح بلاد الشام[4].

(1) المصدر نفسه، ج3، فص7، ص107.

(2) المناور: أنار المكان وضع فيه النور والمناور والمنارة موضع النور والمنـارة هـي التـي يوضـع عليهـا السراج والجمع مناور على القياس. والمنار العلم وما يوضع بين الشيئين من الحدود. والمنار جمـع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين. ومنار الحرم أعلامه التـي مـر بهـا إبـراهيم الخليـل عليـه السلام على أقطار الحرم ونواحيه وبها تعرف حدود الحرم. والمنـار العلـم يجعـل للطريـق والحـد للأرضين من طين وتراب والمنار محجمة الطريق. ابن منظور. مصدر سابق ج7، ص 99-100.

(3) القلقشندي: صبح الاعشا في كتابه الانشا. مصدر سابق ج4، ص398.

(4) فاروق عمر فوزي. الجيش والسلاح. مصدر سابق ج4، ص112.

وبذلك تكون النار للأخبار بالحوادث ليلاً، والـدخان والحـمام للأخبـار نهـاراً والبريد مما يستجد من الأخبار اللاحقة.

د- الاستطلاع الشخصي (تفقد شؤون الرعيـة): وهـذه أدق وأعـلى درجـات الاستطلاع لأن الخليفة أو الملك أو القائد ينفـذ الاسـتطلاع بنفـسه ولا يعتمـد عـلى تقديرات غيره من الولاة أو القادة الذين يعملون تحت إمرته وفي ذلك نجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنه يتفقد الرعية ليلاً ليطلع بنفسه على حقـائق الأمـور. وما قصته مع تلك الأم وبيتها وصبيتها الجياع وكيف تعرف على حـالهم ونقـل لهـم الطحين والشحم وشارك في إعداد قدر الطعام وهـم لا يعلمـون أنـه أمـير المـؤمنين. كان عمر رضي الـلـه عنه مع رجل يدعى أسلم فقال (... يا أسـلم إننـي أرى هاهنـا ركباناً قصد بهم الليل والبرد انطلق بنا... فإذا بـامرأة معهـا صـبيان وقـدر منـصوبة على نار وصبيانها يتصايحون. سلم عمر رضي الـلـه عنه على المـرأة التـي أجابتـه أن الليل والبرد قد قصد بهم، فقال (وأي شيء في هذا القـدر.. قالـت مـاء أسـكتهم بـه حتى يناموا... والـلـه بيننا وبين عمر.. فقال أي رحمـك الـلــه. ومـا يـدري عمـر بكـم؟ فقالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا). فذهب عمر رضي الـلـه عنه بعض الوقت وجلب الطحين والشحم وساعد تلك المرأة في إعداد الطعام لأطفالها. ويقول أسـلم (كانـت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلالها حتى طبخ لهم. فقالت المرأة.. كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين)[1]. ويسجل التاريخ العـالمي مثـالاً آخـر عـن قيـام الحاكم بالتفقد لرعيته وهو الخليفة العباسي هارون الرشيد، فهذا الخليفة لم يخلده الأدب فقط بل التاريخ الإنساني فكان يسير متنكراً بين رعاياه يتفقد أحوالهم ليتأكد بنفسه من سير الأمور وفق معايير الحق والعدل[2].

(1) العقاد. العبقريات الإسلامية. دار الكتب اللبناني، بيروت 1974، المجلد الأول، ص410.

(2) Richand W. Rowum 33 centuries of Espionage London s. w. i. P. 35.

لأجل التعرف على أهمية الاستطلاع الشخصي والمشاركة الفعلية في عمليات الطلائع واستخدام المخادعة والكتمان وتحقيق أقصى فائدة من البريد يجدر بنا الوقوف على ممارسات القائد الإسلامي بيبرس المعروف بالملك الظاهر[1] الذي استطاع أن يستثمر ما تقدم آنفاً على أحسن وجه وكما يأتي:

أ- كان بيبرس على رأس الطليعة الفدائية في حرب المغول، فهو الذي خرج على رأس مقدمة الجيش إلى غزة حيث أنزل الهزيمة بالقائد المغولي (بيدرا) وهو الذي قاد الكمين في عين جالوت لاستدراج (كنبغا) والإيقاع به[2].

لجأ بيبرس الى حيلة حربية ليأخذ أهل عكا على غرة، وذلك بأن ألبس بعض جنوده بعض ملابس فرسان الداوية وألبس البعض الآخر ملابس الاسبتارية وكان نجحت الخطة فلم يشعر الصليبيون بالمسلمين إلا وهم على أبواب عكا[3].

ب- أرسل بيبرس إلى رجال حامية حصن الأكراد رسالة مزورة باللغة الفرنجية وأحسن سبكها حتى بدت في صورة أمر من مقدم الفرسان الاسبتارية

---

(1) الملك الظاهر: هو بيبرس بن عبد الله. السلطان الأعظم ركن الدين أبو الفتح الصالحي، ولد بأرض القبج سنة 625هـ كان جباراً في الأسفار والحصارات والحروب. بعد الوقعة في عين جالوت، اتفق مع الرشيدي على قتل المظفر (قطز) فقتلوه. . دخل قلعة الجبل وصفا له الملك في الشام. توفي سنة 676هـ ودفن قريباً من (داريا) وهي قرية كبيرة من غوطة دمشق. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات (ت 764هـ) تحقيق وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة، بمصر – مكتبة النهضة المصرية، ج1، 159-165.

(2) سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، مطبعة القاهرة بمصر، النشر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، فبراير 1963م، ص32-33.

(3) المصدر نفسه ص 68-69.

إلى رجال الحامية يأمرهم فيها بالتسليم للسلطان. . إن بيبرس سبق أن اتبع أسلوب الرسائل المزورة في الاستيلاء على حصن الشقيف ارتون سنة 1268م[1].

ج- ربما كانت رغبة بيبرس في إقرار العدالة التي دفعته إلى الخروج متنكراً بين حين وآخر للوقوف على أحوال رعيته وتفقد شؤونهم.. ومن ذلك أنه قام سنة 1264م بإحدى جولاته التفتيشية في أقليم الغربية فصار يسير منفرداً في خفية ويسأل عن والي الغربية الأمير ابن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشريه، فذكرت له عنه سير سيئة، فقبض عليه وأدبه وأقام غيره[2].

د- وحدث في سنة 667 هـ (1268م) أن خطر للسلطان بيبرس وهو بالشام أن يتوجه إلى مصر فجأة ليقف على أحوالها في غيابه، فارتدى بعض أسمال بالية ولبس خوجة مقطعة وتعمم بشاش دخاني عتيق حتى لا يعرفه أحد. وأخذ السلطان يتنقل من مدينة إلى أخرى في فلسطين، وهو في طريقه إلى مصر، فكان في كل مكان يتعرف على أخبار الولاة وسياستهم في الحكم. ولم يشعر أمراء السلطان في القاهرة وابنه الملك السعيد ألا وبيبرس وسطهم، في الوقت الذي كانت كتب السلطان تفد إليهم باستمرار لتوهمهم أنه في الشام. ويذكر المؤرخون أنه بلغ من حيطة بيبرس وحرصه على التنكر والتخفي لمفاجأة نوابه أنه كان يمضي أحياناً وقتاً طويلاً والناس بمصر والشام لا يعرفون شيئاً من خبر السلطان هل هو في الشام أو الحجاز أو غيرها. ولا يستطيع من مهابته والخوف منه أحد يتكلم. وقد حدث عندما عزم السلطان بيبرس على أداء

(1) المصدر نفسه ص 78.

(2) المصدر نفسه ص 129.

فريضة الحج أن أحاط ذلك بالسرية التامة، صرح أحد حجابه -وهـو الأمـير جـمال الدين بن الداية- بأنه يشتهي أن يتوجه إلى الحجـاز صـحبة الـسلطان، أمـر بيـبرس بقطع لسانه فما تفوه أحد بعدها بذلك[1].

هـ- لم يكن غريباً أن يهتم بيبرس بأمر البريـد، وهـو الـسلطان الـذي حـرص على أن يشرف إشرافاً دقيقاً على مختلـف أجـزاء دولتـه الواسـعة، وعـلى أن يراقـب أعداءه من المغول والصليبين مراقبة دقيقة تمكنـه مـن الخـروج إلـيهم وصـدهم في الوقت المناسب. لقد أجمعت المراجع على أن السلطان الظـاهر بيـبرس أهـتم بـأمر البريد اهتماماً فائقاً ونظمه تنظيماً دقيقاً، وأنفق في ذلك الأموال الطائلة حتى غـدا في عصره مثلاً بارزاً لما وصل إليه البريد في الدولة الإسلامية في العصور الوسطى مـن تقدم ورقي.

يروي ابن فضل اللـه العمري كاتب الإنشاء في دمشق أن السلطان الظـاهر بيبرس طلب منه مواصلته بالأخبار وموافاته بما يـستجد مـن أخبـار التتـار والفـرنج وقال له: «إن قدرت أن لا تبيتني كل ليلة إلا عـلى خـبر ولا تـصبحني إلا عـلى خـبر فأفعل».

وهكذا أصبحت قلعة الجبل في مصر مركزاً لشبكة ضخمة من طرق البريـد. وبلغ من دقة نظام البريـد في عهـد بيـبرس أن أخبـار الـشام كانـت تـصله مـرتين في الأسبوع، فصار يـتحكم في سـائر المماليـك مـن القـرى والولايـة وهـو مقـيم بقلعـة الجبل[2].

---

(1) سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، المصدر السابق، ص129-130.

(2) المصدر نفسه، ص137-138.

وكان خط البريد الذي يذهب إلى الشام يبدأ من قلعة الجبل إلى دمياط ثم غزة، ومنها إلى سائر بلاد الشام، وهناك خط من غزة إلى اللد ومنها إلى عين جالوت ثم إلى دمشق. هذا عدا الخطوط الأخرى المتجهة إلى حمص وحماة وحلب والرحبة وطرابلس وبيروت وصيدا وبعلبك... الخ[1].

وقد نظم السلطان بيبرس هذه الخطوط كلها بحيث كان كل خط منها ينقسم على مراحل أو محطات لا يزيد بعد إحداها عن الأخرى على ثمانية وعشرين ميلاً. وزودت كل محطة من هذه المحطات بما يحتاج إليه موظف البريد وخيولهم من ماء وطعام وعلف ومأوى[2].

إن الاهتمام بطرق البريد في عهد بيبرس وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل صيانتها وتأمينها وتوافر سبل الحياة والراحة لسالكيها، كان مظهراً قوياً من مظاهر استتباب الأمن في عهده كان يراعي في (البريدي) صفات أهمها: الأمانة المطلقة والذكاء والفطنة وقوة الذاكرة. فإذا كان الرسول متمكناً من عقله عالماً بما يأتي وما يذر، كفى ملكه مؤنة غيبته وأجاب عن كل ما يسأل عنه، وإذا كان بخلاف ذلك انعكست القضية ورجع على مرسله بالوبال[3].

المعروف أن إدارة شؤون البريد في مصر في ذلك الحين كانت من اختصاص ديوان الإنشاء، فكان صاحب هذا الديوان مسؤولاً عن تسلم الرسائل الواردة إلى السلطان وإبلاغها إليه، كما كان مكلفاً بتصدير الرسائل عن السلطان إلى مختلف أنحاء دولته[4].

(1) سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، المصدر السابق، ص138.
(2) المصدر نفسه ص138-139.
(3) المصدر نفسه ص139.
(4) المصدر نفسه، ص139.

ولكي يتميز عامل البريد بعلامة متميزة يعرفه بها أرباب المراكز فيسهلون له مهمته، جعلت هناك ألواح من فضة تحفظ لدى (الدوادار)[1]، ويتسلم البريدي أحدها عند خروجه فيعلق اللوح في عنقه بحيث يتدلى على صدره تحت ثيابه وتظهر الشرابة المربوط بها اللوح على ظهره فوق ثيابه. وبذلك يعرف كل من يرى هذه الشربة خلف ظهره أنه بريدي، ولا يزال كذلك حتى ينهي مهمته ويعود فيسلم اللوح إلى ديوان الإنشاء[2].

لم يقتصر عناية السلطان بيبرس على البريد، بل اهتم أيضاً بالبريد الجوي. لقد أنشئت للحمام محطات خاصة بها أبراج، فإذا نزلت الحمامة إلى البرج تلقاها البراج وأخذ الرسالة لينقلها إلى حمامة أخرى تطير بها لإيصالها إلى المحطة الآتية وهكذا. ومن الثابت أن المغول دمروا كثيراً من هذه الأبراج والمحطات الخاصة بالحمام الزاجل، عندما أوغلوا في بلاد الشام في رأوائل عصر المماليك، ولكن السلطان بيبرس أعاد إصلاحها وعنى بالبريد الجوي عناية لا تقل عن البريد البري. وقد روعي في الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل أن تكون على نوع خاص من الورق الخفيف وأن تكون مختصرة تحتوي ما قلَّ ودلَّ لا تعوق الحمامة عن الطيران السريع، وكانت الرسالة توضع عادة تحت جناح الحمامة أو ذيلها بطريقة خاصة، فإذا كانت الرسالة مهمة كتبت في نسختين وأرسلت مع حمامتين حتى إذا أضلَّت إحداهما الطريق أو قتلت أو افترستها الجوارح، أمكن الاعتماد على وصول الحمامة الأخرى[3].

---

(1) الدوادار: الكاتب (فارسية) ينظر: المنجد ط 27 دار المشرق بيروت، سنة 1984، ص228.

(2) سعيد عاشور –الظاهر بيبرس، المصدر السابق ص139-140.

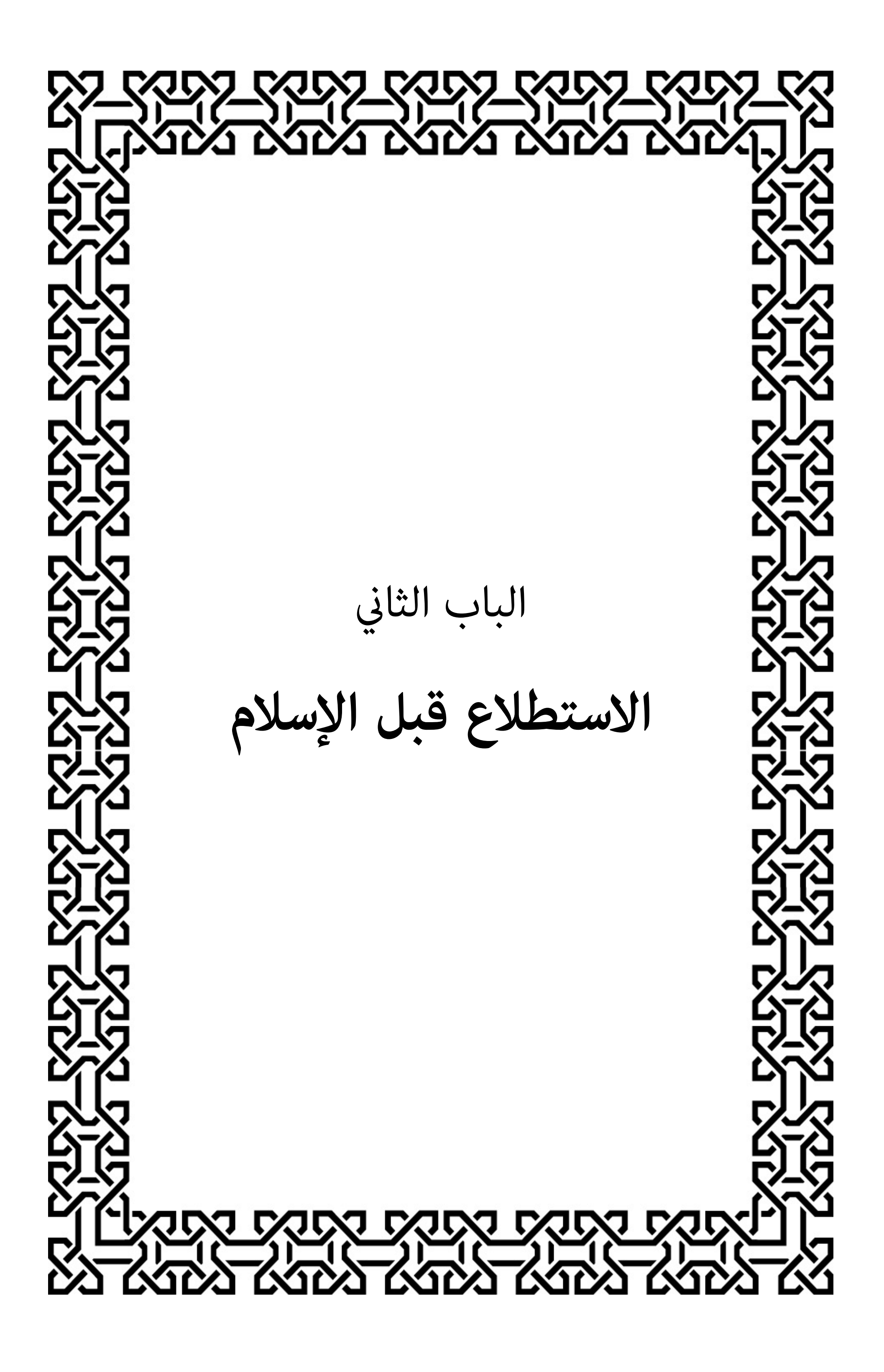
(3) المصدر نفسه ص140-141.

كانت قلعة الجبل في عهد بيبرس مركز أبـراج الحـمام الزاجـل مـثلما كانـت المركز الرئيس للبريد البري. ومن قلعة الجبل كانت تنتشر محطات البريد الجوي إلى الصالحية وغـزة ومنهـا إلى القـدس أو إلى دمـشق. ويبـدو أن الحـمام الزاجـل كـان يخصص لنقل الرسائل العاجلة والخطيرة، بحيث إذا وصـلت رسـالة مـع حمامـة إلى القلعة حملت الرسالة مباشرة إلى السلطان وعرضت عليه.

وهكذا تمكن بيبرس من الإشراف إشرافاً دقيقاً على أجزاء دولته وعـلى نوابـه وموظفيه في الأقاليم البعيدة عن طريق العنايـة بالبريـد. ولا شـك أن عنايـة بيـبرس بالبريد جاءت جزءاً متمماً لإصلاحاته الإدارية، وفي الوقت نفسه جـاء تـدعيم نظـام البريد في عهد بيبرس تدعيماً لتلك الإصلاحات وضماناً لحسن تنفيذها[1].

مما تقدم وجدنا أنه بواسـاطة الاسـتطلاع يمكـن لـسلطان الدولـة أو القائـد العسكري أن يتعرف على حقائق الأمور ويسبر أغوارها وهذا ما يساعده على اتخاذ القرار الصائب المستند على الواقع الملموس.

(1) سعيد عاشور –الظاهر بيبرس، المصدر نفسه ص141.



الباب الثاني

الاستطلاع قبل الإسلام

الفصل الأول

الاستطلاع والأنبياء

يمكن عَدَّ الإشارات الأولى للاستطلاع منذ بداية الخلق. فعندما خلق اللـه عز وجل آدم عليه السلام، طلب من الملائكة أن يخبروه بأسماء الذوات التي خلقها في الجنة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة:31].

فعجزت الملائكة عن معرفة تلك الأسماء: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة:32]. ثم استدعى الباري عز وجل آدم عليه السلام وطلب منه أن يخبرهم بالأسماء التي عجزوا عن معرفتها: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة:33] .

وبعد أن أدخل الباري عز وجل آدم وحواء الجنة ومتعهما بها أمرهما بعدم الاقتراب من شجرة معينة لكن وسوسة الشيطان لهما وحب الاستطلاع والفضول لديهما دفع بهما إلى مخالفة أمر اللـه تعالى فأبعدا عن الجنة ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ

اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:35]. ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:36].

وفي حادثة مقتل هابيل من أخيه قابيل، تبرز لنا أهمية الاستطلاع في كيفية حل معضلة القاتل الحائر في كيفية التصرف بجثة أخيه القتيل حتى جاءه الغراب فأطلعه على طريقة دفن الموتى: ﴿فَبَعَثَ اللـه غُرَابًا ﴾ [المائدة:31].

ما جاء في قصة النبي نوح عليه السلام والطوفان، يدل على تجسيد لعملية استطلاع متكاملة تبدأ من اللحظة التي أطلق فيها النبي نوح عليه السلام الغراب من سفينته التي كانت عائمة فوق سطح المياه لغرض التأكد من انحسار مياه الطوفان عن سطح الأرض. ولعدم عودة الغراب إلى السفينة قام النبي نوح عليه السلام بإرسال الحمامة للغرض نفسه وهو معرفة مدى انحسار المياه، فرجعت الحمامة ومعها ورقة زيتون في فمها وآثار طين في رجليها، فعلم النبي نوح عليه السلام أن مياه الطوفان قد بدأت تنحسر عن سطح الأرض فبدأت اليابسة تظهر من جديد.

وقد أكدت التوراة قيام النبي نوح عليه السلام بإرسال الحمامة للسبب نفسه المذكور آنفاً: «... فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم أن المياه قد قلت عن الأرض»[1].

(1) التوراة (الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط). سفر التكوين: الإصحاح الثامن (10-11) ص13.

وقال المؤرخ محمد ابن جرير الطبري (ت 310هـ)[1]: «قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه. فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا قبر حام بن نوح، قال: فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه... فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد جفت؟ «قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها... قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها، فعلم أن البلاد قد جفت. قال: فطوقها الخصرة التي في عنقها، دعا لها أن تكون في أنس وأمان، فمن ثم تألفت البيوت»[2].

وكذلك أكد الجاحظ (ت 255)[3] ما جاء آنفاً: «أما العرب والأعراب والشعراء فقد ذكروا أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده، وهي التي استعجلت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحلية ومنحها تلك الزينة بدعاء نوح عليه السلام اذرجعت ومعها ما معها من الطين

(1) الطبري: هو محمد بن جرير، أبو جعفر. (ت 310هـ-922م) مؤرخ موسوعي، مفسر، مقرئ، محدث، ولد في آمل (طبرستان) (225هـ)، تنقل بين إيران والعراق وسورية ومصر وأقام أخيراً في بغداد اذتوفي. اختار مذهباً في الفقه له (تفسير القرآن) (30 جزء)، (تاريخ الأمم والملوك)، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء ط2، 1930، مطبعة هندية بالموسكو ج423/2.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (االقاهرة، دار المعارف، 1967-1387) ج81/1.

(3) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 225هـ-867م). ولد وتوفي في البصرة. درس في البصرة وبغداد واطلع على جميع العلوم في عصره، نسبت إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى فرق المعتزلة، كان ثاقب البصيرة، متزن العقل، دقيق التعليل، حر الفكر. من مؤلفاته: (الحيوان) (في سبعة أجزاء)، البيان والتبيين). ينظر: ياقوت الحموي معجم الادباء، ج6 /51

والحمأة[1] في رجليها فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلان ومـن حـسن الدلالـة والطاعة وطوق العنق»[2]. و(لعن نوح الغراب)[3].

مما تقدم يمكننا تقريب الصورة التي تتعلق بموضوع انحسار مياه الطوفـان فنعـدُ سـيدنا نـوح عليـه الـسلام وكالـة اسـتطلاع والغـراب والحمامـة مـصدري المعلومات. ونعدُ قيام الحمامة بجلب ورقة الزيتون بفمها والطين برجليها، وثيقتـين لا يعتريهما الشك. كما نعدُ العملية بجملتهـا التـي اضـطلع بهـا النبـي نـوح عليـه السلام هي عملية تحليل دقيق لهذه المفردات التي توصل من خلالها (وهـي ورقـة الزيتون والطين) إلى استنتاج صحيح وهو بدء انحـسار الميـاه وجفـاف الأرض، بعـد ابتلاعها لمياه الطوفان. ومن ثم اتخاذه القرار الصحيح وهو نزوله مـن الـسفينة إلى البر، حسبما ورد في القرآن الكريم: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ [هود:48].

وهناك في قصة النبي إبراهيم عليه السلام أنموذج استطلاعي في التوصل إلى معرفة الـلـه الواحد الأحد جل جلاله من خلال منـاظرة مـع قومـه المـشركين عبـدة الأصنام، متدرجاً معهم من افتراض الوهيـة كوكـب ثـم ألوهيـة القمـر، ثـم ألوهيـة الشمس بديلاً عن أصـنامهم، والتـي دحـضها جميعـاً دفعـة واحـدة بـسبب أفولهـا وزوالها عندما لاحظ تبدلها من حـال إلى حـالٍ فـأعرض عنهـا وآمـن بالإلـه الواحـد

(1) الحمأة: الطين الأسود. ينظر الـرازي محمخـد بـن أبي بكـر بـن عبـد القـادر (ت 666هـ) مختـار الصحاح، الكويت، دار الرسالة 1983، ص153.

(2) الجاحظ: كتاب الحيوان، بيروت، نشر المجمع الطبي العربي 1949-1950، ج195/3.

(3) محمد بن حيان البستي (ت 354هـ) روضـة العقـلاء ونزهـة الفـضلاء (القـاهرة ط1، 1328هـ) ص93.

رب السموات والأرض وخالق الكون بما فيه من كواكب وأقمار وشموس، وكما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام:76-78].

لقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى الاستطلاع في زمن النبي موسى عليه السلام عندما ضل الطريق بصحبة زوجته وكان متجهاً من مدين إلى مصر. وأخذ زوجته الطلق اذكان في ليلة مظلمة باردة فرأى نوراً يتوهج من بعيد فقال لزوجته: (امكثي في مكانك وأنا ذاهب لعلي آتيكم بخبر عن الطريق إذا وصلت مكان النور أو آتيكم بشعلة مقتبسة من تلك النار)[1].

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [النمل:7]. ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص:29]. عند ذلك أبصر ناراً بعيدةً فسار إليها لعله يجد من يدله على الطريق، فذلك قوله تعالى (لعلي آتيكم منها بخبر) أي لعلي آتيكم بخبر عن الطريق وأرى من يدلني عليه. فلما وصل إلى مكان النار لم يجدها ناراً وإنما وجدها نوراً وجاءه

(1) الصابوني صفوة التفاسير، مرجع سابق. المجلد الثاني، ص402.

النداء من جانب الوادي الأيمن في ذلك المكان المبارك من ناحية الشجرة[1] ﴿ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللـه رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص:30].

مما سبق نجد أن النبي موسى عليه السلام قد نفذ عملية استطلاعية أنموذجية للوصول إلى حقيقة تلك النار التي رصدها من بعيد والتي لم تكن ناراً بل نور يتوهج، توقف موسى متعجباً مما رأى وجاءه النداء العلوي (نودي أن بورك من في النار ومن حولها). أي نودي من جانب الطور بأن بوركت يا موسى ومن حولك وهم الملائكة[2].

وفي عهد النبي موسى عليه السلام أيضاً وردت بعض الإشارات الاستطلاعية في التوراة اذذكر أن الرب قد كلم موسى عليه السلام ليرسل رجلاً من كل سبط إلى أرض كنعان لكي يخبروه عن نوع أرضها وعدد ونوع السكان فيها وعن مدنهم هل هي مخيمات أم حصون، وأمرهم بجلب ثمر منها لكي يتحقق هو بنفسه عن طبيعة تلك الأرض[3].

فلما أصبح الاثنا عشر رجلاً بالقرب من أريحا لقيهم رجل من الجبارين يقال له (عاج) فأخذ الاثنى عشر رجلاً فجعلهم في حجرته. . ثم قال لامرأته: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يريدون مقاتلتنا. فطرحهم بين يديها، فقال: ألا اطحنهم برجلي!؟ فقالت امرأته: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. ففعل ذلك. فعندما خرجوا اتفقوا فيما بينهم وقالوا: لنكتم خبر الجبارين عن

(1) الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق م2، ص432.
(2) الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، م2، ص402.
(3) التوراة: سفر العدد. الإصحاح (13): (17-20) ص232.

بني إسرائيل كيلا يترددوا في الهجوم تخوفاً من الجبارين، ثم نذهب إلى موسى وهارون ونعلمها بالخبر اليقين... فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بني إسرائيل، بما رأوا عدا رجلين منهم وهما (يوشع بن نون و(كالب بن يوحنا) اللذان كتما الخبر عن جميع بني إسرائيل ما عدا موسى وهارون، فانتشر خبر الجبارين بين بني إسرائيل: «... وقالوا لقد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً. وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب...»[1].

وكان نتيجة ذلك أن تفشى الذعر والهلع في قلوب بني إسرائيل فأبدوا عصيانهم على موسى عليه السلام في مواجهة كنعان أرض الجبارين، فغضب النبي موسى عليه السلام فدعا عليهم فحل بهم التيه. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة:26].

وحساب الأربعين سنة جاء بناء على عدد الأيام التي أمضاها الاثنا عشر رجلاً في واجب الاستطلاع باذكل يوم يعادل سنة كاملة. وهذا هو أحد الدروس المستنبطة من أهمية الكتمان وحصر المعلومات المهمة ولا سيما السلبية منها في أضيق نطاق واقتصارها على من يحتاجها من القادة فقط بعدِّهم الأجدر بذلك ولكونهم يمثلون الحلقة المسؤولة عن التخطيط واتخاذ القرار. أما المقاتل العادي فلا يجوز إطلاعه إلا على ما يحتاجه من المعلومات.

---

(1) التوراة: سفر العدد (إصحاح 13: 27-29) ص233.

ولألن دلس[1] رأي خاص بهذه المهمة الاستطلاعية اذ يعتقد أنه لو أراد المرء تكوين فكرة عادلة وواضحة عن طبيعة أرض كنعان وسكانها فإنـه لا يرسـل زعـماء سياسيين وهم نقباء الأسباط في بعثة استطلاعية... لأن المحترفين بهـذه الحرفـة هـم أجدر بهذه المهمة من غيرهم. وبطبيعة الحال فـإن مثـل هـذا الواجـب لا يتطلـب اثنى عشر رجلاً بل رجلين أو ثلاثة فقط. لكن من المحتمـل العمليـة كانـت تجربـة لاختبار درجة صبر هؤلاء الرجال الذين لم ينجح من مجمـوعهم سـوى اثنـين وهـما (يوشع بن نون) و(كالب بن يوحنا)، بينما أخفقت العشرة الباقية[2].

وهنالك رأي أخـر ورد في كتـاب (الخدمـة الـسرية ثلاثـة وثلاثـون قرنـاً مـن الجاسوسية) مؤداه كان موسى قد وزع جواسيسه الأثنـي عـشر عـلى شـكل سلـسلة تخترق البلاد عبر الحقول والأريـاف، وكـل جاسـوس يعتمـد عـلى العمـل الجماعـي التعاوني للأحد عشر جاسوساً من زملائه الباقين، فلربما أمكننـا إرجـاع أصـل ومنـشأ الجاسوسـية المنظمـة والمـصنفة علميـاً إلى أكـثر المجتمعـات خـشونة وإمعانـاً في القدم[3].

---

(1) ألن دلس: الأخ الأصغر لوزير الخارجيـة الأمـريكي الأسـبق (جـون فوسـتر دالـس)، دخـل الخدمـة الدبلوماسية عام 1916م وخدم في فيينا وسويسرا في مؤتمر فرساي للـسلام واسـتقال عـام 1926م لممارسة القانون في نيويورك. بعد الهجوم على بيرل هاربر، عمـل في الخدمـة الـسرية في سويـسرا. عام 1946م وعاود العمل في القانون. وعام 1953م أصبح مـديراً للمخـابرات المركزيـة ALLEN . DULLES THE SECRET SURRENDER WEIDENFELD AND NICOLSON 5 WINSLEY STREET LONDON W 1.

(2) ألن دالس: حرفة الاسـتخبار، ترجمـة مـنعم المـصرف: (بغـداد، رئاسـة المخـابرات العامـة، معهـد الإعداد والتدريب) ص18.

(3) SECRET SERVICE 33 CENTURIES OF ESPIONAGE BY R. W. ROWAN WTTHR. G. DEINDORFFR WILLIAM KIMBER LONDON S. W. I. (P. 10-13).

ونستنتج من هذا أنه لو كان موسى عليه السلام قد تصرف وفقاً للافتراض الوارد في الكتاب المذكور آنفاً فيما يخص بعثته الاستطلاعية، لأمكن عدَّ موسى عليه السلام هو المؤسس الأول للجاسوسية المنظمة والمصنفة علمياً.

وفي عهد النبي يشوع بن نون خليفة النبي موسى عليه السلام تبرز فصول بعثته التجسسية إلى مدينة أريحا[1] ودور المرأة المدعوة راحاب[2]. فبعد أن أرسل يشوع رجلين لجمع المعلومات عن مدينة أريحا، قامت راحاب بإخفائهما في بيتها، وبرمت معهما اتفاقاً يقضي بتسهيلها لمهمتهما الاستطلاعية مقابل ضمان سلامتها هي وذويها عند فتح المدينة. ولما علم ملك أريحا بوجود الجاسوسين في بيت راحاب أمرها بإخراجهما من بيتها فقالت لرسل الملك: «لا علم لي أين ذهبا. والأفضل أن تسرعا وراءهما للبحث عنهما». فلما ذهب رجال الملك عن دارها، هربت راحاب الجاسوسين إلى جبل قريب وبذلك ساعدت راحاب على نجاح بعثة يشوع الاستطلاعية[3].

---

(1) أريحا: بالفتح ثم الكسر. وياء ساكنة والحاء مهملة. لغة عبرانية وهي مدينة الجبابرة في الغور في أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك سميت فيما قبل بأريحا بن مالك أبن ارفنشد بن سام ابن نوح عليه السلام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت- لبنان (بلات) ج165/1.

(2) راحاب: امرأة زانية كانت تقيم في بيت على سور أريحا، لعبت دوراً مهماً في البعثة الاستطلاعية التي أرسلها النبي يسوع بن نون عليه السلام إلى مدينة أريحا. موسوعة الكتاب المقدس: المصدر نفسه، ص153.

(3) التوراة: سفر يشوع: الإصحاح الثاني (1-24) ص238-240.

يمكن عَد ما قامت به راحاب بمثابة الحجر الأساس في بناء الخدمة السرية التي أطلق عليها الأغريق أسم (السيرانة)[1] (SIREN) التي هي مجموعة كائنات اسطورية لها رؤوس نسوة وأجساد طيور كانت تسحر البحارة بغنائها فتوردهم موارد الهلاك. وكذلك يطلق على المرأة المغوية أو الخطيرة. واصبح اليوم يطلق اسم (السيرانة) على صفارة الإنذار لأجل التحذير.

كما يظهر من هذه الحادثة اشتراك المرأة في أعمال الاستطلاع والتجسس لأول مرة في التاريخ المدون.

ومن الإشارات الاستطلاعية البارزة عند الأنبياء ما ورد ذكره في القرآن الكريم عن النبي سليمان عليه السلام والهدهد. فلقد كان النبي سليمان بن داود (عليهما السلام) إذا أراد سفراً قعد على سريره ووضعت الكراسي يميناً وشمالاً فيأذن للإنس ثم يأذن للجن بالدخول عليه بعد الإنس فيكونون خلف الإنس ثم يأذن للشياطين بعد الجن فيكونون خلف الجن ثم يرسل إلى الطير فتظلهم من فوقهم ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره والناس على الكراسي فتسير بهم غدوها شهر ورواحها شهر[2] ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:12].

وكان سليمان عليه السلام قد اختار من كل طير طيراً فيجعله رأس تلك الطير. فإذا أراد أن يسأل شيئاً من تلك الطير عن شيء سأل رأسها. فبينما سليمان

(1) منير البعلبكي، المورد. قاموس إنكليزي -عربي. (بيروت، دار العلم للملايين 1981م) ص858.
(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق ج489/1.

عليه السلام يسير إذ نزل مفازة[1]، فسأل عن بعد الماء هاهنا، فقال الأنس: لا ندري، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري. فسأل الشياطين فقالوا: لا ندري. فغضب سليمان عليه السلام فقال: لا أبرح حتى أعلم كم بعد مسافة الماء هاهنا. فقالت له الشياطين: يا رسول الله لا تغضب، فإن يك شيئاً يعلم فالهدهد يعلمه. فقال سليمان عليه السلام: علي بالهدهد. فلم يجده ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل:20-21].

وقد ذكر ابن الأثير[2] في كتابه الكامل في التاريخ، أن امرأةً كانت في زمان النبي سليمان عليه السلام تدعى بلقيس[3] وهي ملكة على عرش (سبأ)[4] في بلاد اليمن.

---

(1) المفازة: الصحراء. إبراهيم مذكور، المعجم الوسيط، ط2، (بيروت، دار الأمواج، 1990م) ج706/1.

(2) ابن الأثير: هو عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بأبن الأثير الجزري. ولد بالجزيرة المشهورة بجزيرة ابن عمر. صنف في التاريخ كتاباً كبيراً اسماه (الكامل) وله كتاب آخر (أخبار الصحابة) في ستة مجلدات. ولد في 4 جمادي الولى سنة 555هـ وتوفي في شعبان سنة 630هـ ينظر: احمد مصطفى المعروف بـ (طاش كبرى) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دائرة المعارف النظامية –حيدر آباد الهند، ط1 (1328هـ) ج1/ص 206-207.

(3) بلقيس: اسم اطلقه العرب على ملكة سبأ. وهي أبنه الهدهد بن شرحبيل من حمير من أهل مأرب. وليت العرش بعد أبيها. وبعد دخول النبي سليمان إلى مدينة سبأ استقبلته وتزوجها وتوفيت ودفنت في تدمر. ينظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 123هـ) التيجان من ملوك حمير: (حيدر أباد) ص137.

(4) سبأ: أرض في اليمن مدينته مأرب بينما وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام. ينظر: ياقوت الحموي –معجم البلدان م3، ص37.

كان الهدهد قد مرَّ على قصر بلقيس في اليمن، فرأى بستاناً لها خلف قصرها، فإذا هو بهدهد لها في البستان، فقال له هدهد سليمان عليه السلام: (أين أنت من سليمان؟ وما تصنع هنا؟ أجابه هدهد بلقيس: ومن سليمان؟ فقال: بعث اللـه تعالى رجلاً يقال له سليمان رسولاً وسخر له الريح والجن والأنس والطير... فأجابه هدهد بلقيس: إن هذا لعجب. وأعجب من ذلك أن امرأة تملك هؤلاء الرجال. ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ [النمل:23] . جعلوا الشكر للـه أن يسجدوا للشمس من دون اللـه[1].

بعد هذه المحاورة بين الهدهدين، قفل هدهد سليمان راجعاً فتلقفته الطير وقالت له: (توعدك رسول اللـه). فقال الهدهد: (أوما استثنى رسول اللـه) قالوا: (بل قال أو ليأتني بعذر مبين). فلما أتى سليمان عليه السلام قال: ما غيبك عن مسيري[2]؟ قال: ﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:22].

مما تقدم، نستدل على أن الهدهد كان دليل سليمان عليه السلام فيما يخص مواقع الماء في قعور الأرض، ويقال: إن الهدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء[3].

عند تحليل الرواية المذكورة آنفاً والخاصة بالنبي سليمان عليه السلام وهدهده، وعَدّ معطياتها كمدخلات وما سنستنتجه من مخرجات وهي:

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق ج1، ص490.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص490.
(3) الجاحظ، الحيوان، المصدر السابق: ج513/3.

أ- إن سليمان عليه السلام لم يكن حكمه على الهدهد حكماً نهائيـاً ومطلقـاً بل ترك الباب مفتوحاً ومـشروطاً بالإتيـان بـسلطان مبـين، أي بحجـة واضـحة تـبرر غيابه.

وهذا مبدأ مهـم ينبغـي مراعاتـه، يقـوم عـلى الـصبر والتـأني وعـدم إصـدار الأحكام المتعجلة قبل الإلمام بالقضية كاملة.

ب- اعتبار النبي عليـه الـسلام وكالـة اسـتطلاعية والهدهـد هـو المـصدر أو الوسيلة لهذه الوكالة لكونه نقل المعلومات المهمة والـصحيحة عـن الملكـة بلقـيس وعرشها وقومها في مدينة سبأ في اليمن. وإن الهدهد استخلص هذه المعلومات مـن هدهد الملكة بلقيس عند تلاقي الهدهدين في بستان قصرها. وهذه التفاصيل التي أتى بها الهدهد إلى سيده لا يمكن الحصول عليها بهذه الصورة مـن التفاصـيل والـسرعة بمجرد المرور والنظرة العابرة من فوق قصر بلقيس، وإنمـا مـن خـلال المحـاورة بـين الهدهدين. ولما كان النبي سليمان عليه السلام يحيط بلغة الطير. ﴿وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:16]. وفي ذلك درس قيم في معرفة لغة الآخرين على المستوى البشري وعلى وجه التحديـد في مجتمـع الاسـتطلاع. فالـذي يجيـد لغـة قـوم آخـرين سـواء كـانوا مـن الأعـداء أو الأصدقاء، فإنه يحقق فائدة مضافة على طريق إنجاز هدفه النهائي ألا وهو الاتصال بأفراد هذا الوسط أو ذاك، ومن ثم وصولاً إلى معرفة جزيئات ذلك المجتمع بشكل مفصل ودقيق.

ج- وثمة نقطة ثالثة لا تقل أهمية عما ذكر آنفـاً، هـي مـا أفـاد بـه هدهـد سليمان نفسه: ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل:22]. وهذا يدلل عـلى

ثقة المصدر (الهدهد) بما أتى به من أخبار وهو على بينة بما ستؤول إليه الأمور في حالة إخفاقه في إثبات دعواه، ألا وهي عقوبة الموت، وهذا أمر جدير بالاهتمام من طرفي المعادلة وهما الوكالة الاستطلاعية ومصدرها، حتى يكون على أرضية واحدة ولغة مشتركة، يعَدّ أن كل معلومة تقوم على الأغلب اعتماداً على درجة الثقة بالمصدر ودرجة موضوعيتها التي تقدرها الوكالة الاستطلاعية.

من ممارسات الاستطلاع ماله علاقة بالأنبياء هو ما تزامن مع مولد السيد المسيح عليه السلام عندما جاءت مجموعة من المجوس[1] من المشرق قاصدة بيت لحم، بعد أن رأت هناك، في زمن الملك هيرودس[2] الذي طلب منهم تزويده بالحقيقة عن موضوع المولود الجديد، بعد أن يتأكدوا من ذلك، ولكن المجوس بعد دخولهم بيت لحم ومشاهدتهم المولود الجديد، سلكوا طريقاً أخر عند عودتهم تحاشياً من المرور بهيرودس كيلا يخبروه عن المولود الجديد فيقوم بقتله. «ولما ولد يسوع في بيت لحم على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم مجوس من المشرق وقالوا: (أين هو المولود ملك اليهود؟ رأينا نجمة في المشرق فجئنا لنسجد له). وسمع الملك هيرودس فاضطرب هو وكل أورشليم فجمع كل رؤساء

(1) المجوس: هم أمة يعبدون الشمس والنار. وقد تطلق كلمة (مجوسي) على الساحر والحكيم والفيلسوف، والكلمة معربة من (مبخ كوش) بالفارسية، ومعناها (صغير الأذنين). انظر: المنجد المرجع السابق 1984م، ص748.

(2) هيرودس: هو ابن الملك انتيباتر. منحه الرومان لقب ملك اليهود بعد وفاة أبيه. وملك سنة 37 ق. م. ولم يكن هيرودس يهودياً بالولادة ولذا فقد اعتبر اليهود مصدر خطر على ملكه. ولما ولد المسيح أحس أيضاً أنه في خطر، فأمر بقتل صبيان بيت لحم. انظر: موسوعة الكتاب المقدس. دار منهل الحياة، منصورية المتن، لبنان 1993م، ص330.

الكهنة ومعلمي الشعب وسألهم: «أين يولد المسيح؟» فأجابوا: «في بيت لحم اليهودية»[1].

«فدعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم متى ظهر النجم، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال لهم: «اذهبوا وابحثوا عن الطفل، فإذا وجدتموه فأخبروني حتى اذهب أنا أيضاً واسجد له». فلما سمعوا كلام الملك انصرفوا. وبينما هم في الطريق إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، ودخلوا البيت فوجدوا الطفل مع أمه مريم فركعوا وسجدوا له. . وأنذرهم اللـه في الحلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، فأخذوا طريقاً آخر إلى بلادهم»[2].

نستنتج من ذلك أن فعالية المجوس هذه هي عملية استطلاع شخصي قام بها المجوس مستعينين بالنجم الذي كان دليلهم إلى موقع المولود الجديد السيد المسيح عليه السلام.

(1) أنجيل متى. الإصحاح الثاني (1-2) الكتاب المقدس. العهد الجديد. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط لبنان-العراق 1994م، ص11.

(2) أنجيل متى. الإصحاح الثاني (7-12) الكتاب المقدس، ص11.

الفصل الثاني

الاستطلاع والقادة التاريخيون

ثبت من دراسة أوراق البردي وما كتب على الآثار المصرية أن الفراعنة كانوا يبثون العيون داخل البلاد وخارجها. فكان سفراء الفرعون في البلاد الأجنبية يلقبون (بعينـي الملـك وأذنيـه)[1]. وفي حقـب الحـرب نجـد أن الفراعنـة كـانوا يبعثـون المستخبرين لغـرض الاسـتطلاع وجمـع المعلومـات قبـل المعركـة يعَـدّ أن ذلـك مـن المستلزمات الضرورية لاستحضارات الحرب. فسجلات قدامى المصريين ضـمت عـلى ما يفيد قيامهم بعمليات خاصة بارزة. ففي سنة 3600ق.م -3400 ق.م. استطاع أحد ضباط الاستطلاع المصريين القدامى ويدعى (توت) أن يرسل مئتي جنـدي مـسلحين ضمن أكياس القمح على ظهر مركـب إلى مدينـة (يافـا) التـي كانـت محـاصرة مـن قبلهم، ولما استقر المركب في الميناء خرج الجنـود واسـتولوا عـلى المدينـة ثـم قـاموا بتسليمها إلى الجيش المصري المرابط حولها، ولم يكن من المستطاع لهـذا الجـيش أن يدخل المدينة لولا جهود رجال الاستطلاع الذين تمكنوا من دخولهـا وهـم مختفـون داخل أكياس القمح[2].

(1) احمد الصاوي محمد، الطابور الأول، (مصر، مطبعة المعارف) ص8.

(2) سـعيد الجزائـري، المخـابرات والعـالم، (دمـشق، منـشورات مكتبـة النـوري، ط4، 1986م) ص10-11.

حور محب القائد المصري

إن التوجيهات التي أعطها (حور محب)[1] القائد المصري القديم إلى (سنوحي) الطبيب المصري، بعد عودتهما إلى أورشليم من المعركة التأديبية التي شنها (حور محب) ضد العبريين في عهد (امحتب الرابع)، تعد من أقدم نشاطات الاستطلاع التي عرفها التاريخ في استعمال الجواسيس.

لقد وجه (حورمحب) الحديث إلى (سنوحي) قائلاً: «... وأنت يا سنوحي تأمل بلادك في خدماتك... وإنك أكثر من غيرك إحاطةً بالأمور، وأوسع علماً بأحوال البلدان، وفي وسعك وأنت الحر الطليق أن تنتقل من مدينة إلى أخرى وتكشف عن كتب خفايا شؤونها. ولو كان لي مثل حريتك ونشاطك لما ونيت ولا كففت عن الرحيل إلى سائر الممالك والأقطار، مستزيداً من المعرفة والإطلاع.. كنت متجهاً إلى بلاد (ميتاني) و(بابل) وأتعرف على العجلات الحربية التي يستعملها الحيثيون[2]، وأنقب عن وسائل تدريب جنودهم كما كنت أقصد إلى الجزر في البحر لأرى السفن الكبيرة التي تتناثر علينا أنباؤها غير الدقيقة، إنني واسفاه لا استطيع القيام بذلك لأن أسمي معروف في كل أنحاء

(1) حور محب: قائد الجيش في عهد (توت عنخ أمون) حوالي (1333 ق. م –1325 ق. م) استولى على عرش مصر بعد موت خليفة الملك (توت عنخ أمون) المدعو (أبي) آخر ملوك السلالة الثامنة عشرة. انظر: E. OTTO, AGYPTEN DER WEGDES PHARAONENR EICHES STUTTGART, 1985, S: P. 168.

(2) الحيثيون: هم شعب قديم في آسيا الصغرى وشمال سوريا يرجع نسبه إلى قبيلة من قبائل الأناضول تعرف باسم (حتي) وكانوا يسمون بلادهم باسم (خاطي) أو (حاطي). شملت مملكتهم الأناضول وجزءاً كبيراً من العراق وسوريا. ينظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة، دار القلم، 1965م) ص746.

سوريا وحركاتي تقترن بشهرتي وهذا يقيدني ولا يهيء لي فرصة التجوال والارتحـال». ثم يقول: «.. أنـت تتـدثر بملابـس الـسوريين وتحـسن الحـديث بلغـتهم ولـسانهم وتجيد فوق ذلك لغة أخرى يعرفها المتعلمون في سائر أقطار الدنيا، ثـم إنـك فـوق هذا، طبيب وقلما يخطر بذهن أحد إنك تعنى بشيء مما يدور حولك غير مـا يقـع في نطاق مهنتك، وحديثك عادة يجري مع الناس هيناً يـستمليهم إليـك ولا يـريبهم فيك، وقلبك بعيد الغور يختـزن الأسرار والملاحظـات ولا يفـشيها». ويـضيف قولـه: «أتمنى أن تذهب إلى تلك البلاد مزوداً مني بمقدار من الذهب فتباشر بهـا أعمالـك كطبيب وهنالك سيكون لك بقدرتك الفنية مكان مرمـوق وشـهرة بعيـدة في عـلاج المرضى وشفائهم فيقبل الناس عليك ويطمئنون إليك ويمهد هذا لك سـبيل الاتـصال بالأغنياء وأصحاب النفوذ والملوك وهؤلاء في أغلب الأحوال أكثر طلباً للأطباء المهـرة وعندئذ تستطيع أن تنال مـودتهم وثقـتهم فينكـشفون لـك وتعـرف مـن حيـث لا يشعرون دخائلهم وأسرارهم فإذا ما عدت إلى مصر أفضيت إلي به»[1].

يمكن تحليل توجيهات القائد (حـور محـب) الـشفهية إلى الطبيـب المـصري (سـنوحي) عـلى أنهـا تحـريض مـؤطر بالحكمـة والموعظـة مركـزاً عـلى المميـزات التي تتوافر لدى الطبيـب التـي منهـا اسـتعماله لمهنتـه الطبيـة كغطـاء للاسـتطلاع وجمع المعلومات السرية من دون جلب الانتباه لا سيما عنـدما يعمـل مـع الملـوك وأصحاب النفوذ والأغنيـاء الـذين غالبـاً مـا هـم في حاجـة إلى الأطبـاء المهـرة أكـثر

(1) صلاح نصر، الحرب الخفيـة، الـوطن العـربي للنـشر والتوزيـع (بـيروت، مطبعـة دار الكتـب، ط1، 1980م) ص12.

من غيرهم. وفي الوقت نفسه فإن المعلومات المستحصلة منهم هي أكثر قيمة وأهمية من غيرها من المعلومات.

وهنالك ميزة أخرى تسهل له مهمته ألا وهي معرفته لغة السوريين التي تسهل له الاتصال بذلك المجتمع ومعرفة خفاياه. والإشارة إلى الذهب الذي وعد به (حورمحب) يدل على اهمية المال في المجال الاستطلاعي كوسيلة لجمع المعلومات وتجنيد العملاء. وفي جانب آخر طلب منه جمع المعلومات عن العجلات الحربية التي يستعملها الحيثيون مع البحث عن وسائل التدريب التي يستعملونها لتدريب جنودهم. وجميع هذه التوجيهات هي توجيهات سوقية (ستراتيجية) ذات مدى بعيد وليس آنياً.

نرام سين القائد الاكدي:

لقد اهتم ملوك الدولة الأكدية والبابلية والآشورية في العراق القديم بالاستطلاع. فلقد ذكر عن الملك الأكدي (نرام سن)[1] حفيد الملك (سرجون الأكدي) أنه بعد تعرض مملكته إلى هجوم من قبل جموع كبيرة وأن هذه الجموع تختلف بوجوهها وأجسامها عن وجوه وأجسام سكان وادي الرافدين، حيث كانت وجوههم مثل وجوه الغربان وأجسادهم مثل أجساد الطيور، فأراد (نرام سن) أن يتحقق من الأمر ويتأكد من صحة المعلومات، فأمر أحد قادة جيشه وهو المدعو (لودو) أن يقوم بنخس هؤلاء الأعداء بالحربة ليرى فيما إذا نزف

(1) نرام سن: من عظماء ملوك الدولة الأكدية استطاع إعادة فتح الأقطار التي كانت تحت حكم جده (سرجون الأكدي) وإخضاعها، وقام بأعمال عمرانية، ونظم الحياة الاجتماعية في البلاد، كما أنه سار على القوانين الموحدة التي نشرها جده، وجعل اللغة الأكدية لغة رسمية في جميع أنحاء العراق. حكم (37) سنة (من 2260 لغاية 2233 ق. م). انظر: فرج بصمجي (الدكتور)، كنوز المتحف العراقي، ص30.

منهم دم فهم بلا شك من البشر وإن لم ينزف منهم دم فلابد أن يكونوا من الشياطين[1]. ومهما تكن صحة الأسطورة فإنها تعطي مثلاً مهماً لدور الاستطلاع في الوصول إلى الحقيقة وتسهيل عملية اتخاذ القرار الصائب من القائد المسؤول.

الملك حمورابي[2] (1793-1751 ق. م)

لو نظرنا عن قرب إلى المملكة التي أقام صرحها الملك حمورابي بهمته ونشاطه، لوجدنا أنها تتصف بالصفات الآتية:

أ- من الناحية الإدارية اتبع حمورابي نظاماً مركزياً ربط جميع حكامه به وبالعاصمة بابل وحدد صلاحيات الكهنة.

ب- ترينا الرسائل في عهد حمورابي حرصه على معرفة كل صغيرة وكبيرة في البلاد وعلى حصر السلطة في شخصه وجعل حكام البلاد يستمدون أوامرهم منه. وفي إحدى رسائله إلى أحد حكامه (سين ادنام) يطلب منه أن

---

(1) فوزي رشيد (الدكتور)، نرام سن ملك الجهات الأربع، ثقافة الأطفال (بغداد، 1990م)، ص37.

(2) حمورابي: هو الملك السادس لسلالة بابل الأولى التي أسسها في بابل الشيخ الأموري (سومو آبم) في عام 1894 ق. م (ومعنى اسمه الإله حمو، عظيم أو مكثر). وحمو من أرباب الجزرية الغربية، وقد يكون اسمه (عمورابي) الذي حكم 42 سنة، من سنة (1793 إلى 1751 ق. م). نربع على العرش ودولته لم تزد مساحتها على دائرة قطرها خمسون ميلاً فقط. لكن حمورابي تمكن خلال فترة حكمه من تثبيت دعائم مملكته وتوحيد العراق وتقوية جبهته الداخلية وتعمير المعابد والتحصينات، حتى غدت مملكته مضرب الأمثال في نظامها ومنعتها وتقدمها. سامي سعيد الأحمد (الدكتور)، العراق في التاريخ. العصر البابلي القديم (بغداد، المجمع العلمي العراقي) ص88.

يرسل موظفاً يصحبه في جولته التفتيشية تحت إشرافه، مما يدل على أن حمورابي كان يقوم بجولات تفتيشية في مناطق حكامه ليقف بنفسه على سير الأعمال. وهذا ما يعرف في الوقت الحاضر بالاستطلاع الشخصي.

ج- اهتم حمورابي بنظام البريد[1] السريع وإنشاء طرق المواصلات ووسائط النقل لما في ذلك من فائدة جلى في ربط أجزاء البلاد وإيصال أوامره بالسرعة المأمولة فضلاً عن استثمار ذلك لأغراض الاستطلاع ومعرفة مجريات الأمور في أجزاء مملكته. وكان يستعمل فيها الرجال العداؤون، فقد قسمت الطرق على مراحل، يقف عندها هؤلاء السعاة لإيصال ما يستلمون بالسرعة إلى ساعي المرحلة الاتية وهكذا. . وكانوا يحملون الرسائل مختومة ومغلقة. وكان كاتم سر الملك يفض الأجوبة ويتلوها على سيده، ويملي الملك أجوبته التي تكتب وترسل في الحال.

د- واهتم حمورابي بالجيش وصار التجنيد في عهده إجبارياً. وعرف باصطلاح «الذهاب في طريق الملك». ولم يسمح قانون حمورابي لجندي أن يرسل بديلاً عنه إلى الخدمة، فقد ورد في المادة (26) من شريعة حمورابي: «إذا طلب التحاق جندي أو سماك ولم يذهب بل أجر بديلاً عنه، فإن ذلك الجندي أو السماك يعدم، أما بديله فله أن يأخذ بيته أي بيت الجندي أو السماك»[2].

(1) البريد: كلمة فارسية يراد بها في الأصل البرد. وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، فأعربت وخففت. ابن منظور، جمال الدين محمد بن لبمكرم (ت 711هـ –1311م) لسان العرب، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر) ج53/4.

(2) فوزي رشيد (الدكتور)، حضارة العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، 1985، ج52/2.

هـ- وفي رسالة أخرى يطلب حمورابي تزويد بعض رجاله بزيت الإنارة. وهذه تدل على بث حمورابي (العيون) التي كانت تحيطه علماً بخفايا شؤون البلاد. مما يدل على اهتمام حمورابي بالاستطلاع وجمع المعلومات عن طريق بث العيون لا سيما ليلاً باستعمال زيت الإنارة[1].

و- كما جاء في المادة (109) من شريعة حمورابي ما يلي: «إذا تجمع محتالون مجرمون في بيت بائعة الخمر ولم تلق القبض على هؤلاء المحتالين، ولم تقدمهم إلى القصر فإن بائعة الخمر هذه تعدم»[2].

مما ذكر آنفاً يتضح اهتمام الملك حمورابي بالاستطلاع الشخصي للتعرف على الأمور بنفسه ومن دون الاعتماد كلياً على أجهزة استطلاع الدولة وأجهزة أمنها، وأن مضمون المادة (109) في شريعته يمكن الاستدلال منها إن جهاز الأمن كان مرتبطاً بشكل مباشر بالملك حمورابي لوجود إشارة تقديم المحتالين إلى القصر من بائعة الخمر.

الملك البابلي نبوخذ نصر الأول[3]

يظهر من النصوص المسمارية أن نبوخذ نصر الأول قد اهتم بالاستطلاع والكتمان واستطاع تحقيق المباغتة ثم النصر على العيلاميين اذ قام بتنفيذ هجومه

---

(1) سامي سعيد الأحمد (الدكتور) العراق في التاريخ، المصدر نفسه: ص92.

(2) فوزي رشيد (الدكتور)، حضارة العراق، المصدر نفسه: ج53/2.

(3) نبوخذ نصر: هو الملك الرابع من سلالة (أيسن الثانية) خلف أباه (ننورتا –نادان –شوم) على العرش وحكم زهاء إحدى وعشرين سنة (1124 ق. م –1103 ق. م) أعاد خلالها هيبة الحكم للبلاد ورفع معنويات الشعب بعد أن خيم عليه كابوس الاحتلال الأجنبي طيلة العصر الكشي الذي جاوز أربعة قرون من الزمن، ومن بعده الاحتلال العيلامي. سامي سعيد الأحمد، العراق في التاريخ، المرجع نفسه: ص109.

في شهر تموز الذي هو أشد أشهر السنة حرارةً وجفافاً أي في أي وقت لم يتوقعه العدو (العيلاميون).

وفي هذا المجال يذكر أحد النصوص المسمارية أن الآلهة نفسها ولاسيما (مردوخ) و(أنليل) أنبأت الملك نبوخذ نصر بفأل حسن إذا ما شن حملته ضد بلاد عيلام[1].

وفي أثناء الحملة نفسها كان أحد قادة الملك نبوخذ نصر المدعو (رتي مردوخ) الذي كان يقود العربات الحربية في الجناح الأيمن للقوات البابلية كان يترصد سير المعركة من خلال عناصر الاستطلاع. فتدخل في اللحظة المناسبة. وبذلك تمكن البابليون من تحقيق نصر حاسم على العيلاميين. مما دفع الملك نبوخذ نصر الأول أن يدخل اسمه في وثيقة النصر التي تحمل تفاصيل النصر الساحق للبابليين على العيلاميين ومدونة على حجرة حدود (BOUNDARY STONE) لشجاعة هذا القائد الذي كان في الوقت نفسه شيخ قبيلة (كرز بابكو) التي كانت تستوطن القرى الحدودية الشرقية لبلاد وادي الرافدين[2].

الملك البابلي نبونئيد[3]

بدأ نبونئيد بإعمار معبد مردوخ في بابل وتجول في مدن بابل الجنوبية خاصة (أور) و(الوركاء). وعند دخول كورش[4] الفارسي العراق غازياً في

(1) سامسي سعيد الاحمد، العراق في التاريخ، ص110.

(2) يعبر عن القبيلة أو العشيرة أو المشيخة في اللغة البابلية بكلمة (BITU) (بيت)، أما شيخ أو رئيس القبيلة فيسمى (BEL BIT). المرجع نفسه: ص11.

(3) نبونئيد: هو آخر ملوك سلالة بابل الحديثة (556-539 ق. م). المرجع نفسه: ص174.

(4) كورش: هو كورش الثاني الملقب بالكبير (557-528 ق. م) استولى على آسيا الصغرى وبابل. إذن لليهود بالعودة إلى فلسطين. المنجد في الإعلام، المصدر السابق: ص443.

تشرين الأول سنة 539 ق.م، اصطدم بالجيش البابلي الذي تقدم لصده عند مدينـة (أوبس) قرب المدائن الحالية. وكان النصر فيها لكورش ويظهـر أن الجـيش الفـارسي كان بقيادة كورش معه (غوبارو) الحاكم البابلي في المنطقة الشمالية الشرقية من العراق، ويظهر أنـه خـان ملكـه نبونئيـد وانـضم إلى كـورش واسـتفاد كـورش مـن انـضمام (غوبارو) له بحيث عهد إليـه بقيـادة الجـيش الـذي تقـدم لاحـتلال بابـل. وتقـدم الجيش الفارسي ودخل (سيار) في اليوم الرابع عشر من تشرين الأول وهـي لا تبعـد كثيراً عن ميدان معركة (أوبس). وربما فكر نبونئيـد بالانـسحاب إلى بابـل الجديـدة للتحصين، ثم تقدمت الجيوش المعادية إلى بابل واحتلتها في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه، فالمسافة بين (سبار) وبابل نحـو (90) كلـم وقطعهـا في تلـك العـصور يتطلب أكثر من يومين بينما وقعت المعركة بعد يومين فقط مـما يـدل عـلى وجـود خيانة محلية ابتدأت بانضمام الحاكم البـابلي (غوبـارو) إلى كـورش وقيامـه بقيـادة الجيش والتقدم لاحتلال بابل وتوظيف معرفته بتفاصـيل بلـده لاحـتلال بابـل مـن خلال تحويله مياه نهر الفرات بحيث انخفض مـستوى المـاء بـالنهر انخفاضـاً كبـيراً بانت نتيجة له كل القنوات التي تدخل المدينة فسلك جنوده واحدة منهـا أو أكـثر واحتلوا المدينة. ويظهر المثل البابلي الذي يذكره المؤرخ اليوناني (هيردوتس) والـذي فحواه: «أن الفـرس قـادرون عـلى احـتلال بابـل فقـط عنـدما يلـد البغـل» معرفـة البابليين آنذاك بالخيانة التي لولاها لما تمكـن الفـرس نهائيـاً مـن احـتلال مـدينتهم الحصينة إلى جانب كونها، ساعة الهجوم/ خالية من قوة عسكرية كافيـة لحمايتهـا. ولربمـا بالإمكـان تحديـد الموضـوع بجهتـين إحـداهما (غوبـارو) والثانيـة الجاليـة اليهودية الذين سباهم الملك نبوخذ نـصر إلى بابـل والـذين قـاموا بمـساعدة جـيش كورش لاحتلال بابـل يعـدّ كـورش المخلـص لليهـود عنـدما سـمح لهـم بـالعودة إلى فلسطين وبناء المعبد في القدس[1].

---

(1) سامي سعيد الاحمد، العراق في التاريخ، ص176-177.

الاسكندر المقدوني[1]

سار الاسكندر شرقاً لملاقاة جيش داريوس الثالث ملك الفرس بعد أن عبر نهر الفرات. وبعد أن علم بوجود داريوس في أربيل، أسرع فعبر دجلة وواصل مسيره شرقاً ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أتته تقارير الاستطلاع تشير إلى ظهور طلائع جيوش داريوس فهيأ الاسكندر جيشه للقتال، وسار بصحبة كوكبات من الفرسان يجوس[2] خلال الديار، فالتقى ببعض الجنود الفرس وأسرهم فعرف منهم أن داريوس على بضعة أميال منه، وعرف أيضاً ما معه من القوات، فأراح جيشه أربعة أيام ثم استأنف المسير شرقاً في أول الليل على أمل إصلاء الفرس المعركة في صباح الغد. ولما بلغ الانشاز[3] أمامه، ظهرت له جيوش الفرس تملأ السهول. فحل هنالك يريح عسكره وأبى أن يهاجم الفرس ليلاً حتى لا يبدو انتصاره رخيصاً وكأنه اختلسه تحت جنح الظلام، خلافاً لنمط المنطق الإغريقي. وقد جاءت فكرة الاسكندر في الوقت نفسه الذي انتشرت فيه إشاعة في القيادة العليا للجيش الفارسي مفادها أن الأسكندر المقدوني سوف يتغلب على تردده وتخوفاته من جيش الفرس الذي يفوقه عدداً بشن هجوماً سريعاً ضده واستناداً إلى ذلك أبقت القيادة الفارسية جيشها في حالة إنذار

---

(1) الاسكندر المقدوني: الملقب بالاسكندر الكبير (356-323 ق. م) من أشهر الغزاة الفاتحين. لقب بذي القرنين. ابن فيليب ملك مقدونيا. خلف والده (336 ق. م). احتل مصر وأسس الاسكندرية (332 ق. م) وتغالب على داريوس الثالث ملك الفرس في معركة كوكميلة قرب أربيل بالعراق (331 ق. م) مات بالحمى في بابل. ينظر: المنجد في الاعلام، المرجع السابق: ص45.

(2) الجوس: الطواف بالليل والتردد والطلب بالاستقصاء. ينظر: محمد على الصابوني (صفوة التفاسير) (بيروت، دار القلم، 1986) ص151.

(3) النشز: جمعه نشاز وانشاز وهو المكان المرتفع. المنجد في اللغة، المرجع السابق: ص809.

قصوى طيلة الليل تحت السلاح، فسهروا حتى الصباح، أجفانهم لا تغمض وأرواحهم لا تهجع وهم يترقبون الهجوم، وليس هناك من هجوم.

أما جيش الأسكندر فإنه ألقى السلاح وأخلد إلى الراحة في نوم عميق. وهكذا بينما كان المقدونيون ينعمون بالراحة كان داريوس قد أرهق جيشه طيلة الليل، وعند بزوغ الفجر شنَّ المقدونيون هجومهم على الفرس المنهكين، فما كان من الفرس إلا أن يلوذوا بالفرار من أرض المعركة مندحرين[1].

عند تحليلنا سير معركة أربيلا، نجد الفرق الواضح بين إدارتي كل من القائدين الفارسي (داريوس) والمقدوني) (الاسكندر)، ففي الوقت الذي توافرت فيه المعلومات الدقيقة والموقوتة لدى الأسكندر عن الجيش الفارسي فتصرف في ضوء تلك المعلومات حيث سمح لقواته التمتع بالراحة والنوم حتى بزوغ الفجر في يوم الهجوم، بينما أبقى الملك الفارسي قواته منذرة مدة طويلة يترقب عملاً من خصمه المقدوني دونما الاستناد على معلومات دقيقة، وهذا ما جعل القوات الفارسية منهكة نفسياً وبدنياً إلى ساعة شروع جيش الاسكندر بالهجوم الفجري، مما تسبب في اندحارها اندحاراً كبيراً، ولو كانت لداريوس عناصر استطلاع ذات كفاية ودقيقة لكانت أعلمته أوضاع جيش عدوه ودرجة استعدادها للهجوم، ولما أرهق قواته بالانفتاح المبكر استعداداً لصد هجوم غير مؤكد من حيث التوقيت. بعكس ذلك، نجد في الطرف المقابل أن جيش الاسكندر تمتع بالراحة طيلة ليلة الهجوم بفضل معلومات الاستطلاع الدقيقة.

---

(1) حنا خباز: المعارك الفاصلة في التاريخ (بيروت، دار الكتاب العربي، مكتبة النهضة بغداد، بلا. ت)، ص32.

SECRET SERVICE THIRTY – THREE CENTUTURIES OF ESPIONAGE BY. RICHARD WILMER ROWAN WITH ROBERT G. DIENDORFER LONDON 1969. P. 4.

هانيبال[1] ومعركة متورس[2]

خرج القائد القرطاجي هانيبال من إسبانيا يريد محاربة الرومان. ثـم خـرج بعده أخوه هيسدروبال من إسبانيا أيضاً لنجدته. وكان عـلى رأس الجـيش الرومـاني آنذاك قائدان: الأول (كلوديوس نيرو) في مواجهة (هانيبال) والثاني (مرقس ليفيوس) في مواجهة (هيسدروبال). وبينما كان (نيرو) أمام هانيبال في الجنوب، وقع في يـده كتاب مرسل من هيسدروبال يخبر به أخاه هنايبال أن يتجنب الاشتباك مع نـيرو في معركة حتى يلتقيا فيتوجها معاً إلى روما لمهاجمتها. فما كان من (نـيرو) إلا أن تـرك موقعه أمام هانيبـال سراً وسـار بـصحبة سـبعة آلاف جنـدي اختـارهم مـن جيـشه باتجاه هيسدروبال لمحاربتـه عـلى انفـراد قبـل أن يلتقـي بأخيـه هانيبـال، وأوصى (ليفيوس) الذي كان في مواجهة هيسدروبال بـالتزام الهـدوء وعـدم إحـداث ضـجة تثير شكوك هيسدروبال، فوصل (نيرو) إلى (ليفيوس) ليلاً، وفي الصباح قـام الرومـان بالهجوم على هيسدروبال محققين مباغتة. فأراد هيسدروبال الانـسحاب مـن أمـام نيرو شمالاً ليعبر نهر التيبر[3].

لكن الادلاء خانوه وتركوه على شاطئ النهر في الظلام حيث لا يمكـن العبـور فكـان الجنـود يطوفـون كـل الليـل عـلى الـضفة مـن دون أن يهتـدوا إلى معـبر.

(1) هنيبال: قائد قرطاجي (247-183 ق. م). عبر جبال الألب في محاولة للاستيلاء عـلى رومـة، (عـام 218 ق. م). مرجع سابق: المورد في الاعلام ص42.

(2) متورس: نهر صغير في وسـط إيطاليـا يـصب في البحـر الأدريـاتكي، طولـه 11 كلـم، عـلى ضـفافه هيسدرويال أخو هانيبال لقي مصرعه بعد أن هزمه الرومان سنة 217 ق. م. القاموس الفرنـسي (لاروس) ص1460.

(3) التيبر: نهر في إيطاليا طوله 396 كلم، ينبـع في جبـال (ابينينـو) ويمـر في رومـا. المنجـد في الاعـلام، المرجع السابق: ص188.

ولما أصبح الـصباح وقـد أضـناهم التعـب والنعـاس إذا بطلائـع جيـوش (ليفيـوس) و(نيرو) تطاردهم، فلـم يكـن لهيـسدروبال ندحـة عـن خـوض المعركـة. وفي بدايـة المعركة لم يصمد ليفيـوس أمـا هيـسدروبال لأن هـذا الأخـير ذبـح جـيش ليفيـوس مذبحةً هائلةً ولولا (نيرو) لأفناهم.

فعمد نيرو إلى الخدعة فقام بالالتفـاف حـول جـيش هيـسدروبال وبـاغتهم فاضطرب نظامهم ولكنهم ثبتوا حتى فنوا. وعندئذ قام نيرو بتطويقهم وذبحهم عن بكرة أبيهم. ولما رأى هيسدروبال ذلك ركب حصانه وأطلق له العنـان هـاجماً عـلى الجيش الروماني حيث قتل.

امـا (نـيرو) فعـاد بـسرعة إلى موقعـه أمـا هنيبـال وهـو يحمـل رأس أخيـه هيـسدروبال. ولمـا وصـل إلى موقعـه الأصـلي، أرسـل الـرأس إلى هانيبـال. ولمـا رأى هانيبال رأس أخيه يتدحرج أمامه صاح صيحته المشهورة: «الآن صارت رومـا سـيدة العالم»[1].

نستخلص من معركة متورس الدروس الخاصة بالاستطلاع وكما يأتي:

أولاً: أن هيسدروبال أخفق في تطبيق مبادئ الأمن والكتمان، والـدليل عـلى ذلك وقوع رسالته في يد الأعداء، مما كشف نوايـاه المـستقبلية للعـدو. بيـنما نجـد (نيرو) في الجانب الآخـر، قـد اسـتثمر خطـأ هيـسدروبال فحـرك قـسماً مـن قواتـه وبقيادته الشخصية من أمام جبهة هانيبـال بـسرية وكـتمان عـاليين. بحيـث أصـبح أمام هيسدروبال ولم ينكشف أمره.

(1) حنا خباز، المعارك الفاصلة في التاريخ، المرجع نفسه: ص45-46.

ثانياً: هروب أدلاء هيسدروبال عند نهر التيبر وبقاء قوات هيسدروبال تتخبط للعثور على المعبر من دون جدوى يدلل على عدم اتقان هيسدروبال لعملية الدلالة والعبور مما تسبب في حصره أمام النهر حتى الصباح واكتشاف ذلك من خصمه (نيرو).

ثالثاً: عدم وجود وسائل وثيقة للاتصال بين هيسدروبال وهانيبال جعلتهما في جهل عما يجري حولهما.

رابعاً: ضعف عناصر الاستطلاع لدى هانيبال بحيث أن (نيرو) استطاع أن يترك مواضعه أمام هانيبال ويذهب إلى مواضع هيسدروبال وثم العودة إلى مواضعه الأصلية وإلقاء رأس هيسدروبال أمام هانيبال من دون اكتشاف أو معرفة هانيبال بكل ذلك.

اخشنوار ملك الهياطلة[1]

لما أراد (فيروز) الملك الفارسي محاربة الهياطلة، سمع بذلك (اخشنوار) ملكهم، وخاف جداً، فقال له بعض أصحابه: «أقطع لي يدي ورجلي والقيني على طريق فيروز واحسن إلى عيالي لاحتال على فيروز». ففعل ذلك. واجتاز به فيروز فسأله عن حاله، فقال له: «إني قلت لاخشنوار لا طاقة لك بفيروز ففعل بي هذا. وإني أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهي أقرب».

فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة. حتى إذا علم أنهم لا يقدرون على الخلاص أعلمهم حاله. فقال أصحاب

(1) الهياطلة أو الهون: شعوب آسيوية من غزاة العالم القديم. أصلهم من سيبيريا ومنغوليا. دفعوا أمامهم شعوباً بربرية أخرى وبلغوا الدانوب نحو 405 غزوا الامبراطورية الرومانية واستقر بعضهم فيها واندمجوا بشعوبها. ينظر: المنجد في الاعلام: ص603.

فيروز لفيروز: «حذرناك فلـم تحـذر، فلـيس إلا التقـدم عـلى كـل حـال». فتقـدموا أمامهم فوصلوا إلى عدوهم وهم هلـكى عطـشى وقتـل العطـش مـنهم كثـيراً. فلـما أشرفوا على تلـك الحـال، صـالحوا (اخـشنوار) عـلى أن يخـلي سـبيلهم إلى بلادهـم، ويحلف له (فيروز) أن لا يغزو بلاده فاصطلحا، وكتب)فيروز) كتابـاً بالـصلح وعـاد. فلما استقر (فيروز) في مملكته حملته الآنفة على معاودة (اخـشنوار) فـسار نحـوه. فلما تقاربا أمر (اخشنوار) بحفـر خنـدق خلـف عـسكره وغطـاه بخـشب ضـعيف وتراب ثم عاد وراءه. فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة ولا يعلم عـسكر فـيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا[1].

عند تحليلنا لهذه الواقعة، نجد أنها مثال على التـضحية والفـداء مـن أجـل الوطن والأمة وهي تدلل على مبادرة استطلاعية مهمة أوهمـت (فـيروز) وأهلكتـه فيما بعد. مما يدعو إلى الحذر والانتبـاه عنـد مـصادفة مثـل هـذه الممارسـات مـن القوات المعادية وعدم الانسياق إلى نواياهم بما في ذلك إرسال مجموعة صغيرة مـع مثل هذا الدعي ومن ثم التأكد من نواياه قبل الزج بالجيش بكامله إلى هذا المصير المجهول.

ومـن ناحيـة أخـرى تـبرز مهـارة اخـشنوار ملـك الهياطلـة بحفـرة الخنـدق وإخفائه ومـن ثـم إيقـاع (فـيروز) وجنـوده في ذلـك الخنـدق حيـث هلكـوا بهـذه الخديعة المحكمة والمباغتة الموقوتة.

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق: ص238-239.

الزباء[1] وجذيمة الأبرش[2]:

بعد قتل عمرو بن الظرب في حربه مع جذيمة الأبـرش، ملكـت بعـده ابنتـه الزباء. ولما استقر بها الحكم انصرفت تستعد لغزو جذيمة الأبرش لتأخذ بثـأر أبيهـا. ومن خلال مكيدة قتلت جذيمة الأبرش بعد أن دعته إلى منزلها. وبعد هلاك جذيمة الأبرش ذهب شخص يدعى (قصير) إلى عمرو بن عدي) ابن أخت جذيمة الذي تولى الملك بعد خاله (جذيمة)، وقال لـه: (لا تطـل دم خالـك)، أي لا تـؤخر الأخـذ بثأره. فأجابه (عمرو): «كيف لي بالزباء وهي أمنع من عقاب الجو؟». وكانـت الزباء قد سألت عرافة فقالت لها العرافة: «أنا أرى هلاكك بـسبب غـلام يـدعى عمرو بن عدي» فأخذت الزباء تحتـاط لأمرهـا، فحفـرت نفقـاً بـين مجلـسها وبين حصن داخل مدينتها. ودعت رجلاً مصوراً وامرته أن يسير إلى عمرو بـن عدي متنكراً وينضم إلى خدمه ويعـرفهم بمـا تعلمـه مـن علـم الـصور، حتـى إذا ما سمع به عمرو بن عدي استدعاه لتصويره تارة جالـساً وأخـرى واقفـاً، راكباً مرة وماشياً مرة أخرى، متسلحاً خارجـاً للـصيد حينـاً، وفي ثيـاب الأمـراء الفاخرة حيناً، ثم يعود إليهـا بتلـك الـصور. ففعـل المـصور كـما أمرتـه الزبـاء وسلمها صور عمرو بن عدي. وفي هذه الأثناء ذهب قصير إلى عمرو بن عدي

(1) الزباء: هي ملكة تدمر العربية (سنة 266-272م) خلفت والدها عمرو بن الظرب بن حسان بـن أذينة العمليقي الذي قتل في حربة مع جذيمـة الأبـرش. ابـن الاثـير، المـصدر الـسابق: الكامـل في التاريخ ج1، ص198. وخير الدين الزركلي، المصدر السابق: ج3، ص71.

(2) جذيمة الأبرش: (توفي سنة 268م) هو ابن مالك ابن فهم بن تنوخ قضاعة من ملوك العرب خلـف أباه. كان ملكاً عظيماً. استولى على ما بين الحيرة والأنبار والرقة ومـا جـاور باديـة العـراق. أسـس الحيرة والأنبار. عاصر زنوبيا. لم يكن له غلام يرثه وتولى ابن اخته عمرو بن عدي من بعده الملك. وهو أول من غزا بالجيوش المنظمة. وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب. ينظر: المنجد في الاعلام، المصدر السابق: ص201. خير الدين الزركلي، المصدر السابق: ص105.

وطلب منه أن يجدع أنفه ويضرب ظهره ويذهب إلى الزباء فرفض ذلك عمرو. فما كان من قصير ال أن جدع أنفه وضرب ظهره بنفسه. بعدها خرج وكأنه هارب زاعماً أن (عمرو بن عدي) فعل به ذلك بعد أن اتهمه بالغدر بخاله جذيمة. ولما بلغ قصير الزباء واخبرها بروايته أكرمته واتخذته مستشاراً لها لما سمعت عنه من الحزم وسداد الرأي، ولما تأكد قصير من وثوقها به أشار عليها أن يتاجر عن طريق العراق. ففعل ذلك متنكراً والتقى (عمرو بن عدي) سراً. وتكررت هذه الحال عدة مرات. وأخيراً حاك قصير مكيدةً بمعونة عمرو بن عدي مؤداها أن يجمع جنوداً داخل غرائر في قافلة من الجمال محملة بالهدايا إلى الزباء. وبعد مسيرة طويلة كان قصير خلالها يكمن نهاراً ويسير ليلاً (وقيل أنه أول من كمن نهاراً وسار ليلاً)، وصلت القافلة أخيراً إلى باب المدينة فخرجت الزباء لاستقبالها، فإذا بالجنود يخرجون من غرائر القافلة ويعملون قتلاً بأهل المدينة.

عندها هربت الزباء تريد النفق للنجاة بنفسها، فأبصرت (عمرو بن عدي) قائماً على بابه فعرفته من الصور التي كان قد رسمها المصور. فمصت خاتمها المسموم وقالت: «بيدي لا بيدك يا عمرو». لكن السم أبطأ مفعوله، فصاحت: «لأمر جدع قصيرٌ أنفه» فذهب قولها مثلاً. ثم مال عليها عمرو بسيفه فقتلها[1]. كما ذكر المسعودي[2] ذلك أيضاً في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»[3].

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق: ج617/1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق: ج197/1.

(2) المسعودي (أبو الحسن علي) (ت 346-957م) مؤرخ ورحالة. من ذرية عبد الله بن مسعود من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. من تصانيفه «مروج الذهب» و«أخبار الزمان» و«من إبادة الحدثان» و«أخبار الخوارج» و«التنبيه والإشراف» و«الاستذكار بما مر في سالف الإعصار». انظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، المصدر السابق: ج87/1.

(3) المسعودي، «مروج ومعادن الجوهر»، «بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1978) ص69.

إن ما حل بجذيمة ومن بعده الزباء كان سببه الغرور وعدم التروي. فجذيمة لبى دعوة الزباء من دون أخذ الحذر والحيطة وتوظيف العيون التي كانت قد تساعده على كشف نوايا الزباء. والزباء من جانبها كررت الخطأ نفسه إذ أولت قصيراً ثقتها التامة ولم تنتبه إلى مشورته في ممارسة التجارة مع العراق التي كانت بيد خصمها (عمرو بن عدي). وكان الأجدر بها أن تحتفظ بقصير قريباً منها ولا تسمح له بهذه الحرية من الحركة في الذهاب والإياب من وإلى العراق، أو أن تجعل لها عيوناً مع قصير.

وكذلك تدلل الحادثة على ضعف إجراءاتها الأمنية عند دخول القافلة التي كانت تحمل جنود الأعداء بطريقة سبقت ممارستها في التاريخ القديم كما حصل في حصان طروادة مثلاً.

الفصل الثالث

الاستطلاع قبيل ظهور الإسلام

إن تــداول المعلومــات عمليــة يوميــة كــان يمارســها الإنســان العــربي بحكـم أوضـاعه الاجتماعيـة وظروفـه الاقتـصادية والـسياسية. وقـد بلغـت عنايتـه حداً من الأهمية ظهرت في اشعاره وأمثاله. ومـما قالتـه العـرب عـلى سـبيل المثـال لا الحصر: «قتلـت أرض جاهلهـا، وقتـل أرضـا عالمهـا» [1]. وكـذلك القـول: «الرائـد لا يكـذب أهلــه» [2]. وهــذا يوضــح عمــق الإدراك والاهــتمام بالمعلومــات لــدى الإنسان العربي. ويؤكد أن الشيء الحاكم في انتصار الإنسان على الأرض هـو معرفـة ذلك الإنـسان بطبيعـة الأرض واحاطتـه بتفاصـيلها. وبعكـسه فـإن هـلاك الإنـسان سيكون نتيجة جهلـه بـالأرض التـي يعمـل فيهـا. أمـا كـون الرائـد لا يكـذب قومـه فهي حقيقةً متأتية من كون هذا الرائد يمثل عيناً متقدمة تسير أمام القـوم لغـرض الاسـتطلاع عـن المـاء والكـلأ والاهتمامـات الأخـرى، مـما لا يقبـل الكـذب، لأن

---

(1) المياح، الدكتور علي محمد، وصايا الحرب في التراث، مركز البحوث والمعلومـات، (بغـداد 1986م)، ص33.

(2) الرائد: هو الذي يتقدم قومه ويبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث، ينظر ابن منظور، لـسان العـرب، ج969/3.

الكذب في مثل هذه المواضع معناه الفناء المحتوم للرائد ولمن تبعه من القوم. ومن المفيد، التعرف على ممارسات الاستطلاع التي قام بها العرب قبل الإسلام:

ما وقع بين طسم[1] وجديس:

طسم وجديس من العرب البائدة وكانوا يسكنون متجاورين في اليمامة. وكان يملك طسم رجلٌ يدعى عمليق وكانت معهم جديس لكن عمليقاً اشتهر بظلمه وقد تمادى بالظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح[2]. وقد اعتدى عمليق على امرأة من جديس. فدبرت جديس مكيدة لعمليق للإيقاع به وبقومه من خلال وليمة، وعندما حضر عمليق وقومه الوليمة، استقبلتهم جديس، وما أن مدوا أيديهم للطعام حتى أخذت جديس سيوفها المدفونة في الرمل وقتلوا الملك عمليق ومن جاء معه[3]. أثر تلك الحادثة، قصدت بقية طسم حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار بهم إلى اليمامة قاصداً جديس، فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم: «إن لي أختاً متزوجة في جديس يقال لها اليمامة[4] وهي تبصر الراكب من مسيرة ثلاث وإني أخاف أن تنذر القوم بك. فمر أصحابك فليقطع كل منهم شجرة فيحملها أمامه».

---

(1) طسم: ابن لاوذ ابن ارم. جد جاهلي من العرب العاربة (الخلص). كانت منازل بينه في (ألاحقاف) بين عمان وحضرموت. وفي الاخباريين من يقول أن إقامتهم مع جديس كانت في أراضي بابل، وبعد غزو الفرس انتقلوا إلى اليمامة وهي ما يعرف اليوم بمنطقة نجد الحالية. انظر: خير الدين الزركلي، المصدر السابق: ج104/2. وج326/3-327.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م: ص203.

(3) المصدر نفسه، ج1 /204.

(4) اليمامة: تسمى الزرقاء وهي من جديس مضرب المثل في حدة النظر وجودة البصر. وكذلك يقال لها زرقاء اليمامة لزرقة عينها. ينظر: الثعالبي عبد الملك بن محمد (ت 429هـ) ثمار القلوب، (القاهرة، 1326 هـ) ص240. الزركلي، المصدر السابق: ج76/3.

فأخذ (حسان) بهـذه النـصيحة، وتـابع تقدمـه نحـو (جـديس)، فأبـصرتهم اليمامة فقالت لجديس: «لقد سارت إليكم حمير، وإني أرى رجـلاً في شـجرة». فلـم يصدقوا قولها. فوصلهم (حسان) وأبادهم عن بكـرة أبـيهم، ثـم اتى باليمامـة وأمـر بنزع عينيها[1].

من هذه الرواية، نرى أن في مقدمة الدروس المستخلصة منها هو عدم أخـذ الحيطة والحذر من (عمليق) ومن كان معه حاضراً تلك الوليمـة، بـسبب غـرورهم وإعجابهم بـسطوتهم. فكانـت نهـايتهم الهـلاك عـلى يـد (جـديس). وفـيما يخـص جديس فإنها هي الأخرى دفعت ثمن تكـذيبها لـنصيحة زرقـاء اليمامـة غاليـاً، مـما تسبب ذلك في هلاكها عـلى يـد (حـسان بـن تبـع). بيـنما كـان المفـروض بجـديس تمحيص ما قالته زرقاء اليمامة والتأكد منـه، واتخـاذه مـن الحيطـة والحـذر، بغـض النظر فيما إذا كان قولها صحيحاً أو خاطئاً، بل المهم عدم إهمال أية معلومة بدون التدقيق والتمحيص والمتابعة، وصولاً إلى الحقيقة سواء في نفي المعلومة أو إثباتها.

يوم البردان[2]:

في يوم البردان، بعد أن قام حجر بن عمرو بـن معاويـة الكنـدي[3] بالإغـارة على كندة وربيعة في البحرين، وبعد أن بلغ زيـاد ابـن الهبولـة[4] خـبرهم، سـار إلى

(1) الطبري، المصدر السابق: م1، ج1، ص629-631. المسعودي، المصدر السابق: ج177/2 و179. ابـن الأثير، المصدر السابق: ج204/1.

(2) البردان: مواضع، جبل في الحجـاز، علـم عـلى مواضـع كثـيرة. ينظـر: ابـن منظـور، لـسان العـرب: ج55/4، الفيروز ابادي، القاموس المحيط: ج277/1.

(3) هو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر من كندة حمير سـيد كنـدة في عـصره. كـان في عهد تبابعة اليمن في الجاهلية وولاه أخوه لأمه على قبائل معـد بـن عـدنان في الحجـاز، واسـتمر فيهم إلى أن مات. وهو أول من يذكر المؤرخون من ملوك كندة. ينظر: عبدالقادر عمـر البغـدادي (ت 1093 هـ)، خزانة الأدب ولباب لسان العرب (القاهرة، 1299هـ) ص502-504.

(4) ابن الهبولة: هو زياد كان ملكاً على الشام وكتن من قضاعة. ينظر: ابن الأثير، الكامـل في التـاريخ، دار القلم، بيروت، 1398 هـ 1978م، ج301/1.

كندة وربيعة فأخذ الحريم والأموال وسبا منهم هند بنت ظالم زوج حجر مستغلاً غياب رجال القوم، فسمع حجر بغارة زياد فطلبه ثم سار إليه حتى إذا كان بمكان يقال له (الحفير) أرسل حجر (سدوس بن شيبان» و(صليع بن عبد غنم) يتجسسان له الخبر، فخرجا حتى اقتربا من معسكر زياد ليلاً. وبعد أن أكل زياد نادى بأن كل من يأتيه بحزمة حطب له تمر منه. فجاءه سدوس وصليع بحطب، فأعطاهما زياد التمر. ثم جلسا قريباً من قبته للتنصت، ثم ما لبث صليع أن عاد إلى حجر فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر كدليل على صحة قوله[1].

اما سدوس، فإنه لم يكتف بما حصل عليه من معلومات، وقرر ألا يبرح حتى يأتي ببرهان مبين. فجلس مع القوم ليستمع ما يقولون. وكانت (هند) امرأة حجر خلف زياد. وبعد أن تفرق أصحاب زياد عنه ضرب سدوس يده إلى جليس له والوقت ليلاً وقال له: «من أنت؟» مخافة أن يستنكره الرجال. فأجابه الرجل: «أنا فلان بن فلان» فدنا سدوس من قبة زياد يسترق السمع. فسمع حديث هند مع زياد التي كانت تحذره من حجر. فخرج سدوس بعد أن نام حرس زياد منطلقاً إلى (حجر) فأخبره بما سمعه بإذنه ورأه بأم عينه. عندها نادى (حجر) بالرحيل حتى انتهى إلى معسكر ابن الهبولة فاقتتلوا اقتتالاً شديداً وانهزم أصحاب ابن الهبولة، وأخذ (حجر) زوجته فقتلها.

نحن نرى أن ما قام به صليع وسدوس هو عمل استطلاعي متميز. فبواسطة هذا الاستطلاع الدقيق والمعزز بالوثيقة (حفنة التمر بيد صليع) ونقل نص حديث (هند) مع (زياد) من سدوس، تمكن (حجر) من تحقيق النجاح ضد خصمه زياد بن الهبولة الذي أغفل جانب الأمن حيث لم يفكر بوضع عناصر لمكافحة استطلاع الخصم توكل إليها مهمة حرمان عيون الأعداء من

(1) ابن الأثير، المصدر السابق: الكامل في التاريخ، م1، ص302-303.

تحقيق مآربها، وقد قام كل من سدوس وصليع بتنفيذ عملية الاستطلاع بكل دقة وجرأة وإبداع، سواء في جلب الحطب لزياد أو في مبادرة سدوس في الاستفسار من الرجل الجالس بقربه وسد الطريق على أي شك محتمل تجاهه.

يوم السلان[1]:

هو يوم آخر من أيام العرب قبل الإسلام. كان بنو عامر بن صعصعة قوماً حمساً[2] لقاحاً[3]. فلما ملك النعمان بن المنذر[4] على الحيرة كان يجهز لطيمة[5] لتباع في سوق عكاظ. فتعرض لها بنو عامر، فغضب الملك النعمان لذلك وبعث إلى وبرة بن رومانس الكلبي أخيه لأمه، وبعث صنائعه ووضائعه. والصنائع من

(1) السلان: في الأصل بطون الأرض التي تغطيها الأشجار. وهو يوم من أيام العرب قبل الإسلام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979م) ج234/3.

(2) الحمس: المتشددون في دينهم، المتحمسون. وحميس كفرج: اشتد وصلب في الدين والقتال فهو حمس وأحمس وهم حمس. والحمس: الأمكنة الصلبة: جمع أحمس وهو لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أو لألتجائهم بالحمساء وهي الكعبة لأنها حجرها أبيض إلى السواد: والحماسة: الشجاعة. والأحمس: الشجاع. ينظر: فيروز أبادي، القاموس المحيط: ج208/2.

(3) اللقاح: هم من لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء. ابن منظور، لسان العرب: ج419/3. والزبيدي، تاج العروس: ج92/7.

(4) النعمان: هو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر (نحو 15 ق. م/ 608م)، كان نائباً على الحيرة لملوك الأكاسرة. وكانت العرب تعد إليه وتمتدحه. ينظر: ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، البداية والنهاية: تحقيق دكتور احمد أبو ملحم وآخرين. (بيروت، دار الكتب العلمية ط5 سنة 1989) ج2/ 151.

(5) اللطيمة: عير تحمل المسك. ينظر: الجوهري، اسماعيل بن حماد، مختار الصحاح (بيروت، دار الكتاب العربي، 1981م). ص598.

كان يصطنعه مـن العـرب ليغـزى بـه، والوضـائع هـو الـذين كـانوا شـبه المـشايخ. فأجابوه واجتمعوا بجيش كبير، وجهز النعمان معهم عيراً وأمـرهم بتـسييرها وقـال لهم: «إذا فزعتم من عكاظ وانسلخت الحرم[1] ورجع كل قوم إلى بلادهم فاقـصدوا بني عامر فإنهم قريب بنواحي السلان». فخرجوا وكتموا أمرهم. فلـما فـرغ النـاس من عكاظ، علمت قريش بحالهم. فأرسل عبد اللـه بـن جـدعان[2] رسـولاً إلى بنـي عامر يعلمهم الخبر، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم[3] فحذروا وتهيؤا وتحرزوا وزرعوا العيون على المقتربات. وعندما وصل جيش النعمان والتقـى بجـيش عـامر بالـسلان اقتتلوا اقتتالاً شديداً وأسر (وبرة الكلبي) أخو النعمان، وانهزم جيش النعمان[4].

لقد حدث ذلك نتيجـة عـدم أخـذ الحـذر والاحـتراز والمحافظـة عـلى الـسر والكتمان من جانب النعمان. يقابل ذلك تحـوط واحـتراز بنـي عـامر الـذين نـشروا عيونهم فكانوا على بينة من خصومهم، ولذلك حققوا النصر في هذه المعركة.

(1) الحرم: وهي الأشهر الحرم وهي ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجـب، حيـث كانـت العـرب لا تستحل فيها القتال. ينظر: المنجد في اللغة، مصدر سابق: ص130.

(2) عبد اللـه بن جدعان: هو من معاصري النبي صلى اللـه عليه وسـلم . وكـان مـن قبائـل حلـف الفضول. اجتمع ورؤساء هذه القبائل واحتلفوا ألا يدعوا أحداً يظلم بمكة أحداً إلا نصروا المظلـوم على الظالم وأخذوا بحقه. وكان مشهوراً بالكرم وهو أبـن عـم أبي بكـر الـصديق رضي اللــه عنـه. ينظر: البغدادي – المحبر. محمد بن حبيب با أمية بن عمرو الهاشـمي البغـدادي (ت 245 هــ). مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية الهند، حيدر اباد الدكن (1363هـ/1932م). من 97-439. وبن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج202/2.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ص391.

(4) ابن الأثير، المصدر نفسه، ص392.

يوم النفراوات[1]

كان زهير بن جذيمة العبسي سيداً لهوازن يتحكم في شؤون أهلها ويطالبهم بالأتاوة. وذات يوم اعتدى على امرأة عجوز فغضبت هوازن من عمله واضمرت له الحقد. فقامت قبيلة عامر بن صعصعة وهي بطن من بطون هوازن بالحرب ضد زهير من خلال تهديد أحدهم وهو (خالد بن جعفر) بقوله: «واللـه لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل -زهير-». ثم تلا ذلك تبادل التهديدات بين زهير وخالد. وكانت امرأة زهير تدعى تماضر ولها أخ يدعى الحارث كان قد اقترف جناية قتل ثم هرب محتمياً بقبيلة خالد بن جعفر الذي استعمله ليكون عيناً له يأتيه بخبر زهير. عندما اقترب الحارث من دار زهير ليستقصي أحواله لمحه زهير وقال لولديه: «إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه». لكن أخت الحارث قالت لأبنيها: «أيزوركم خالكم فتوثقوه؟». وثم جلبوا لبناً وأخذوا منه يميناً ألا يخبر عنهم ولا ينذر بهم أحداً. فخرج حتى وصل بني عامر في مجلسهم. واتى شجرة فألقى وعاء اللبن تحتها والقوم ينظرون ثم قال: «أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن وانظري ما طعمه». فقال أهل المجلس: «لابد أن لهذا الرجل خبراً..) فأتوه وذاقوا اللبن، فإذا هو حلو لم يقرص بعد. فقالوا: «إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب..». فركب خالد ومعه ستة فوارس لينظروا ما الخبر، حتى وصلوا إلى مرعى أبل زهير. فقالت النساء من قوم زهير

(1) النفراوات: نفر بالتحريك يلفظ نفروهم دون العشرة وفوق الثلاثة لا واحد له من لفظة ويقال ليلة النفر والنفر وذو نفر موضع على ثلاثة أميال من السليلة بينها وبين الربذة، وقد قيل خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة، ويروى بسكون الفاء أيضاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج5/ص295-296.

كن مع الأبل: «إننا لنرى غابة من الرماح في مكان كنا لا نـرى فيـه إلا الكـلأ». حتـى أوصلن الخبر إلى زهير.

وبغتة صهلت فرس زهير، فسأل زهير طليعته عن سبب ذلك؟ فقالوا: «لقـد أحست بالخيل فصهلت». بغتةً أحاط قوم خالد بجماعـة زهـير، فجعـل خالـد يـده وراء عنق زهير ثم أمر أحد فرسانه المدعو (صندج بن البكاء) بقتله[1].

في تقديرنا أن ما جرى في يوم النفراوات حوادث مليئة بالاستطلاع تبـدأ مـن مبادرة خالد بن جعفر بتجنيد الحارث ليكون عيناً له على زهير. وقـد قـام الحـارث بهذا الدور بشكل متقن عندما نقل اللبن الطازج إلى خالـد وقومـه الـذين اكتـشفوا بدورهم ضرورة تحركهم بسرعة اقتناصاً للفرصة. في الوقـت نفـسه نجـد أن فراسـة زهير جعلته يكتـشف في اللحظـة الأولى مـن وصـول الحـارث إلى بيتـه أن الحـارث مكلف بالتجسس عليه فقال لأولاده: «إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأتقوه». لكن زهيراً أخفق في متابعة تنفيذ أمره، فحلت به الكارثة. وبرزت حالة اسـتطلاع اخـرى عندما اقترب قوم خالد من مراعي أبل زهير اذ رصدت نـساء رعـي ابـل زهـير قـوم خالد فوصفتهم بغابة من الرماح حيث لم يكن إلا الكلأ. وبهـذا يعَـدّ سـبب انتـصار خالد بن جعفر على زهير اهتمامه واستثماره للاستطلاع في الوقت الذي نجد إهمال زهير لهذا الجانب المهم.

(1) احمد محمد جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، المصدر السابق: ص237-239.

يوم الوقيط[1]

تجمعت قبائل بكر بن وائل لتغير على بني تميم. وكان أسير تميمـي في بكـر يدعى (ناشب الأعور) قد علم بـذلك، فطلـب مـن بكـر: «أعطـوني رجـلاً أرسـله إلى أهلي لكي أوصيه ببعض حاجتي». فقالوا: «بشرط أن يـتم ذلـك بحـضورنا». فوافـق (الأعور) على ذلك. فأتوه بغلام تبدو عليه علامات الغباء والغفلة. فملأ الأعور كفـه بحفنة رمل وسأل الغلام: «كم في كفي؟» فأجابه أنه لا يستطيع أن يحصيه. ثم أومأ (الأعور» إلى الشمس وسأله: «ما تلك؟» فأجاب الغلام: «هـي الـشمس» ثـم طلـب (الأعور) منه الذهاب إلى أهله وإبلاغهم التحيـة والإحـسلن إلى أسراهـم وأن يقـول لهم أن يعقروا جمله الأحمر وأن يركبوا ناقته العيساء، ويرعوا حاجته في بني مالك. وأن يخبرهم أن العوسج قد أورق وأن النساء اتخذن لهن أوعية للماء.

فسار الرسول فأتى بني تميم وأبلغهـم بمـا أوصاه الأعـور، فلـم يفهمـوا منـه شيئاً حتى جاءهم رجل منهم يدعى (هذيل بن الأحـنس). وبعـد أن سـمع حكايـة الأعـور صرف الغـلام ليعـود مـن حيـث أتى. فأخـذ (هـذيل) يـشرح لقومـه قـائلاً: «إن الأعور ينذرنا أن نكون على حذر. فالرمـل الـذي ضـمه في كفـه قـصد بـه كـثرة العدو الذي لا يحصى عـدده والـذي سـوف يغزونـا. أمـا الـشمس التـي أومـأ إليهـا فمعنى ذلك أن الهجوم علينا واضح كالشمس. أما جمله الأحمر فهو الجبل الأحمـر في تميم ويأمركم بالرحيل عنه. أما ناقته العيساء فالمقصود بهـا الـدهناء[2] ويـأمركم

(1) الوقيط: المكان الصلب الذي يستنقع في الماء. والوقيطة حفرة في جبل، يجتمع فيهـا مـاء الـسماء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق: ج312/9-313.

(2) الدهناء: أو صحراء النفوذ الصغرى، صحراء في شرق السعودية تمتد بين نجد والإحساء من النفـوذ الكبرى إلى الربع الخالي جنوباً. وهي كثبان رملية متحركـة (أو تلـول). المنجـد في الاعـلام، المـصدر السابق: ص247.

أن تتحصنوا فيها. وأما بنو مالك فإنه يبلغكم أن تنذروهم وتمسكوا بحلف معهم. وأما إيراق العوسج فمعناه أن القوم قد تسلحوا ضدكم، واتخاذ النساء أوعية الماء يقصد إنهم اعددناها للغزو بها».

صدقت بنو تميم قول (هذيل) فارتحلت عدا بني مالك التي رفضت الرحيل، فهاجمتها بكر في الصباح الاتي في معركة طاحنة في موضع يقال له «الوقيط» وكانت الغلبة لبكر.

يتبين مما ورد أعلاه أهمية موضوع نقل المعلومات والتمعن في اختيار نوعية الرسل الذين يتداولونها. ومجمل ما قاله المدعو (الأعور) يمثل صورةً بارزةً في التجفير الذي لم يستطع بنو بكر من فهم الرسالة الشفوية المجفورة التي أرسلها الأعور إلى قومه. وحتى على مستوى قومه فلم يكن هنالك من فهم فحواها إلا عند حضور المدعو (هذيل) الذي استطاع بذكائه أن يحل هذه الرسالة المجفورة وينذر قومه بها، مما دفع بعضهم إلى الأخذ بنصيحة الأعور فنجوا. أما البعض الآخر وهم بنو مالك فلم يصدقوا فوقع عليهم ما وقع.

يوم ذي قار:

كان للفرس عملاء وجواسيس في الحيرة أشهرهم المدعو (عدي بن زيد العبادي) الذي كان مترجماً وكاتباً في بلاط كسرى ابرويز بالمدائن. وقد اتهم الملك النعمان (عدياً) بالخيانة العظمى ونفذ فيه حكم الإعدام فعلاً. فغضب كسرى لذلك وأقسم لينتقم من النعمان بن المنذر، فبعث بجيشه واحتل الحيرة وتقدم جنوباً لمقاتلة العرب حلفاء النعمان[1].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج206/2. .

- **قوات الطرفين**

قوات الفرس:

(أ) فرقة يقودها الهامرز.

(ب) فرقة يقودها جلابزين.

(ج) فرقة يقودها قيس بن قيس.

(د) فرقة اياس بن قبيصة من الحيرة معظمها من قبيلة أياد العربية[1].

- **القوات العربية:**

(أ) هاني بن قبيصة، القلب.

(ب) على الميمنة: يزيد بن مزهر الشيباني.

(ج) على الميسرة: حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي.

- **عدد قوات الطرفين**

ثمانية آلاف في الجانب الفارسي.

وثمانية آلاف في الجانب العربي.

خريطة معركة ذي قار[2]

المعركة: وضع العرب كميناً قوياً في جب ذي قار يقوده (يزيد بن حمار السكوني). وعندما زحف الجيش الفارسي بقيادة (اياس بن قبيصة) داهمته كتيبة الكمين فأوقعته في مباغتة مذهلة حطمت معنويات الجيش الفارسي

(1) صالح مهدي عماش الفريق أول الركن، ذي قار إلى القادسية. (مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، ط2 1393هـ -1973م). ص50.

(2) ينظر: الملحقين أ و ب المرفقين.

وأخلت بترتيبات الفرس العسكرية. فانهزم الفرس إلى الجبابات وهم يعانون من عطش شديد، في حين أن الجيش العربي كان قد اكتنز ماء لمدة اسبوعين. ودارت في الجبابات معركة شديدة انهزم فيها الفرس أيضاً فتحولوا شمالاً نحو بطحاء ذي قار. أي أنهم أرادوا الوصول إلى الفرات، فطاردهم العرب للقضاء عليهم نهائياً. وفي أثناء المعركة في الجبابات أرسلت قبيلة أياد العربية التي كانت مع الفرس إلى قبيلة بكر تخبرها أنه لا يمكن أن يقاتل العربي أخاه العربي لذلك فإن أياداً قررت الانحياز إلى العرب، وسألت أياد بكراً «أي الأمرين أعجب إليكم أن نطير تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم فنفر حين تلاقون القوم؟» فكان الجواب: «بل تقيمون، فإذا التقى القوم انهزمتم» أي حافظوا على مواضعكم مع الفرس، فإذا ما دارت المعركة انسحبوا. وقد حصل ذلك فعلاً في معركة بطحاء ذي قار، إذ عندما اشتدت المعركة بعد هجوم الجيش العربي[1] العاصف على الفرس، نفذت قبيلة أياد وعدها فانهزمت نحو الشمال الغربي فأحاطت القوات العربية بالقطعات الفارسية فأبادتها إبادة تامة[2].

إن الدرسين الرئيسين من هذه المعركة هما: التخطيط الدقيق للكمين الذي اعتمد على الكتمان الذي هو أحد مبادئ الاستطلاع وما حققه من نتيجة رائعة في مباغتة الجيش الفارسي مما افقده توازنه وأربك ترتيباته نتيجة هذه المباغتة التي قامت بها كتيبة (يزيد بن حمار السكوني) والدرس الآخر هو المخادعة الناجحة والتوقيت الدقيق لها من قبيلة أياد العربية التي كانت تحارب إلى جانب الفرس، فنسقت في أثناء المعركة مع قبيلة بكر للانضمام إلى جانب

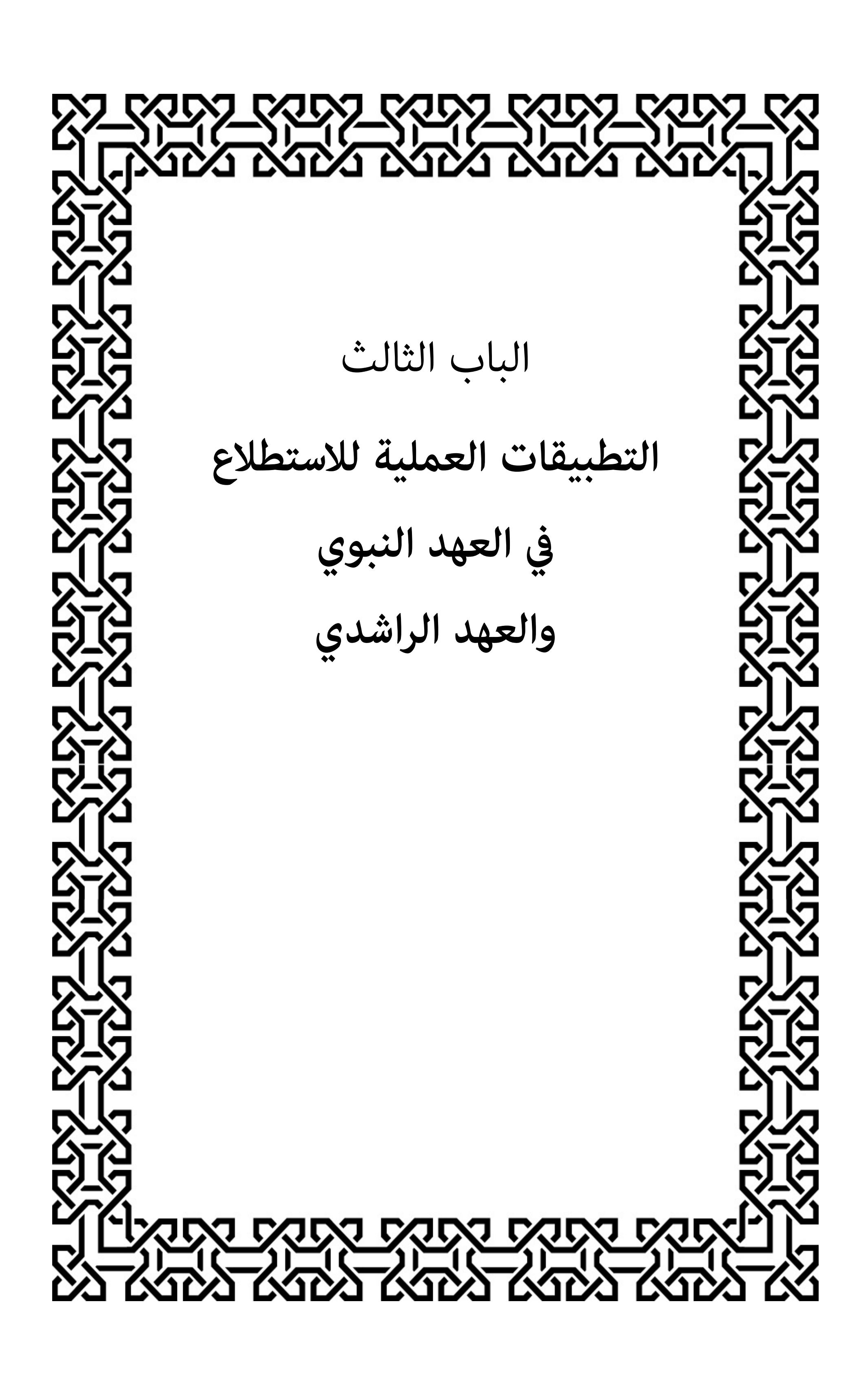
(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج209/2.

(2) محمد أحمد جاد المولى بيك، أيام العرب في الجاهلية، المصدر السابق: ص32-33، وصالح مهدي عماش، من ذي قار إلى القادسية، المصدر السابق: ص56-57.

العرب، لذلك من خلال هروبها نحو الشمال الغربي، مما تسبب في حـصول ثغـرة في جبهة الجيش الفـارسي اسـتثمرتها القـوات العربيـة فأحاطـت بالقطعـات الفارسـية وأبادتها إبادةً تامةً. وسجل العرب انتصاراً مهـماً عـلى الجـيش الفـارسي في العـراق. وعلى ذلك أشار الرسول صلى اللـه عليه وسلم : (هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم)[1].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج207/2.



الباب الثالث

التطبيقات العملية للاستطلاع

في العهد النبوي

والعهد الراشدي

الفصل الأول

الاستطلاع في عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم

إنَّ نشاة الاستطلاع المبداني في التاريخ العربي الاسلامي ترتبط ارتباطا طبيعيا بعمل القوات المسلحة وعليه ينبغي التعرف على مراحل تكوين الجيش العربي الذي يعدّ نقطة انطلاق لمعرفة نشأة وتطور جهاز الاستطلاع العربي الاسلامي. ان بناء الجيش العربي الاسلامي وتطوره الذي ابتدا تكوينه في عهد الرسول صلى اللـه عليه وسلم وباشرافه الشخصي المباشر. ولقد مرَّ الجيش الاسلامي بأربعة ادوار متداخلة تدرج فيها من الضعف إلى القوة، ومن الدفاع إلى الهجوم حتى اصبح قوةً ضاربة ذات عقيدة خالصة وراسخة وتتمتع بمعنويات عالية تحت قيادة واحدة لتحقق غاية واحدة وهي اعلاء كلمة اللـه [1] ويمكن تقسيم الادوار الاربعة كما يلي:

---

(1) خطاب اللواء الركن المتقاعد محمود شيت خطاب،جيش الرسول صلى اللـه عليه وسلم . ط10(بغداد 1988) ص26

أ- الدور الاول: وهو دور الحشد والتجمع الذي يمتد من بعثه الرسول الكريم صلى اللـه عليه وسلم سنة(610م). وحتى هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وذلك بالهجرة اليها وهي تعدّ القاعدة الاولى لجيش المسلمين.[1]

ب- الدور الثاني: ومثل هذا الدور الدفاع عن العقيدة. وقد اقتصر في السنة الاولى من الهجرة. على تنظيم الجيش الاسلامي واعداده لمواجهة الاعداء من المشركين واليهود بعد نزول اية الاذن بالجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللـه عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللـه ﴾ [الحج:39-40] وقد ذكر الواقدي[2] ان الرسول صلى اللـه عليه وسلم بدا يرسل البعوث والسرايا وقاد بنفسه الغزوات وامتد هذا الدور حتى انسحاب الاحزاب عن المدينة بعد غزوة الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة[3]. وفي هذا الدور[4] اثبت الجيش الاسلامي جدارته في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن الدعوة الإسلامية. وفي نهايته عبر الرسول صلى اللـه عليه وسلم عن ادراك المسلمين لقوتهم عندما قال بعد انسحاب الاحزاب من غزوة الخندق:

(الان نغزوهم ولا يغزونا. نحن نسير اليهم)[5]

---

(1) المصدر نفسه، ص27.
(2) الواقدي، المغازي، ج2/1-3
(3) المصدر نفسه، ج440/2.
(4) خطاب، اللواء الركن المتقاعد المرحوم محمود شيت، جيش الرسول، ص 29.
(5) ابن كثير البداية والنهاية. منشورات مكتبة المعارف. (بيروت 1409ه/1988م)ج91/1

ج- الدور الثالث: وهو الدور الذي تم فيـه الانتقـال مـن حالـة الـدفاع إلى حالة التعرض ويتحدد هذا الدور من بعـد غـزوة الخنـدق إلى غـزوة حنـين[1] التـي كانت في شـهر شـوال مـن الـسنة الثامنـة لـلــهجرة وفي هـذا الـدور اصبح جـيش المسلمين قوةً ضاربةً أستطاع دحر الاعداء من المشركين واليهود واصبح جيشا مهابـا [2]

د- الدور الرابع: وهو دور التكامل وهو يحدد من الحقبـة التـي تلـت معركة حنين في السنة الثامنة لـلـهجرة حتـى التحـاق الرسـول الكـريم صـلى الـلــه عليه وسلم بالرفيق الاعلى في يوم الاثنين من شهر ربيع الاول من سنة احدى عشرة لـلـهجرة[3].

إنَّ جهاز الاستطلاع الاسلامي الذي كان على راسه الرسول القائد صلى الـلــه عليه وسلم بعدِّه القائد المسؤول عن نشر الدعوة الإسلامية وقيـادة جيـشها بمـا في ذلك جهاز الاستطلاع وكان معه عنصر استطلاعي موثوق به ذلك هو عبد الـلـه بـن ابي بكر الصديق رضي الـلـه عنه الذي كـان يـزود الرسـول بالمعلومـات عـن قـريش ومكة بعد ان اذن للرسول صلى الـلـه عليه وسلم بالهجرة من مكـة إلى المدينـة في واثناء مكوث الرسول صلى الـلـه عليه وسلم وصاحبه ابي بكر الـصديق رضي الـلــه عنه في غار ثور[4] للتهيؤ لـلـهجرة مـن مكـة إلى المدينـة. والهجـرة هـي الانـسحاب الكامل من وجه العدو المحيط بالاسلام بشراسته وقوته.

---

(1) حنين واد: قبل الطـائف بينـه وبـين مكـة ثلاثـة ليـال: ينظـر: يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج354/3

(3) ابن كثير،البداية والنهاية، منشورات مكتبة المعارف، (بيروت 1409هـ/1988م)ج91/1

(3) الطبري. تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج200/3

(1) غـار ثـور: يقـال لـه ثـور اطحـل: احـد جبـال مكـة مـن جنوبهـا بينـه وبـين مكةميلان. وهو جبـل مـشرف يكـون ارتفاعـه الميـل في اعـلاه الغـار الـذي دخلـه النبي صـلى الـلــه عليـه وسـلم وابـو بكـر رضي الـلــه عنـه. وقـد ورد ذكـره =

وكانت ستراجية الرسول صلى اللـه عليه وسلم فـيما يخـص الهجـرة تقـوم على تنفيذ انسحاب منظم. فقد قرر صلى اللـه عليـه وسـلم ايثـار الـصحابة عـلى نفسه الشريفة، بتعريض حياته للخطر. وقد رتب سفر جميع صحبه حتى وصـولهم إلى يثرب وهو لا يزال باقيا في مكة مثله مثل القائد العام الذي ينـسحب بعـد اخـر قواته مجابهاً عدوه بعزمه وأرادته التي جسد بهـا مـا يعـرف بالمـصطلح العـسكري المعاصر بمؤخرة الانسحاب. وكانت خطة النبي صـلى اللــه عليـه وسـلم للـــهجرة يسيرة لكنها تعتمد على الايهام والمباغتة باعتماد الكتمان الـشديد ان أهـم واخطـر مرحلة من الهجرة هي هجرته صلى اللـه عليه وسلم لان بهـذه الهجـرة ينتقـل مركز الاسلام من مكة إلى يثرب. والايهام ثم تطبيقه خلال نوم الامام عـلي بـن ابي طالب رضي اللـه عنه. وهذه تعدُّ اول عملية فدائيـة في الاسـلام وان الإمـام عـلي رضي اللـه عنه هو أول فدائي في الاسلام[1]وسبق ان قريشاً كانت قـد قـررت منـع النبـي صـلى اللــه عليـه وسـلم مـن الهجـرة ثـم القيـام بقتلـه ففاجـا الرسـول صلى اللـه عليه وسلم قريش بخطة مباغتة اذ ترك الامام عـلي رضي اللــه عنـه ينام على فراشه قائلا له: (نم على فراشي واتـشح بـبردي الحـضرمي الاخـضر فـنم فانـه لا يخلـص لـك شيء تكرهـه مـنهم)[2]وكـما ذكرنـا ان عبـد اللــه بـن ابي بكر الصديق رضي اللـه عنـه زود النبـي بالمعلومـات عـن مكـة وقـريش تنفيـذا لامر والده(ان يسمع لهما ما يقوله الناس فيهما نهـاره ثـم يـاتيهما اذا امـسى بمـا

= في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:40]. وقد امر اللـه تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار، وارسل جل جلالـه حمامتـين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وكان ذلك مما صـد المـشركين علـيهما وقـد سـبق أبـو بكـر رضي اللـه عنه الدخول للغار خوفا من وجود ما يؤذي الرسول صلى اللـه عليه وسلم . ينظر الحمـري الروض المعطار ص151، 422

(1) رامز،اللواء الركن شاكر محمود،حروب فجر الاسلام(غير منشور ج1/ص110،101

(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج2/ص372

يكون ذلك اليوم من الخبر)[1]وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي اللـه عنه يتردد هو الاخر عليهما في الغار ويقوم بمحو اثار مسير عبد اللـه بن ابي بكر واقترابه من الغار من خلال تسيير غنمه في المنطقة: (فاذا عبد اللـه بن ابي بكر غدا من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة اثره بالقدم حتى يعفى عليه)[2] ثم ياتي دور اسماء[3] بنت ابي بكر (رضي اللـه عنها) التي كانت تقوم بنقل الطعام إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم وصاحبه ابي بكر رضي اللـه عنه متحملة الخطورة والتعب وهي بلا شك تمثل علامة مشرفةً في تاريخ المراة العربية المسلمة في قيامها بالواجبات الصعبة والدقيقة[4]ويبرز دور الدليل في هجرة الرسول صلى اللـه عليه وسلم من مكة إلى المدينة واسلوب استعمال الأدلاء في السفر امراً شائعاً لعدم تيسر الخرائط والدلائل المطلوبة من السفر من مكان إلى اخر، ولا سيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار موضوع الكتمان والاحتراز. لقد كان دليل هذه الرحلة الخطيرة التي كان يتوقف عليها مستقبل الدعوة الإسلامية هو (عبد اللـه بن اريقط)[5]، وهو من المشركين. وكانت قريش قد خصصت مكافاة مقدارها مائة ناقة لمن يرد الرسول صلى اللـه عليه وسلم اليها، بعد ان فقد

---

(1) ابن هشام. محمد بن عبد الملك بن هشام (ت213هـ)، سيرة ابن هشام، قدم لها وعلق عليها وضبطها:طه عبد الرؤوف، دار لجيل (بيروت لات)، ج93/2.

(2) المصدر نفسه ص99

(3) اسماء بنت ابي بكر:هي اسماء بنت ابي بكر الصديق بن ابي قحافة (رضي اللـه عنها)اسلمت قديما بمكة وبايعت الرسول صلى اللـه عليه وسلم وهي الملقبة بذات النطاقين. ماتت سنة 83هـ تنظر:بن سعد،محمد بن سعيد بن منيع الزهري (ت123هـ) الطبقات

(4) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. المصدر السابق. ج379/2

(5) عبد اللـه بن اربقط:هو رجل من بني الدَّيل من بكر. كانت له امراة من بني سهم وكان مشركا. ينظر الطبري. تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق ح378/2

اثره[1] تجد ان هذا الدليل المشرك لم تغره المكافأة بل بقي امينا على مهمته ويمكن ان يعزى ذلك لسببين أولهما التزامه بما اعتادت عليه العرب في ذلك الوقت من المحافظة على العهد والأمانة، وثانيهما انه كان يكتم تعاطفه مع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم . ولولا امانة (عبد الله بن أر يقط)العالية لتعرضت عملية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطر كبير، ولا سيما اذا ما علمنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه قد امنا الدليل فدفعا اليه راحلتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال[2]ولمدة ثلاث ليال كاملة لم يصل الخبر إلى قريش رغم المكافأة الكبيرة وثمة مثل آخر على الاستطلاع. عندما انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر رضي الله عنه إلى الغار، نجد ان ابا بكر رضي الله عنه الله عنه يسير مرة امامه ومرة خلفه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : يا ابا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟فاجاب أبو بكر صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي بين يديك[3]وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدا ينشط لجمع المعلومات عن الاعداء من اليهود والمشركين في الداخل وعن الاعداء من الروم والفرس في الخارج. وبطبيعة الحال ان هذه المعلومات تحتاج إلى عيون وبعوث أو سرايا ومن العناصر المهمة والموثوقة في هذا المجال هو الصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان العبسي)[4].

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق ج379/2 وابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق ج182/3

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق ج180/3

(3) المصدر نفسه. ج180/3

(4) حذيفة بن اليمان: هو أبو عبد الله حذيفة بن حسل بن جابر العبسي واليمان لقب. وهو صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين. وكان صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم في المنافقين (ما يعادل =

بعد نزول اية الاذن بالجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج:39] وقد جاء أذن الباري عز وجل بالقتال للاسباب التالية[1]:

أ. الدفاع عن النفس وما إلى ذلك من العِرض والمال بعد ان لاقى المسلمون الاضطهاد والمحاربة في كل شيء.

ب. تامين الدعوة والدفاع عنها امام من يقف في سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول في الاسلام الفتنة عن دينه كما حدث لعمار بن ياسر وبلال الحبشي رضي اللـه عنه وغيرهما من المستضعفين من المسلمين

انتقل المسلمون إلى دور اظهار القوة امام المشركين والمنافقين بارسال البعوث[2] والسرايا[3] التي منها:

= في التاريخ المعاصر مدير المخابرات)ولم يعلمهم احد غيره ولما ولي عمر رضي اللـه عنه ساله:هل من عمالي احد من المنافقين؟ قال: نعم، واحد. فقال:من هو؟قال:لا اذكره. ولاه عمر على المدائن، حتى توفي فيها سنة (36هـ)وله كتب في الحديث. ينظر ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرح عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت970هـ) صفوة الصفوة. طبع باشراف محمد عبد الحميد خان مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. ط2. (حيدر اباد 1968)ج249/4.

(1) الدكتور حسن إبراهيم. تاريخ الاسلام. المصدر السابق ج106/1 و107

(2) البعوث:بعث يبعث أي ارسل. بعث الجند إلى الغزو يبعثهم بعثا وجههم وهو البعث والبعيث. البعث القوم المبعوثون وجمع البعث بعوث وجمع البعيث بعث. ينظر:أي منظور. لسان العرب ج421/2

(3) خطاب. محمود شيت خطاب الرسول القائد دار الفكر. ط4. 1971م ص95

أ- سرية الحمزة بـن عبـد المطلـب بقـوة (30) ثلاثـين رجـلا مـن المهـاجرين ليعترض عير قريش التي كانت قوتهم (300) ثلثمائة راكب يقـودهم أبـو جهـل بـن هشام في منطقة (العيص)[1] في شهر رمضان في السنة الاولى لـلـهجرة. [2]

ب- سرية عبيدة بن الحـارث مؤلفـة مـن (60) سـتين رجـلا مـن المهـاجرين يقودها عبيدة بن الحارث وقوة المشركين المؤلفة من (200) مائتي رجـل بـين راكـب وراجل بقيادة ابي سفيان بن حرب في منطقة تدعى (ماء بالحجـاز) في شـهر شـوال من السنة الاولى لـلـهجرة لغرض تهديد تجارة قريش بين مكة والشام[3]

ج- سرية عبد الـلـه بن جحش الاسدي. وهي دورية استطلاعية بقـوة (12) اثنا عشر رجلا من المهاجرين بقيادة عبد الـلـه بن جحش. تحركت الدورية في شهر رجب على راس سبعة عشر شـهرا مـن الهجـرة ومـع قائـدها رسـالة مكتومـة امـره الرسول صلى الـلـه عليه وسلم الا يفتحها الا بعـد يـومين مـن مـسيره فـاذا فتحهـا وفهم ما فيها مضى في تنفيذها غير مستكره احدا مـن افـراد سريتـه عـلى مرافقتـه. وجاء في الرسـالة: (اذا نظـرت في كتـابي هـذا فـامض حتـى تنـزل (نخلـة) بـين مكـة والطائف، (فترصد بها قريشا وتعلم لنا مـن اخبـارهم) وكـان تسلـسل الحـوادث في تنفيذ واجب الدورية كما ياتي:

اولا: عرض عبد الـلـه الامر على اصحابه وخيرهم بين المضي معه أو الرجوع، فمضوا ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى نزل (نخلة).

---

(1) العيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء عـلى سـاحل البحـر الاحمـر بطريـق قـريش التـي كـانوا ياخذونه منها إلى الشام. ينظر:ياقوت الحموي معجم البلدان ج6/ص248

(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك. المصدر السابق. ج402/2

(3) المصدر نفسه ص402

ثانيا: مرور قافلة تجارية بحماية اربعة رجال من قريش بقيادة عمرو بن الحضرمي.

ثالثا: قتل المسلمون قائد القافلة عمرو بن الحضرمي. ثم اسروا منهم عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان.

رابعا: خالف عبد الله بن جحش تقاليد العرب حينذاك عندما قاتل في اخر يوم من رجب وهو من الاشهر الحرم التي كان العرب لا يقاتلون فيها وكان قد وقع شك بين افراد السرية هل هو اول يوم من شعبان[1]واستغلت قريش هذه الفرصة ضد المسلمين

خامسا: عندما قدم عبد الله بن جحش وصحبه إلى المدينة ومعهم الاسيران قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام)[2]. لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد قتالا بل كان يريد استطلاعا وبقي الموضوع معلقا حتى نزلت الاية الكريمة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:217] فحدثهم الله في كتابه ان القتال في الشهر الحرام كما كان وان الذي يستحلون من المؤمنين هو

(1) الواقدي:المغازي. المصدر السابق ج1/ص14

(2) الدكتور حسن إبراهيم. تاريخ الاسلام. المصدر السابق ح108/1

اكثر من ذلك، من صدهم عن سبيل اللـه، حتى يعذبوهم ويحبسوهم ان يهاجروا إلى رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم وكفـرهم باللــه وصـدهم المـسلمين عـن المسجد الحرام في الحج والعمرة، وفتنتهم اياهم عن الدين.[1] وفي هذه الغزوة كان اول قتيل للمشركين يدعى (عمرو بن الحـضرمي) واول اسـيرين مـن المـشركين هـما (الحكـم بـن كيـسان) و(عـثمان المخزومـي) واول غنيمـة للمـسلين واول اسـتعمال للرسائل المكتومة في التاريخ الاسلامي[2]

لقد كانت خبرة النبي صـلى اللــه عليـه وسـلم ببعوثـه وسرايـا الاسـتطلاع رصينة تـستند عـلى اختيـار المكـان والهـدف والامـر الـذي يقودهـا، وتزويـد الامـر بالوصايا. وهو صلى اللـه عليه وسلم كـان صـاحب خـبرة اكتـسبها عنـدما عمـل بالتجارة وذهب إلى بلاد اليمن والشام. والتجارة كما لا يخفى تربي في التاجر صفات لا تقل عن صفات القائد في الجيش اذ يحتاج التاجر المـسافر في القافلـة إلى حمايـة من قبل حراس على بضاعته للذود عنها اذا ما هجم عليه بعض الاعـراب.[3] ويمكـن استخلاص الدروس الاتية من البعوث والسرايا التي سيرها الرسول صلى اللــه عليـه وسلم [4]

(1) الواقدي. المغازي. المصدر الـسابق ج1/ص18. والطـبري. تـاريخ الرسـل والملـوك. المـصدر الـسابق ج412/2

(2) الواقدي. المغازي. المصدر السابق. ج14/1 وخطاب: اللواء الركن محمـود شـيت خطـاب الرسـول القائد. المصدر السابق ص95

(3) الدكتور حسن إبراهيم. تاريخ الاسلام. المصدر السابق ج75/1

(4) العقــاد. محمـــود عبـــاس العقــاد. العبقريـــات الإســـلامية. دار الكتـــاب اللبنـــاني،ط1. (بيروت1974)ج46/1

أ- اعتماد الرسائل المختومة في سرية عبد اللـه بـن جحـش والتـي يكـون القائد وحده مطلعا على سر الدورية، ورجاله جميعا يجهلونه ولا يعرفونه اهـم خارجون في غزوة ام في استطلاع وهذا ما يؤمن عدم كشفها مـن العـدو، ومـن ثـمَّ يحرمه من معرفة النوايا. ويكون هذا الأنمـوذج مـن الاوامـر مكتوما عـن الاخـرين وبالتحديد كتمان الخبر عمن يحيطون بالنبي صلى اللـه عليه وسـلم فلا يـستبعد من يوجد بينهم من يبوح بالخبر وليس له نية سوء اولا يدرك مـا في البـوح بـه مـن خطر.

ب- وصية الرسول صلى اللـه عليه وسلم لعبد اللـه بـن جحـش الا يكـره احدا من رجاله على السير معه بعد معرفته بوجهته. وحكمة ذلـك تقـع ان الرجـل قد يحـارب وهـو مكـره مهـدد بـالموت الـذي يتقيـه اذا يفـر مـن القتـال ولكنـه لا يستطلع وهو مكره، ثـم يفيـد اسـتطلاعه مـن ارسـلوه. فقـد يـصبح فريـسةً سـهلةً يستغلها العدو فيجعل منه جاسوسا لـه. واذا كـان عنـصر الاسـتطلاع مكرهـا فقـد يتحيز إلى العدو فينضم اليه نجاة من المخاطر.

ج- الابداع الذاتي الذي تجسد في تصرف عبد اللـه بن جحـش وجماعتـه في قتال اهل عير قريش بعد ان مرت من امامهم وهي تحمل تجـارة ويقودهـا عمـرو بن الحضرمي في اخر شهر رجب وكانت قريش قد حجزت اموال اناس من المسلمين منهم بعض من في السرية فقاموا بهذه المبادرة التي باركها وأقرها القران الكريم.

رأي المؤرخين في السرايا الاولى:

يرى الكثير من المورخين في موضوع هذه البعوث والـسرايا والتـي كانـت تقوم بواجبات ما يعرف اليوم بواجبات دوريات الاسـتطلاع والقتـال. لقـد فكـر المسلمون من خلال هذه الـسرايا الانتقـام مـن قـريش لانفـسهم وفي مبـادئتهم

بالعداوة والحرب. وهؤلاء المؤرخين يرون ان المسلمين قصدوا من وراء ارسال سراياهم هذه إلى غايتين: الاولى الوقوع على قوافل قريش في ذهابها إلى الشام او عودتها منها حين رحلة الصيف واحتمال ما يمكن احتماله من الاموال التي تذهب هذه القوافل وتعود بالتجارة فيها. والثانية اخذ الطرق على قوافل قريش في رحلتها إلى الشام بعقد الاحلاف مع القبائل المتصلة ما بين الحديبة وشاطئ البحر الاحمر مما يسهل على المهاجرين مهاجمة هذه القوافل من دون ان تلقى في جوار هذه القبائل ما تحميها من الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه حماية تمنع اخذ المسلمين رجالها ومالها اخذ عزيز مقتدر. اما راي الاستاذ محمد حسين هيكل فيقول: (اما أنهم بهذه السرايا التي بدات بعد ستة اشهر من مقامهم في المدينة والتي اشترك فيها المهاجرون وحدهم كانوا يقصدون حرب قريش وغزو قوافلها، فذلك ما يقف الانسان منه موقف التردد والتفكير. فلم تكن سرية الحمزة لتزيد على ثلاثين رجلا من المهاجرين ولم تزد سرية عبيدة بن الحارث على ستين. وكان الموكلون بحماية قوافل قريش عادة اضعاف هذه الاعداد، ومهما يكن من باس حمزة وعبيدة فانه عدة من معهم لم تكن تشجعهم على الحرب، مما جعلهم يكتفون بتهديد قريش دون قتالها). وخلاصة راي الاستاذ محمد حسين هيكل ان هذه السرايا الاولى انما قصد بها إلى افهام قريش ان مصلحتهم تقتضي فيهم التفاهم مع المسلمين من اهلهم الذين اضطروا الجلاء عن مكة بسبب ما عانوا من الاضطهاد تفاهما يقي الفريقين شرور العداوة والبغضاء ويكفل للمسلمين حرية الدعوة إلى الدين والى اهل مكة سلامة تجارتهم في طريقها إلى الشام.[1]

(1) محمد حسين هيكل. حياة محمد ط3(بيروت بلات)ص160،161

أما رأي الباحث فيرى أنَّ الرسول صلى اللـه عليه وسلم قصد بهذه السرايا اهدافا متعددة منها رفع حالة المسلمين المعنوية وجعلهم يشعرون بقدرتهم وقوتهم وبالفرص المتاحة ولا سيما تهديد طرق تجارة قريش في هذه المرحلة مع ردع الاعداء الاخرين بما فيهم اليهود المتواجدين في المدينة المنورة كما اعتقد ان هناك هدفا مستقبليا هو تدريب وتاهيل المسلمين على تحمل المتاعب والمشاق وممارسة فنون القتال الهجومية تدريجيا لكي يكونو جاهزين للمعارك القادمة. لانه رسالة الاسلام لم تكن لتنتهي بتحقيق المصالحة مع قريش واعترافا بالدين الجديد بل كانت رسالة للبشرية عامة. ولما كانت الامبراطوريتان الفارسية والبزنطية تحتلان جزء من الاراضي العربية، فان الحرب واقعة معها لا محالة. وكان لا بد من اعداد جيش اسلامي قوي وفي مقدمته عيونه وطلائعه لانجاز المهام المناطة به.

ان البحث في تفاصيل معارك العهد النبوي موضوع واسع. ولما كان الغرض الاساسي من البحث هو الوقوف على عمليات الاستطلاع في هذه المعارك لذا ساقوم باختيار نماذج بارزة من هذه المعارك لاستنباط الدروس التي لها صلة بالاستطلاع. ومن هذه المعارك: (بدر، احد، الخندق، فتح مكة)

معركة بدر الكبرى[1]

سأتناول الموضوع كما ياتي:

أ- **الموقف العام**

اولا: المسلمون: ازداد عدد المسلمين في المدينة المنورة وازدادوا تماسكاً ولكن حالتهم الاقتصادية كانت متردية، لان اكثر المهاجرين فروا بانفسهم وعقيدتهم من مكة المكرمة. في هذه الاثناء سمع الرسول الاكرم صلى اللـه عليه وسلم ان ابا سفيان بن حرب مقبل من الشام بقافلة تجارية كبيرة لقريش ومعها ثلاثون او اربعون رجلا لحراستها فتقرب الرسول صلى اللـه عليه وسلم اليهم وقال (هذه عير لقريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل اللـه يغنمكموها[2]. فاسرع من اسرع، حتى كان الرجل ليساهم اباه في الخروج فكان ممن ساهم سعد بن خيثمة وابوه في الخروج إلى بدر فقال سعد لابيه:ان لو كان غير الجنة اثرتك به. واني لارجو الشهادة في وجهي هذا. وهكذا انتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك انهم لم يظنوا ان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسال من لقي من الركبان تخوفا على امر الناس، حتى اصاب خبرا من بعض الركبان: ان محمدا قد استنفر اصحابه لك ولغيرك فاحذر عند ذلك فاستاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم إلى اموالهم. وهذه مبادرة تؤكد سبق الاحداث والتعرف على الاخبار والحوادث تجنبا للمفاجئة وهي ممارسة استطلاعية يشهد بها لابي سفيان.

(1) بدر: اصله الامتلاء، وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة اسفل وادي الصفراء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج524/1.

(2) خطاب اللواء الركن. محمود شيت. الرسول القائد. المصدر السابق ص96

ثانيـا المـشركون: اصـبح للمـشركين ثـار عنـد المـسلمين في قتـل عمـرو بـن الحضرمي فـلا بـد مـن الاخـذ بهـذا الثـار حتـى تعـود لقـريش وحلفائهـا كـرامتهم وهيبتهم عند العرب.

ب- قوات الطرفين(1)

أولاً: بلغت قوة المسلمين (305) رجلا من المهاجرين والانصار بقيادة الرسول صلى اللـه عليه وسلم وكان معهم فرسان فقط وسـبعون بعـيرا يتعاقـب الـرجلان والثلاثـة والاربعـة عـلى البعـير الواحـد الامـر الـذي سـاعد في وصـول المـسلمين إلى المنطقة من دون جهد كبير.

ثانياً: بلغت قوة المشركين (950 رجلا) اكثرهم من قريش ومعهم مائتـا فـرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل امتعتهم وكانت هذه القـوة بقيـادة عدد من رجالات قريش.

ج- تسلسل الاحداث(2)

اولا: وصل الرسول صلى اللــه عليـه وسـلم إلى (الـصفراء) وهـي قريـة بـين جبلين فتركها إلى يساره وسلك يميناً فمرَّ بوادي (ذفران) ونزل فيـه حيـث اتـاه الخـبر عن خروج قـريش لنجـدة القافلـة. اسـتمر أبـو سـفيان في مـسيرة الحـذر وتحسـسه للاخبارمطبقا مبادىء الامن ومتقدما القافلة زيادة في الحذر فلما وصل إلى ماء بـدر علم ان راكبين قد وردا الماء فتفحص فضلات بعيرهما فوجد فيهـا نـوى فقـال (هـذه واللـه علائف يثرب)وهذه ملاحظة استطلاعية ذكية توصل لها أبو سفيان من خـلال

---

(1) خطاب اللواء الركن محمود شيت خطاب . الرسول القائد،ص101

(2) ابن هشام. السيرة النبوية. ج187/2

التحليل والفحص. بعدها ايقن ان المسلمين قريبن من بدر. فعاد مسرعا إلى القافلة، وهذه نقطة ذكية ايضاً اذ لم يقم أبو سفيان بالاعتماد على احد بل قام بنفسه بالاقتراب من آبار بدر زيادة في الدقة. بعد ذلك غير طريق القافلة نحو الساحل وترك (بدرا) إلى يساره وانطلق بالقافلة فنجا بها. ثم ارسل أبو سفيان إلى قريش وهم (بالجحفة) يخبرهم بنجاة القافلة ويطلب منهم العودة. لكن أبو جهل بن هشام ابى وقال (والله لا نرجع حتى نرد بدرا، (وكانت بدر موسم من مواسم العرب تجتمع بها سوق كل عام) فنقيم ثلاثا فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا)[1].

ثانيا: بعد ان وصلت الاخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لايزال في(ذفران)عن مسير قريش لنجدة القافلة قام باخبار المسلمين بذلك وبدا يستشيرهم وكان صلى الله عليه وسلم يريد ان يستوثق من راي المسلمين في القتال لانه عندما خرج بهم كان يستهدف قافلة قريش بعدِّها غنيمةً سهلةً وقد يتم ذلك على الاغلب من دون قتال ولانه وقد وجب القتال الذي كره فريق من المؤمنين ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال:5-6] والمعنى: كما اخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين والحق الذي كانوا يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه هو القتال والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج إلى قتال العدو وخوفا من القتل او لعدم الاستعداد وكان جدالهم هو قولهم: ما كان خروجنا الا للعير ولو عرفنا لاستعددنا

(1) ابن هشام. السيرة النبوية، ص190

للقتال[1]، كانت نتيجة استشارة الرسول صلى اللـه عليه وسلم للناس ان وافقوه على القتال فقد قال المقداد بن عمرو يا رسول اللـه امض لما امرك اللـه فنحن معك واللـه لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:24] ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى (برك الضماء) وهو موقع باليمن، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. وقال سعد بن معاذ وهو من الانصار (فامض لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك)[2]

ثالثا: حركة قوات المسلمين على طريق القوافل بين المدينة المنورة و(بدر) البالغ طوله نحو (160كم) بعد ان قسم الرسول صلى اللـه عليه وسلم الابل وعددها (70) سبعون (بعير) على اصحابه وكان من نصيبه مع علي بن ابي طالب رضي اللـه عنه ومرتد بن ابي مرتد الغنوي بعير واحد يتعاقبونه، تماما كما يفعل أي فرد من افراد القوة حتى اذا كان المسلمون على مقربة من (بدر)انطلق الرسول صلى اللـه عليه وسلم امام القوة ومعه أبو بكر رضي اللـه عنه للاستطلاع. فوجد رجلا من العرب فساله الرسول صلى اللـه عليه وسلم عن قريش وعن محمد واصحابه وما يعرف عنهم. وهذا اسلوب ذكي في عدم الكشف عن هوية السائل فرد عليهما الرجل (لا اخبركما حتى تخبراني: ممن انتما) فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم (إذا أخبرتنا أخبرناك) فقال الرجل وهو سفيان الضمري: فسلوا كما شئتم فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم :اخبرنا عن قريش فاجاب الضمري: بلغني انهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة واذا كان المخبر صادقا فانهم يفترض بجنب هذا الوادي. فرد عليه

(1) الصابوني. محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير. دار القلم (بيروت) المغازي ج494/1
(2) الواقدي. المغازي المصدر السابق ج48/1

الرسول صلى الـلـه عليه وسـلم فاخبرنـا عـن محمـد واصـحابه فاجـاب الـضمري: بلغني انهم خرجوا يوم كذا وكذا من يثرب واذا كـان المخـبر صـادقا فـانهم بجانـب هذا الوادي. بعدها قال الضمري فمن انتم فاجابه الرسول صلى الـلـه عليه وسلم : نحن من ماء واشار بيده الشريفة نحو العراق[1]

رابعا: بعـث الرسـول صـلى الـلـــه عليـه وسـلم دوريتـي اسـتطلاع غرضـها الحصول على المعلومات عن قوة قريش ومكانها (قـوة العـدد، ومواضـعه). وكانـت الدورية الاولى مؤلفة من الامام علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسـعد بـن ابي وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء بينما نزل الرسول صـلى الـلـــه عليـه وسلم ادنى وادي بدر واقتربت دورية الاستطلاع من ماء بدر ووجدت سقاء قـريش فاسروهم وهم (يسار) غلام عبيد بن سـعيد بـن العـاص و(اسـلم) غـلام منبـه بـن الحجاج (وابو رافع) غلام امية بـن خلـف. وجـاءت الدوريـة بهـؤلاء الثلاثـة الـذين قالوا:سقاة قريش بعثونا نسقهم من المـاء، فقـام المـسلمون بـضربهم بعـد ان افـاد السقاء بانهم لابي سفيان وانهم في العير وان هذا العـير في الغـور القريـب، لاعتقـاد المسلمين ان هؤلاء السقاء يدلون بمعلومات مزيفة. وجـاؤوا بهـم إلى الرسـول صـلى الـلـه عليه وسلم فاستنطقهم بنفسه وكما يلي: اين قريش؟ قالوا:خلف هذا الكثب الذي ترى. قال كم هي قالوا: كثير قال:كم عددها؟ قالوا لاندري كـم هـو. قـال كـم ينحرون قالوا: يوما عشرة ويوما تسعة. قال القوم ما بين الف والتسعمائة. قال: من خرج من مكة؟ قالوا: لم يبق احدا به طعم الا خرج[2]

(1) المصدر نفسه، ج50/1

(2) الواقدي. المغازي المصدر السابق ج53/1

خامسا: بعد ان ايقن الرسول صلى اللــه عليـه وسـلم مـن موضـع قـريش (العدو) بدأ باتخاذ موضع للمسلمين فقـال لأصـحابه: أشـيروا عـليَّ في المنـزل فقـال الحباب بن المنذر[1] يا رسول اللـه رايت هذا المنزل امنزل انزلكه اللــه فلـيس لنـا ان نتقدمه ولا نتاخر عنـه، ام هـو الـراي والحـرب والمكيـدة؟ قـال: بـل هـو الـراي والحرب والمكيدة. قال أبن المنـذر: فـان هـذا لـيس بمنـزل انطلـق بنـا إلى ادنى مـاء القوم. فاني عالم بها وفيها قليب (بئر) قد عرفت عذوبة مائه وفيه مـاء كثـير لاينـزح فنبني عليها حوضنا فنشرب ونقاتل ونغـور مـا سـواها مـن القلـب (الابـار)[2] اخـذ الرسول صلى اللـه عليه وسلم برأي الحباب بن المنذر وبعـد حلـول الظـلام تحـول المسلمون إلى المعسكر الجديد وتحدث الرسول صلى اللــه عليـه وسـلم لاصـحابه فقال: (انه بشر مثلهم وان الرأي شورى بينهم وانه لايقطع لرأي دونهم)[3]. بعـد ان انجزوا بناء الحوض وملؤه ثم غوروا الابار الاخـرى وقـاموا بكـل ذلـك تحـت جنـاح الظلام بعدها اخذوا قسطهم من الراحة بقية تلك الليلة.

سادسـا: مـن جانبهـا قـررت قـريش الخـروج للقتـال بعـد ان غلـب راي دعـاة الحـرب وعـلى راسـهم أبـو جهـل وعـامر بـن الحـضرمي اخـو عمـرو الـذي قتله المسلمون في (نخلة) عندما هاجمته سرية عبداللــه بـن جحـش وهـو لـذلك يريد الاخذ بالثار. ولم ينفع نداء ابي سـفيان لقـريش الـذي دعـاهم بـه للعـودة إلى مكة طالما نجت قافلتهم بعـد ان سـلك أبـو سـفيان طريقـا باتجـاه الـساحل تاركـا (بدرا) وخلص القافلة من خطر المسلمين. ارسلت قريش عمير بن وهب الجمحـي

(1) خطاب اللواء الركن محمود شيت خطاب الرسول القائد ص106
(2) الواقدي المغازي، المصدر السابق، ج53/1
(3) خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، مصدر سابق، ص 146.

كدورية استطلاع على المسلمين فرجع واخبر قريشا بان عدد المسلمين نحو ثلاثمائة رجل وهم اصحاب باس شديد وارادة لاتلين فلا يموت منهم رجلٌ قبل ان يقتل رجلا مثله وليس لهم ملجا ألا سيوفهم. واجبر كبار قريش على ملاقاة المسلمين ولم يبق مفر ولا مهرب من القتال.

د- الاستعداد للمعركة:

ان الاستعداد او ما يطلق عليه في ايامنا اسم الاستحضارات يعدّ من الامور المهمة للنجاح في المعركة وفي هذه المرحلة تتم تهيئة متطلبات المعركة لملاقاة العدو وروعه وارهابه ثم دحره وملاحقته عملا بالاية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللـه وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60] وفي هذه المرحلة انجز المسلمون الاتي:

اولا: اختيار موقع المعركة والسيطرة على ابار الماء.

ثانيا: بناء مقر القيادة للمعركة وبمشورة سعد بن معاذ فكان انشاء عرش الرسول صلى اللـه عليه وسلم من جريد النخل وخصصت الحماية لهذا المقر من سعد بن معاذ نفسه وهذا مشابه للمقرات المعمول بها في الوقت الراهن حيث تؤمن الاشراف والسيطرة على المعركة وتساعد على التدخل في الوقت المناسب وتجعل الصورة امام القائد واضحةً جليةً.

ثالثا: تحريض المسلمين على القتال من قبل النبي صلى اللـه عليه وسلم فاخذ يردد الايات الكريمة التالية: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:9] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:12] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال:15] .

رابعا: جرى ترتيب المسلمين على شكل صفوف متراصة وامر الرسول صلى الله عليه وسلم المقاتلين بان يصدوا هجمات المشركين وهم مرابطون في مواقعهم وان يبدؤوا برمي المشركين بالنبل وان لايسلوا السيوف الا اذا التحموا بهم[1] ولما عمل المسلمون باسلوب الصفوف الذي أمرهم به تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف:4]. وهذا اسلوب جديد حقق المباغتة على المشركين الذين كانوا يطبقون اسلوب(الكر والفر).

ابتدات المعركة صباح يوم الجمعة 17 رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت في مساء اليوم نفسه وكانت كلمة السر (أحّد...أحّد). وبدأت بالمبارزة بين الطرفين عندما خرج ثلاثة من قادة المشركين وهم (عتبة بن ربيعة) واخوه (شيبة) و(الوليد بن عتبة). فخرج اليهم فتية من الانصار ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم لانهم من اهله وهو يؤثرهم بالخطر على الاخرين كما ان شجاعتهم كانت معروفة. وكانت نتيجة المبارزة ان قتل المشركون الثلاثة وجرح عبيدة بن الحارث ثم استشهد[2] بعدها هاجم المشركون المسلمين بفرسانهم لكن بقاء

(1) الواقدي. المغازي. المصدر السابق ج67/1

(2) الواقدي المغازي المصدر السابق 68/19

صفوف المسلمين متماسكة صامدة مرابطة توقع النبال في قادة المشركين وسـادتهم جاعلة منهم اهدافا تتهاوى وتتراجع بعدها قوات من خلفهم. وفي هذه الاثناء ينزل الرسول صلى اللـه عليه وسلم من عريشه فيقود صفوف المسلمين ويقـتحم فلـول المشركين ثم يطاردهم ويجمع الاسرى منهم إلى جانب غنائم المعركة.

هـ- الدروس المستنبطة من الاستطلاع في معركة بدر:

اولا: استفاد الطرفـان مـن عنـاصر الاسـتطلاع في الحـصول عـلى المعلومـات ليتجنبوا المباغتة.

ثانيا: استعمل الطرفان الاستطلاع الشخصي ولم يكتفيا بما يصلهما من عناصر الاستطلاع. فالرسول الكريم صلى اللـه عليـه وسـلم ذهـب بنفـسه وسـال الـشيخ الضمري قرب (بدر) ومثل دور القائد والرائد وكانت العرب تقول الرائـد لا يكـذب قومه. من جانبه قام أبو سفيان بالاقتراب من (بدر) وقيامه بفحص فضلات الركائب التي كانت قرب موقع (بدر) قبل وصوله فاستنتج انها ركائب المسلمين بعد ان قام بالفحص والتحليل لهذه الفضلات واكتشفها انها من علائف يثرب.

ثالثا: استطاع الرسول الاكرم صلى اللـه عليه وسـلم ان يحلـل مـا افـاد بـه الاسرى من الاسقاء الذين جيء بهم اليه فعرف مجموع قوة المشركين مـن عـدد مـا ينحرون والتي كانت يوما تسعة ويوما عشرة فاستنتج ان عدد القوم بين التسعمائة والالف

رابعا: لم يفصح الرسول صلى اللـه عليه وسلم عـن هويتـه عنـدما تحـدث مع الشيخ الضمري عند بدر. وكذلك ساله عن جماعة قريش وعن محمد واصحابه. وبذلك استطاع ان يستنطق الشيخ الضمري بشكل اعتيادي لا يجلب الشك فيجعل الضمري يحجم عن الاجابة.

خامسا: قيام أبي سفيان بارسال رسول إلى قريش يخبرهم بتهديد المسلمين لقافلتهم ويستنفرهم قبل ملاقاة المسلين يعدّ تطبيقا جيدا لمبدا سبق النظر.

سادسا: نجاح الرسول صلى الـلـه عليه وسلم باستنطاق الاسرى من سقاء المشركين فعرف قوة العدو ومكانهم من دون اكراه بينما لم يفلح الذين من قبله في الحصول على استنطاق رصين رغم قيامهم بضرب السقاء. وهذا يؤكد على ضرورة اعتماد الاساليب المنطقية والموضوعية التي تجعل الاسير يدلي بما يعرف دونما الاعتماد على الاسلوب القسري.

سابعا: طبق الرسول الكريم صلى الـلـه عليه وسلم مبدا الراي شورى بينهم عندما اخذ براي الخبير الحباب بن المنذر الذي كان قد خبر المنطقة وعلم بابارها فغير موضع معسكر جيش المسلمين بعد ان وجد الصواب في راي ابن المنذر.

انظر خريطة معركة بدر الكبرى وترتيب قوات الطرفين وموقع المعركة[1]

---

(1) ينظر الملحق (ج) المرفق.

معركة احد

أ- الموقف العام

فكر سادة قريش بمصابهم في معركة بدر الكبرى فمشى عبد اللــه بـن ابي ربيعة وحذيفة بن عبد اللـه المخزومي وعكرمة بن ابي جهل وصـفوان بـن اميـة وحويطب بن عبد العـزي والحـارث بـن هـشام إلى ابي سـفيان بـن حـرب زعـيم قريش وصاحب تجارتهم، ولا سيما القافلة التجارية التي نجـت في بـدر، موقوفـة في دار الندوة لم توزع بعـد إلى اصـحابها. عرضـوا عـلى ابي سـفيان فكـرتهم باخـذ ثارهم. وهؤلاء هم من اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر. وحضروا اجتماعا ضمَّ سادة قريش ولا سيما الـذين لهـم امـوال في القافلـة، وقـالوا:انَّ محمـدا قـد وتركم ثم قتل اخياركم فاعينونا بهذا المال على حربـه. وتـم الاتفـاق عـلى تجهيـز حملة عسكرية لمحاربة المسلمين في المدينة المنورة.[1] فخرج أبو سفيان بن حـرب بامرأتين وخرج صفوان بـن اميـة بـامرأتين وخـرج طلحـة بـن ابي طلحـة بامرأتـه وخرج عكرمة بن ابي جهل بامرأته وخرج الحارث بن هشام بامرأته، وخرج عمرو بن العاص بامرأتـه وخرجـت خنـاس بنـت مالـك بـن المعـترب مـع ابنهـا وخـرج الحارث بن سفيان بن عبد الاسد بامرأتـه، وخـرج غـراب بـن سـفيان ابـن عويـق بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة وهي التي رفعت لـواء قـريش حـين سـقط حتــى تراجعــت قــريش إلى لوائهــا. وكانــت الالويــة يــوم خرجــوا مــن مكــة

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك. المصدر السابق ج500/2و 501

ثلاثة الوية عقدوها في دار الندوة.[1] واتفقت قريش ان يكون أبو سفيان بن حرب قائداً لهم في هذه المعركة. [2]

ب- الاستطلاع

اولاً: لما اجمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً وختمه واستاجر رجلا من بني غفار واشترط عليه ان يسير ثلاثا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ان قريشا قد اجمعت المسير اليك فما كنت صانعا اذا حلوا بك فاصنعه وقد توجهوا اليك وهم ثلاثة الاف، وقادوا مأائتي فرس، وفيهم سبعمئة دارع، وثلاثة الاف بعير، واوكبوا[3] من السلاح فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ووجده بباب مسجد قباء ودفع اليه الكتاب. فقراه عليه ابي بن كعب واستكتم ابياً ما فيه. فدخل منزل سعد بن الربيع فقال:في البيت أحد؟ فقال سعد: لا. فتكلم بحاجتك فاخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب. وجعل سعد يقول: يا رسول الله، اني لارجو ان يكون في ذلك خير، وقد ارجفت يهود المدينة والمنافقون وقالوا: ما جاء محمدا شيء يحبه. وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوجة سعد قد استرقت السمع وعلمت بالحديث الذي دار بينه وبين زوجها. فامر الرسول صلى الله عليه وسلم سعدا بان يخلي سبيلها[4]

(1) الواقدي. المغازي. المصدر السابق ج202/1و203

(2) رامز. لواء ركن شاكر محمود رامز. حروب فجر الاسلام. المصدر السابق(غير منشور)، ص472.

(3) اوكبوا:حشدوا. واكب القوم أي جمعوا ما استطاعوا. ابن منظور. لسان العرب ج300/2

(4) الواقدي. المغازي. المصدر السابق ج204،205/1

ثانيا: في الوقت نفسه قام عمرو بن سالم الخزاعي ومعه مجموعة من الرجال بالتوجه إلى المدينة. فاخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بحشد قريش بمعسكر في منطقة تسمى(طوى). ثم انصرفوا راجعين إلى مكة. فوجدوا قريش ببطن رابغ.[1] ورابغ هي على بعد ليال من المدينة[2]

ثالثا: اصبح أبو سفيان في الابواء[3] اخبر بان عمراً بن سالم واصحابه قد رجعوا إلى مكة. فقال أبو سفيان: (احلف بالله انهم جاؤوا محمدا فاخبروه بمسيرنا، وحذروه، واخبروه بعددنا). [4]

رابعا: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عينين هما (انس ومؤنس) ابني فضالة ليلة الخميس. فاعترضا لقريش في العقيق[5] فسارا معهم حتى نزلوا بالوطباء. فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه.

---

(1) بطن رابغ واد يقطعه الحاج بين البراء والجحفة دونه غرور.. وقال الحازمي:بطن رابغ واد في الجحفة له ذكر في المغازي وفي ايام العرب. وقال الواقدي هو على عشرة ايام من الجحفة فيما بين الابواء والجحفة. ينظر ياقوة الحموي/معجم البلدان/ج727،728/2

(2) الواقدي، المغازي المصدر السابق ج205/1

(3) الابواء: قرية من اعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. وفيها قبر امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم .
وجحفة هي قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على اربع مراحل... وهي الان خراب... وكان اسمها مهيعة فجاءهم سيل واجحفتهم فسميت الجحفة. ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة استدباها وصح اصحابه فقال اللهم حببت الينا المدينة كما حببت الينا مكة وانقل صماما إلى الجحفة ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان طهران 1965 م100/1 وياقوت الحموي معجم البلدان ج35/2-36

(4) الواقدي، المغازي، المصدر السابق ج205/1

(5) العقيق: في بلاد العرب اربعة اعقة وهي اودية عادية شقتها السيول:عقيق اليمامة، وعقيق المدينة وفيه عقيقان هما العقيق الاكبر والعقيق الاصفر، وعقيق اخر فيه بئر على مقربة منه /ينظر ياقوت الحموي/معجم البلدان، ج3م700،701

خامسا: بعث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم الحبـاب بـن المنـذر بـن الجموح سرا إلى قريش وطلب منه الا يخـبره بحـضور احـدا مـن المـسلمين. فـدخل فيهم وحزر ونظر إلى جميع ما يريده ثم رجع فقـال لـه رسـول اللــه صـلى اللــه عليه وسلم : مـا رايـت؟ قـال: (رايـت يـا رسـول اللــه عـددا حـزرتهم ثلاثـة الاف، يزيدون قليلا او ينقصون قليلا. والخيل مائتي فرس. ورايت دروعـا ظـاهرة حزرتهـا سبعمائة درع) قال: هل رايت ضغنا[1]؟ قال: رايت النساء معهن الدفاف والطبـول. فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : اردن ان يحرضن القـوم ويـذكرنهم قـتلى بدر. هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شانهم حرفا. [2]

سادسا: خرج سلمة بن سلامة بن وحش يوم الجمعـة حتـى اذا كـان بـادنى (العرض)[3] اذا طليعة خيل المشركين عشرة افراس، فركـضوا في اثـره فوقـف لهـم... بالنبل مرة وبالحجاز مرة حتى انكشفوا عنه. فلما ولوا عنه.. استخرج سيفا كان لـه ودرع حديد... فخرج بها يعدو حتـى اتى بنـي عبـد الاشـهل فخـبر قومـه بمـا لقـي منهم... وكان مقدمهم يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال[4].

---

(1) الضغن: الحقد. المنجد. المصدر السابق ص451
(2) الواقدي، المغازي، المصدر السابق ج208/1،207
(3) العرض:وادي اليمامة ويقال لكل واد فيـه قـرى وميـاه عـرض والاعـراض ايـضا قـرى بـين الحجـاز واليمن، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج643/3
(4) الواقدي. المغازي،المصدر السابق ص208

سابعا: باتت وجوه الاوس والخزرج بباب النبي صلى اللـه عليه وسلم خوفا من بيات المشركين وحرست المدينة تلك الليلة حتى اصبحوا[(1)]

ثامنا. ورأى رسول اللـه صلى اللــه عليـه وسـلم رؤيـا ليلـة الجمعـة فلـما اصبح رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم واجتمع المسلمون خطب فيهم، قال:ايها الناس، اني رايت في منـامي رؤيـا. رايـت كـاني في درع حـصينة. ورايـت بقـرا تـذبح. ورايت كاني مردف[(2)] كبشا. فقال الناس: يا رسول اللـه مـا أولتهـا؟ قـال:امـا الـدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها واما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي. واما البقر المذبح فقتلى في اصحابي. واما مردف كبشا، فكبش الكتيبة نقتلـه ان شـاء اللـه. واما انقصام سيفي فقتل رجل من اهل بيتي[(3)]وقال النبي صـلى اللــه عليـه وسلم : ورايت في سيفي فلا[(4)] فكرهته: (فهو الذي اصاب وجهـه صـلى اللــه عليـه وسلم). ونادى النبيصلى اللـه عليه وسلم :اشيروا علي[(5)]

تاسعا: وراى رسول اللـه صـلى اللــه عليـه وسـلم الا يخـرج مـن المدينـة لهذه الرؤيا ورسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم يحـب ان يوافـق عـلى مثـل مـا راى وعلى ما عبرَّ عليه الرؤيا. فقام عبد اللـه بن ابي فقـال: يـا رسـول اللــه...مـا خرجنــا إلى عــدو قــط (في الجاهليــة) الا اصــاب منــا ومــا دخــل علينــا قــط الا اصبناه...وكان راي رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم مع راي ابن ابي، وكان ذلـك راي الاكابر من اصحاب الرسول صلى اللـه عليه وسلم مـن المهـاجرين والانـصار.. فقــال فتيــان احــداث لم يــشهدوا بــدرا وطلبــوا الخــروج إلى عــدوهم ورغبــوا في

(1) المصدر نفسه ص208
(2) ردف:تبع. المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص255
(3) الواقدي،المغازي،المصدر السابق ج209/1،208
(4) الفل:الجمع فلول:الكسر او الثلمة في حد السيف. المنجد. المصدر السابق. ص592
(5) الواقدي المغازي. المصدر السابق. ج209/1-210

الشهادة واحبوا لقاء العدو: (انا نخشى يا رسول الله ان يظن عدونا انا كرهنا الخروج اليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جراة منهم علينا. وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير...)... وقال حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه: والذي انزل عليك الكتاب، لا اطعم اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفي خارجا من المدينة وكان يقال كان الحمزة يوم الجمعة صائما. ويوم السبت صائما:فلاقاهم وهو صائم.[1] لان الواقعة كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال.[2] وقال اياس بن اوس ابن عتيك: (يا رسول الله، نحن بنو عبد الاشهل من البقر المذبّح نرجو ان نذبِّح في القوم. ويذبح فينا، فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار)[3]

عاشرا: لبس الرسول صلى الله عليه وسلم لامته[4] وتقلد السيف، فلما خرج ندموا جميعا على ما صنعوا... فقالوا:يا رسول الله، ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدى لك... فقال: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فابيتم، ولا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه. [5]

احد عشر: قال جعال بن سراقة للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انه قيل انك تقتل غدا. فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على صدره وقال: اليس الدهر كله غدا؟[6]

---

(1) الواقدي. المغازي. المصدر السابق. ج1 /ص208،210
(2) المصدر نفسه ج1/ص208
(3) المصدر نفسه ج211/1و212
(4) اللامة:الدرع. المنجد في اللغة، المصدر السابق ص709
(5) الواقدي. المغازي،المصدر السابق. ج214/1
(6) الواقدي، المغازي، المصدر السابق، ج214/1و215

اثنا عشر اقبل ابن ابي فنزل ناحية من العسكر، فجعل حلفاءه ومن معه من المنافقين يقولون لابن ابي: (شرت عليه بالراي ونصحته واخبرته ان هذا راي من مضى من ابائك، وكان ذلك رايه مع رايك فابى ان يقبله. واطاع هؤلاء الغلمان الذين معه!فصادفوا من ابن ابي نفاقا وغشا... وارتحل ابن ابي من ذلك المكان في كتيبة كانه هيق[1]يقدمهم، فاتبعهم عبد اللـه بن عمرو بن حرام فقال:اذكركم اللـه ودينكم ونبيكم، وما شرطتم له ان تمنعوه مما تمنعون منه انفسكم واولادكم ونساءكم. فقال ابن ابي: ما ارى يكون بينهم فقال:وان اطعتني يا ابن جابر لترجعن فان اهل الراي والحجر قد رجعوا ونحن ناصروه في مدينتنا وقد خالفنا واشرت عليه بالرأي فأبى الا طواعية الغلمان. . وانصرف عبد اللـه بن عمرو بن حرام يعدو حتى لحق رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وهو يسوي الصفوف[2]

ج- سير المعركة

لما انتهى الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى احد جعل يسوي الصفوف، يقول: تقدم يا فلان او تاخر يا فلان.[3] ثم التقى الجمعان على ارض المعركة ونسوة المشركين يحرضنهم على القتال. وحمل لواءهم طلحة بن ابي طلحة. وقد صف المشركون صفوفهم كما فعل المسلمون. وبدات المبارزة بين حامل لواء المشركين وبين علي ابن ابي طالب رضي اللـه عنه فضربه علي واسقطه ارضا، ولم يقتله عطفا عليه لصلة

---

(1) هيق: الظليم الطوله. المفرط الطول. المنجد في اللغة، المصدر السابق ص882

(2) الوافدي. المغازي،المصدر السابق ج216/1ن219

(3) الواقدي،المغازي،مصدر سابق ج221/1

الرحم[1] ثم توالى القتال مع حملة لواء المشركين بالتتابع فسقطت رايتهم فشن المسلمون عليهم حملةً شديدةً مصحوبةً بتكبيرات اللـه اكبر ادت إلى تداعي صفوفهم ثم ولوا هاربين يلاحقهم المسلمون إلى معسكر اتهم جامعين الغنائم[2] في هذه المرحلة قام خالد بن الوليد مع مجموعة من الفرسان بالالتفاف خلف المسلمين من ربوة عينين فلم يفلح ولما راى رماة المسلمين في ربوة عينين اندحار المشركين طمعوا في الغنيمة، ولم يطيعوا أمر قائدهم الذي صمد في مكانه مع نفر لا يتجاوز عددهم العشرة. استغل خالد بن الوليد ومجموعته انشغال المسلمين. بجمع الغنائم فحمل على من تبقى منهم ومعه عكرمة ابن ابي جهل فقتلوا عبداللـه بن جبير (امر قوة رماة المسلمين) عدا اثنين تمكنا من اللحاق ببقية المسلمين.[3] من دون ان يعرفوا ذلك فلما رات قريش ذلك تجمعت اصبح المسلمون محصورين بينهم وبين فرسان خالد، فاختل توازنهم. ومما زاد الموقف حرجا، سماع صوت: (الا ان محمداً قد قتل)[4] كما ان عبدا من عبيد المشركين يدعى (وحشي) تمكن من اصابة (حمزة) بحربته، فاستشهد الحمزة سيد الشهداء وذهب وحشي إلى هند زوج ابي سفيان واخبرها بقتله الحمزة فجاءت إلى جثته ومثلت بها انتقاما لأبيها واخيها وعمها الذين قتلوا في معركة بدر الكبرى. وقد تسبب ذلك في ارباك المسلمين فصار يضرب بعضهم بعضا، حتى انهم رفعوا

---

(1) المصدر نفسه، ج225،226/1

(2) الواقدي المغازي، المصدر السابق ج226/1-228

(3) المصدر نفسه. ج229/1

(4) ابن سيد العال. يحبون الار م10/2

شعارا.. (امت امت) فعرف بعضهم بعضا، ثم تفرق المسلمون في مختلف الجهات وصعدوا على جبل احد[1].

وفي هذه الاثناء تمكن المشركون الوصول إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فاصيب بالحجارة ووقع على جنبه وكسرت رباعيته[2]وشج وجهه وجرحت شفته[3]وقد ثبت رهطٌ من المسلمين مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم تمكنوا من الانسحاب إلى احد شعاب جبل احد ومعهم الرسول صلى اللـه عليه وسلم وابو بكر وعمر وعلي رضي اللـه عنهم اجمعين

د- الدروس المستنبطة من غزوة احد:

اولا: تعدّ الرسالة التي بعثها العباس بن عبد المطلب إلى النبي محمد صلى اللـه عليه وسلم من الرسائل المختومة ذات الاهمية الستراتجية البالغة لما تضمنته من معلومات دقيقة تمثل ارقى اعمال الخدمة السرية من حيث احاطتها للنبي صلى اللـه عليه وسلم بارقام دقيقة لقوة قريش من الاشخاص والدروع والجمال فكانت معلومات امنت المعرفة المبكرة والدقيقة بالخصم وتدلل على رجاحة ودراية عقل مرسلها وفي ضوء ذلك قام الرسول صلى اللـه عليه وسلم بخطواته اللاحقة لان رسالة عمه العباس كانت انذارا مبكرا بنوايا العدو.

---

(1) الواقدي المغازي،المصدر السابق ج235/1،233

(2) الرباعية. السن بينالثنية والناب. المنجد في اللغة ص249

(3) ابن هشام. السيرة النبوية. ق79/2-83

ثانيا: اعقب ذلك نشاطات استطلاعية كالاتي:

1- بعث الرسول صلى اللـه عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح سراً الى قريش وطلب منه الا يخبره بحضور احد من المسلمين. فدخل الحباب في قريش وحزر ونظر إلى جميع ما يريد ثم رجع واخبر الرسول صلى اللـه عليه وسلم ان عدد قريش ثلاثة الاف تقريبا والخيل ماتي فرس، وسبعمائة درع وهي الارقام نفسها التي أفاد بها عمه العباس من قبل. وهذا التطابق في المعلومات دليل على صحتها. وما طلب الرسول صلى اللـه عليه وسلم من الحباب ابن المنذر بعدم الاخبار في حضور أحدٍ من المسلمين الا تطبيقا لمبادىء السرية والكتمان.

2- قيام عمرو بن سالم الخزاعي ومعه مجموعة من الرجال باخبار الرسول صلى اللـه عليه وسلم بتحشد قريش ثم عادوا إلى مكة حيث وجدوا قريشاً ببطن رابغ. وكانت هذه العملية التي قام بها عمرو بن سالم تعد مبادرة تدلل على حبهم وتعاطفهم مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم والدعوة الإسلامية.

3- خرج سلمة بن سلامة بادنى العرض فوجد طليعة خيل المشركين عشرة افراس. فركضوا على اثره فراشقهم بالنبل مرة وبالحجارة مرة حتى قطع التماس معهم. واوصل خبرهم إلى قومه

4- في جانب المشركين، نجد ان ابا سفيان كان له حسٌ استطلاعي عندما اقسم باللـه ان عمراً بن سالم الذي مرَّ بهم وهم في بطن رابغ قد قام باخبار الرسول صلى اللـه عليه وسلم بمسيرة قريش وتحذيره منهم

ثالثا: عدم تقيد قوة رماة المسلمين باوامر الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، عندما تركوا موقع ربيئتهم في ربوة العينين، للحصول على الغنائم مع بقية المسلمين مما احدث

فراغا وضعفا في قوة الرئيسة، مما هيأ الفرصة لخالد بن الوليد للالتفاف على قـوة الربيئة وتم الانقضاض عليها وبذلك اصبح المـسلمون محـاصرين بـين قـريش وبـين فرسان خالد، فاختل توازنهم وتكبدوا تضحيات كبيرة كان من ضـمنها مقتـل حمـزة عم الرسول.

رابعا: تعد حركة الالتفاف التي قام بها خالد بن الوليد والقـوة التـي كانـت معه حول مجموعة الرماة المسلمين في ربوة (عينين)، من اعمال الاستطلاع والمباغتة المميزة والتي من خلالها تحـول نـصر المـسلمين في الـصفحة الاولى مـن المعركـة إلى خسارة كادت تؤدي إلى هزيمة تامة للمسلمين لولا صمود النبـي صـلى اللـــه عليـه وسلم والـذي ادى إلى تماسـك المـسلمين ونجـاحهم في كـسر الطـوق الـذي فرضـته قريش عليهم. وهذه العملية تدلل عـلى عبقريـة قيـادة خالـد بـن الوليـد في الفـن العسكري ويجب ان تعطى حقها في الاسفار العسكرية وبغض النظر عن كون خالد بن الوليد يقاتل في صفوف المشركين. وقد كانت هـذه العمليـة مباغتـة رائعـة ادت إلى تخلخل صفوف المسلمين الذين لم يلتزموا بوصايا الرسـول القائـد محمـد صـلى اللـه عليه وسلم ، وعلمت المـسلمين درسـا مهـما في الفـن العـسكري القـائم عـلى ضرورة التقيد بتنفيذ الاوامر وعدم الخروج عنها الا بامر لاحق يـصدر مـن القيـادة العليا.

خامسا: يعدّ قسم من المؤرخين أنَّ معركـة احـد كانـت معركـة غـير موفقـة للمسلمين في نتائجها في حـين عـدَّها آخـرون نـصرا للمـسلمين رغـم حجـم تـضحياتهم مستندين في ذلك على عدم تمكن المشركين من القضاء على المسلمين.

وفي راينا ان لهذه المعركة مرحلتين حقـق المـسلمون في المرحلـة الاولى نـصرا عـلى المشركين وكاد ان يكون تاما لو استمر المسلمون بتطبيق خطة الرسـول صـلى اللـــه عليـه وسـلم ، ولكـن تـرك القـسم الاكـبر مـن الرمـاة مـواقعهم في ربـوة العينـين اخـل بموقـف

المسلمين فتمكنت قريش بتكبيد المسلمين خسائر كبيرة في المرحلة الثانية من المعركة. وعلى العموم فان ما تحقق للمشركين في معركة احد هو نصر تعبوي وفشل على المستوى السوقي او الاستراتيجي وذلك بسبب فشل المشركين في القضاء على قوات المسلمين في هذه المعركة بعد ان استطاعوا احاطتهم من كل الجوانب بقوات متفوقة عليهم تفوقا ساحقا. فضلاً عن ذلك فان المسلمين استطاعوا كشف المنافقين في صفوفهم والتخلص منهم.

خرائط المعركة [1]

(1) ينظر: الملاحق (د) و (هـ) و (و) المرفقة.

غزوة الخندق (الاحزاب)

ستتم مناقشة المعركة كالاتي:

الموقف العام:

أ- قريش وحلفاؤها

اولا: سميت غـزوة الاحـزاب، وهـي تـسمية عامـة لمحاربـة وضرب اجـتماع لطوائف المشركين من قريش وغطفان ويهود قريظة. أدخل اليهود ضـمن المـشركين لانهـم ظـاهروهم وخـالفوا مـا يعرفونـه في كتـابهم التـوراة المقتـضي مـنهم الايمـان بالاسلام او ترك العداء والتحزب ضده وعدم قتال اهله أو أضعف الايمان البقاء على الحياد. [1]

ثانيا: ان اليهود ضربوا الاحـزاب فبعـد غـزوة بنـي النظـير وجـلاء يهودهـا من المدينة، اجتمع كبراؤهم مثـل حيـي بـن اخطـب وعظـيمهم سـلام بـن مـشكم ورئيـسهم كنانـة بـن الربيـع بـن ابي الحقيـق وسـلام بـن ابي الحقيـق وهـوذا بـن قـيس وابـو عـمارة مـن بنـي وائـل وغـيرهم وقـرروا ان يتـصلوا بقـريش وغيرهـا من القبائل لاعـلان الحـرب عـلى الاسـلام. وقيـل انهـم سـاروا إلى القبائـل يرغبـونهم ويشترونهم بالمال وبداوا بقريش فساروا إلى مكة واجتمعوا مع سادة قريش واخذوا يحرضونهم على الحرب وقالوا لهم: نحـن معكـم نـستأصله (النبـي) فلقـي كلامهـم هوى من قريش فاجابوهم إلى ذلك. وقالت قريش: «يـا معـشر اليهـود انكـم اهـل الكتاب الاول والعلم اخبرونا عما اصبحنا نختلف فيـه نحـن ومحمـد، افـديننا خـير

(1) رامز اللواء الركن شاكر محمود، حروب فجر الاسلام محمد المثل الاعلى للقيـادة. المـصدر الـسابق غير منشور ص730.

ام دين محمد؟قالت اليهود: «بل دينكم انتم اولى بالحق منه واهدى سبيلا لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم»[1]

ثالثا: ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه.

خرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر. وكانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس هجرية. [2]

رابعا: كانت قوة قريش وجمع حلفائها من سليم غطفان واسد عشرة الاف، عدا يهود بني قريضة البالغ عددهم الف مقاتل... واقبلت قريش... بوادي العقيق في احابيشها ومن ضوى اليها من العرب، واقبلت غطفان حتى نزلوا في الزغابة قرب جبل احد. [3]

خامساً: ارسل اليهود عينا لهم لمعرفة تفاصيل مواضع النساء والاطفال ودرجة مناعتها في المدينة لغرض القيام بهجوم مفاجىء عليها للتاثير على معنويات المسلمين واجبارهم على ترك مواضعهم والعودة إلى الخلف من اجل حماية عوائلهم لكن يقظة النساء افشلت غاية هذا العين، اذ تم اكتشافها (العين)

(1) المصدر نفسه ص734

(2) ابن هشام،السير النبوية مصدر سابق ج127،128/3؛ الواقدي. المغازي. مصدر سابق. ج441،443/2؛ الطبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج2 564-566

(3) الواقدي. المغازي. المصدر السابق ج444/2

فقامت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الـلـه عليه وسلم بـضربه عـلى راسه بعمود وقتله.[1]

ب- المسلمون

اولا: بعد ان خرجت قريش من مكة إلى المدينة خرج ركب مـن خزاعـة إلى (النبي صلى الـلـه عليه وسلم) واخبروه بخروج قريش، ونواياها العدوانية. عندئـذ قام الرسول صلى الـلـه عليه وسلم باسـتدعاء صـحابته للتـشاور معهـم وكـان مـن بينهم سلمان الفارسي الذي اقترح على النبي صلى الـلـه عليه وسلم حفـر الخنـدق حول المدينة لمنع الاعـداء مـن اقتحامهـا واشـار اليـه بـان مـن عـادة الفـرس حفـر الخنادق حول المدن للدفاع عنها عند تهديدها بالغارات والحروب. فوافـق الرسـول صلى الـلـه عليه وسلم على المقترح علما ان الخندق لم يكـن معروفـا لـدى العـرب وانه سيمثل مباغتة غير متوقعة لدى المشركين فامر النبي صـلى الـلــه عليـه وسـلم بحفر الخندق شمالي المدينة لان الجهات الاخرى كانـت محـصنة بالجبـال والنخيـل والبيوت مـسندا ظهـره وجانبـه الايـسر إلى جبـل (سـطع) كـما امـر بجمـع النـساء والذراري في بيوت قوية البنيان وفي منطقة داخل المدينة[2]

قسم الرسول صلى الـلـه عليه وسلم الخندق على المـسلمين وعهـد إلى كـل عشرة مسلمين حفر اربعين ذراعا. ولما كان عدد المسلمين ثلاثة الاف مقاتل فيمكن الاستنتاج ان طول الخندق نحو (12) الف ذراعـا. وقـد شـارك الرسـول صـلى الـلــه عليه وسلم وصحابته كافة في اعمال حفر الخندق.[3]

---

(1) ابن هشام، المصدر نفسه. ج136،137/30 الواقدي. المصدر نفسه، ج462،463/2

(2) الدكتور حسن إبراهيم،تاريخ الاسلامي السياسي والديني والثقافي(ط5)1959ج117/1

(3) ابن الأثير الكامل في التاريخ،مصدر سابق ص122

ثانيا: وقد عمل الرسول صلى اللـه عليه وسلم على ترغيب المسلمين في الاجر فكانت مواضبتهم في الحفر، بينما ابطأ في العمل رجال من المنافقين وكان يتسللون إلى اهاليهم من دون علم الرسول صلى اللـه عليه وسلم بينما كان الرجل من المسلمين لا يترك عمله الا باذن من الرسول صلى اللـه عليه وسلم لقضاء بعض حاجاته، فانزل اللـه عز وجل الاية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللـه وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور:62]. ثم قال عز وجل عن المنافقين الذين يتسللون عن العمل ويذهبون بغير اذن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور:63] إلى قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور:64] وعمل المسلمون في الخندق حتى احكموه[1]

ثالثا: استعمل المسلمون في هذه المعركة التي تعدّ معركةً دفاعيةً عبارة (اللـه اكبر) للتعريف فيما بينهم في اثناء الليل وقد تم اختيار هذه العبارة بذكاء لعدم استعمالها من قبل الاحزاب، ولذا فلا لزوم لتبديلها كل ليلة كما هو معمول به في انظمة الجيوش الحديثة[2]كما استخدم المسلمون عبارة (حم لا ينصرون) للغرض نفسه. [3]

رابعا: من اهداف أيَّة حرب اضعاف الخصم وايقاع الشتات بين صفوفه. ويعدّ تكليف الرسول صلى اللـه عليه وسلم لنعيم بن مسعود الغطفاني عملا متميزا في الخديعة.

---

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج567/566/2

(2) رامز. حروب فجر الاسلام. لواء ركن شاكر محمود. مصدر سابق(غير منشور)1982. ص754

(3) ابن هشام السيرة النبوية، مصدر سابق ج135/3

وتجسد للمقولة (الحرب خدعة). جاء نعـيم بـن مـسعود إلى الرسـول صـلى اللــه عليه وسلم وقال:اني قد اسلمت وان قومي لم يعلمـوا باسـلامي فمـرني بمـا شـئت» فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : انما انت فينا رجل واحد. فخـذل عنـا مـا استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مـسعود إلى بنـي قريظـة وكـان نـديما لهم في الجاهلية، وقال لهم: (يـا بنـي قريظـة قـد عـرفتم ودي ايـاكم وحبـي لكـم وغيرتي على مصلحتكم وانشد الخير لكم. والراي عندي الا توغلوا في قتال المـسلمين ولا تسرفوا في معاداتهم قبل ان تنالوا رهائن من اشراف قريش وغطفـان يبقـون في ايدكم لانكم لا تامنوا ان ينسحبوا غدا ولا ارض ولا مـال لهـم هنـا بعكـس حـالكم، فانتم من اهل البلاد وعندكم المال والمتاجر والمزارع، فستبقون وحدكم ليفتك بكـم المسلمون وتذهبون ضحية انضمامكم إلى حلفـاء شـانهم غـير شـانكم: فوافـق بنـو قريظة على ما قاله لهم نعيم ابن مسعود. [1]

ثم اتصل نعيم بقريش وقال لهم: «ان قريظة ندموا وارسلوا إلى محمد: هل يرضيك عنا ان ناخذ من قـريش وغطفـان رجـالا مـن اشرافهـم فنعطـيكم فتـضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم؟فاجابهم بـالقبول. فـان طلبـت قريظـة منكم رهنا من رجالكم فاياكم ان تعطوهم شـيئا لانهـم سيـسلمونهم إلى المـسلمين فيقتلوهم فكونوا على حذر. وكل ما ارجوه هو ان تكتموه فـلا يـشيع بـين النـاس» فوعدوه الكتمان ثم اتصل بغطفان وقال لهم مثل مـا قـال لقـريش وحـذرهم مـن إعطاء رهائن من رجالهم إلى بني قريظة. وانطلت بذلك حيلـة نعـيم ابـن مـسعود ومكره ومخادعته على جميع الاحزاب. ولما طلب قـادة احـزاب المـشركين مـن بنـي

(1) ابن هشام. السيرة النبوية. مصدر سابق ج137/3-138 ابن كثير. البداية والنهاية. مصدر سابق ص105.

قريظة التهيوء لـلـهجوم اعتذروا عن ذلك بحجة انهم كـانوا في يـوم سـبت وهـم لا يقومون بعمل في ذلك اليوم، وطالبوا قريشا وغطفان برهائن من رجالهم قبل البدا باي هجـوم خوفـا مـن انـسحاب الاحـزاب وتـركهم يحـاربون المـسلمين لوحـدهم. فتذكرت قريش وغطفان قول نعيم وقالت: «لقد صدق نعـيم» وبعـدما رفـض كـل من قريش وغطفان اعطاء الرهائن تاكد بنو قريظة من صدق قول نعـيم. وبنجـاح هذه المخادعة الستراتيجية تمكـن المـسلمون مـن تفريـق قلـوب الاحـزاب وفقـدان الثقة فيما بينهم مما خلق الشك والريبة في صفوفهم وادى إلى الانشقاق والانقسام ثم التشتت وانتظار الفرصة للانسحاب. [1]

خامسا: كان المسلمون يتناوبون الحراسـة وكـانوا في شـدة بـرد وجـوع، واذا طليعة من المشركين مئة فارس او نحوها عليهم عمرو بن العاص يريدون ان يغـيروا على المسلمين وخيل المشركين تطوف بالخندق وتطلب غرة (ثغرة) ومضيقا منه لكي تقتحم، وكان خالد بن الوليد مـع عمـرو بـن العـاص يطلبـان غفلـة مـن المـسلمين ويطلبـون مـضيقا للعبـور. ولكـن المـسلمين كـانوا يقظـين فرشـقوهم بالنبـل حتـى انصرفوا[2]

سادسا: وحاولـت مفـرزة مـن قـريش ضـمن عـدد مـن فرسـانها ومعهـا (عمرو ابن عبدود) و(عكرمة بن ابي جهل) الاغارة على الخندق، وعند وصـولهم إلى الخندق حاولوا العبور من منطقة ضيقة بخيولهم فخرج عليهم عـلي بـن ابي

---

(1) ابن هشام. المصدر نفسه ح139/3 الواقدي المغازي مصدر سابق. ج488/2. الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق. ج580/2

(2) الواقدي المغازي. مصدر سابق ج465/2

طالب رضي اللـه عنه مع عدد من فرسانه المسلمين فقتل عمـرو بـن عبـدود كـما قتل المسلمون رجلين من المشركين وهو من بقية فرسان قريش.[1]

سابعا: علم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ما حل بالاحزاب من كارثـة بعد ان بعث اللـه تعالى عليهم الريح في ليال شتائية شـديدة الـبرد فجعلـت تكفـا قدورهم وتطرح ابنيتهم، فدعا حذيفة بن اليمان وبعثه اليهم لينظر ما فعل القـوم ليلا. فلما وصل حذيفة بن اليمان دخل بالقوم فوجد الريح وضوء اللـه تفعل بهـم ما تفعل. ووجد ابا سفيان يقول: «يا معشر قريش لينظـر امـرؤ مـن جليـسه؟فاخذ حذيفة يد الرجل الذي كان إلى جانبه وبادره: «من انت؟»فاجابه الرجل: «انا عمرو بن العاص» ثم التفت حذيفة إلى الجانب الاخر وسال: «من انت؟فاجاب هذا: «انـا معاوية بن ابي سفيان».

ثم قال أبو سفيان: «انكـم لـست بـدار مقـام، لقـد هلـك الخـف والكـراع، واجدب الجناب واخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره وقد لقينا مـن الـريح ما ترون!واللـه ما يثبت لنا بناء ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فانا مرتحل».

ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجـدهم قـد رحلـوا فرجـع إلى رسـول اللــه صلى اللـه عليه وسلم واخبر بكل ما سمع وشاهد. وبعـد رحيـل قـريش وغطفـان راجعين إلى بلادهم انصرف الرسول صلى اللـه عليه وسلم راجعا إلى المدينة ومعـه المسلمون ووضعوا السلاح وكانت نتيجة المعركة ستة شـهداء مـن المـسلمين وثلاثـة قتلى من المشركين [2]

(1) ابن هشام السيرة النبوية. مصدر سابق ج134،135/3 الواقدي المغازي. مصدر سابق. 470،471/2 الطبري. تاريخ االرسل وملوك. مصدر سابق ج573،574/2.

(2) الواقدي، المغازي، المصدر السابق، ج489/2-490.

ج- الدروس المستنبطة من غزوة الخندق.

حروب النبي صلى اللـه عليه وسلم كانت كلها حرب دفاع ولم تكن منها حرب هجوم الا على سبيل المبادرة بالدفاع. اما اهم الدروس المستنبطة من معركة الخندق (الاحزاب) فهي:

اولا: المباغتة لقد كان حفر الخندق مباغتةً تامةً للاحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الاسلوب ولا تعرف الاسلوب المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه. وبعد ان عمل الرسول صلى اللـه عليه وسلم بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق؛ عند المنفذ الذي خيف ان يهجم منه المشركون على المدينة، فشل المشركون في كافة محاولاتهم لاجتياز هذا المانع، ومن ثم فشلوا في تحقيق النصر على المسلمين ومن ثم قفلوا راجعين إلى بلادهم.

ثانيا: المخادعة: نجح المسلمون من خلال المخادعة التي قام بها نعيم بن مسعود في تفريق كلمة الاحزاب وافشال جهودهم وزعزة الثقة فيما بينهم وانقسام زعمائهم فيما بينهم. وهنالك حالة مميزة في المخادعة تدل على شدة ذكاء حذيفة بن اليمان وسرعة بديهيته في المبادئة التي قام بها عندما سبق الجاليسين إلى جانبه وسالهما عن اسميهما قبل ان يسالاه عن اسمه هو كما طلب أبو سفيان ذلك كاجراء امني للتاكد من عدم وجود دخلاء بين الحضور

ثالثا: ان ابرز الدروس ولا سيما بالاستطلاع خلال هذه المعركة يمكن اجمالها كما ياتي:

1- تكليف الرسول صلى اللـه عليه وسلم لحذيفة بن اليمان للذهاب إلى عسكر المشركين واستطلاع اوضاعهم والعودة اليه بالاخبار التي يحصل عليها، فاخبره بما قال أبو سفيان لقريش، واهم ما قاله أبو سفيان هو ماله علاقة بالطقس من شدة الريح

وكثرة المطر لايستقر لهم قدر ولا تقوم لهم نار ولا يقـوى لهـم بنـاء وطلـب مـنهم الرحيل لانه هو نفسه سيرتحل.

2- بعد كتمان نعيم بن مسعود لاسلامه، تعـدُّ مبـادرة الرسـول صـلى اللــه عليه وسلم بتوجيه نعيم إلى القيام بتنفيذ خدعة في صـفوف الاحـزاب اسـتنادا إلى مبدا(الحرب خدعة)، عملا ابداعيا يدلل على الحـس الاسـتطلاعي المرهـف للرسـول صلى اللـه عليه وسلم لأنه خص نعيماً بهذه المهمة بالـذات في وقـت تعـدُّ فرصـةً ثمينةً ونادرة لابد من استثمارها لما لها من ابعاد ايجابية على المستوى الستراتيجي

3- ان استخدام كلمة المرور او سر الليـل مـن جانـب المـسلمين كـما ورد في عبارتي (اللـه اكبر) و(حم لاينصرون)، يعدّ من اساليب الاسـتطلاع التعريفـي الـذي يستخدم ضمن القوات الصديقة والحليفة بما يحرم العدو من تحقيـق خروقـات في صفوفها.

4- في جانب المشركين وبما قامت به طلائع كل من عمرو بن العـاص وخالـد بن الوليد وعمرو بن عبـدود وعكرمـة بـن ابي جهـل الـذين لم يوفقـوا في اسـتغفال المسلمين وايجاد ثغرة للنفوذ منها وعبور الخندق، يدل على يقظة المسلمين العاليـة وحسن استعدادهم.

5- في جانب المشركين ايضا، فشلهم في استطلاع وجمع المعلومات بـل وقتـل العين التي ارسلوها إلى موضع تجمع نساء واطفال المسلمين. من جانـب اخـر كـان أبو سفيان في امره (كل ينظر جليسه) يهـدف إلى كـشف الغربـاء والـدخلاء الـذين لربمـا يكونـوا قـد تـسللوا إلى صـفوف المـشركين. وهـذا يـدلل عـلى ذكائـه وحـسه الاستطلاعي وتوقعه من احتمال وجود عيون للمسلمين بين قريش. وبهذا يكون أبو سفيان قد طبق مبدا الاستطلاع المضاد.

خرائط المعركة[1]

---

(1) ينظر: الملحقين (ز) و (ح) المرفقين.

فتح مكة

ستتم مناقشة المعركة كالاتي:

أ- **العوامل التي سبقت فتح مكة:**

اولاً: ان السبب الذي من اجله تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم لفتح مكة هو نقض قريش بندا من اهم بنود صلح الحديبية الا وهو ذلك البند الذي ينص على عدم مناصرة المسلمين او المشركين لاية قبيلة متحالفة معهما في حالة نشوب نزاع او حرب بين تلك القبائل ولمدة عشر سنوات من الهدنة.

ثانيا: ومنذ قبل الاسلام كانت خزاعة قد أصابوا رجلا من بني بكر واخذوا ماله. فمر رجل من خزاعة على بني الديلي (بكر) بعد ذلك فقتلوه. فوقعت الحرب بينهم. ولما جاء الاسلام تجاوزوا الخلاف وكفوا بعضهم عن بعض من اجل الاسلام. فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في حلف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بكر في حلف مع قريش. واخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة ابن انس بن زنيم الديلي هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشج راسه. فخرج انس بن زنيم إلى قومه فاراهم شجته مما اهاج حفيظتهم ودفعهم إلى اخذ الثار.[1]

(1) ابن هشام. السيرة النبوية مصدر سابق ج203/3 وج22،23/4 الواقدي. المغازي مصدر سابقج781،782/2. الطبري:تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج3 /43-44

ثالثا: بعد اثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبية ذهبت بكر إلى قريش تستجير بها ضد خزاعة فاجارتها فباغتوا خزاعة بهجومهم عليها ليلا، ظانين ان الخبر لن يصل إلى اسماع الرسول صلى الله عليه وسلم [1]

رابعا: ذهبت خزاعة تستنجد بالرسول صلى الله عليه وسلم ، اما قريش فانهم ندموا على ما صنعوا وعلموا ان هذا الذي فعلوه نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما راى أبو سفيان الخطر المحدق بهم، خرج من مكة إلى المدينة لمواجهة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والاعتذار له وطلب تجديد صلح الحديبية الذي نقضته قريش.[2]

خامساً: قدم أبو سفيان إلى المدينة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم لتمديد المدة التي نص عليها صلح الحديبية فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: (نحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لانغير ولا نبدل» ثم قام أبو سفيان من عند رسول الله فدخل على ابنته ام حبيبة وعندما اراد الجلوس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوت الفراش عنه وقالت: (هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس»[3] ثم خرج من عند ام حبيبة فلقى كلا من ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وفاطمة

(1) ابن هشام،المصدر نفسه، ج23/4 الواقدي. المصدر نفسه ج2783-784. الطبري. المصدر نفسه، ج44/3

(2) ابن هشام السيرة النبوية مصدر سابق ح26،27/4 الواقدي. المغازي مصدر سابق ج792،793/2. الطبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج46/3

(3) ابن هشام. المصدر نفسه، ج46/3

وعلي بن ابي طالب رضي اللـه عنهم اجمعين فرجاهم بان يكلموا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فرفضوا جميعهم ذلك. فرجع أبو سفيان إلى قريش واخـبرهم بما لقي من جفاء وصدود[1]

سادساً: لما عاد أبو سفيان من المدينة، قال رسـول اللــه صـلى اللــه عليـه وسلم لعائشة: «جهزينا واخفي امرك»[2]وهذا يعدّ جزءً من الاستحـضارات لـدخول مكة. ثم دعا ربه ليحرم قريشا من المعلومـات عـن المـسلمين لـكي يحقـق المباغتـة عليهم قائلا: «اللـهم خذ على قريش الاخبار والعيون حتى نـاتيهم بغتـة»[3] وبعـد ذلك امر الرسول صلى اللـه عليه وسلم عمر بن الخطاب للتاكد من تـامين المنافـذ والطرقـات فقـام عمـر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه بـالتجوال عـلى هــذه الطرقات(الانقاب)[4] قائلا للحراس:«لا تـدعوا احـدا يمـر بكـم تنكرونـه الا رددتمـوه دعوة»[5]

سـابعاً: اراد أبـو بكـر رضي اللــه عنهمعرفـة هـدف الرسـول صـلى اللــه عليه وسلم لما امر عائشة بتجهيزه للرحيل، فدخل عليها وسالها: «يا عائـشة اهـم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بغزو؟»قالت: «ما ادري». قال: «ان كان رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم هـم بـسفر فاذنينـا نتهيـا لـه» قالـت: «مـا ادري»[6] وعندما استعصى الامر على ابي بكـر رضي اللــه عنـه. قـرر الاستفـسار مـن الرسـول

(1) ابن هشام المـصدر نفـسه، ج27،28/4. الواقـدي. المغـازي مـصدر سـابق ج793،794/2. الطـبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج46/3-47

(2) الواقدي. المصدر نفسه، ج796/2

(3) المصدر نفسه ج796/2

(1) الانقاب:جمع نقب وهو الطريق الضيق بين جبلين او الطريق التي تعلوا نشاز الارض. ابن منظور لسان العرب ج264/2-265

(5) الواقدي المغازي. مصدر سابق ح796/2

(6) المصدر نفسه. ج796/2

صلى اللـه عليه وسلم مباشرة دخل عـلى الرسـول صـلى اللــه عليـه وسـلم بعـد الاستفسار منه صلى اللـه عليه وسلم اخبره الرسول صلى اللــه عليـه وسـلم انـه ينوي غزو قريش والذهاب إلى مكة بسبب نقـضهم للعهـد وطلـب منـه الاحتفـاظ بهذا السر وعدم البوح به لاي من كـان، كـما اخـبره بانـه صـلى اللــه عليـه وسـلم سيقوم بإجراءات تجعل العدو غـير قـادرٍ عـلى معرفـة الهـدف مـن تجميـع القـوة والوجهة التي تتجه اليها[1].

ثامناً: وتنفيذا لما ذكره الرسول صلى اللـه عليه وسلم لابي بكـر رضي اللــه عنه من قيامه بإجراءات سرية فقد بعث صـلى اللــه عليـه وسـلم ابـا قتـادة بـن ربيعة ومعه ثمانية رجال إلى بطن اضمً[2] من اجل تنفيذ عملية مخادعة تجعل من يراهم يعتقد ان الرسول صلى اللـه عليه وسلم ينوي التوجه إلى غير ناحية مكة[3]

تاسعاً: حاول احد المسلمين وهو (حاطب بن ابي بلتعة) ان يـسرب المعلومـات الى قريش حول نية الرسول صلى اللـه عليه وسلم للتوجه إلى مكة، لغـرض تحـذيرها بوسـاطة كتـاب أرسـله مـع امـرأة سرا. إلى مكـة، فقامـت المـراة باخفـاء الكتـاب في شعر راسها. فلما علم الرسول صلى اللـه عليه وسلم بـالخبر بوسـاطة الـوحي، ارسـل في اثر المراة عليـا بـن ابي طالـب والـزبير بـن العـوام. عنـدما بلغاهـا، امراهـا بـالنزول من بعيرها فلما نزلت اخـذا يبحثـان عـن الكتـاب فلـم يجـداه، فالحـا عليهـا بتـسليم الكتاب فابت. ولما رأت أنهـما مـصران عـلى تفتيـشها خـشيت الافتـضاح وسـالتهما ان

(1) المصدر نفسه ج796/2

(2) بطن اضم:ماء بطؤه الطريق بين مكة واليمامة عنـد الـسمينة(يـاقوت الحمـوي. معجـم البلـدان مصدر سابق ج281/1)

(3) الواقدي. المغازي،مصدر سابق. ج796/2

يتنحيا عنها ريثما تخرج الكتاب، فلما تنحيا اخرجته من بين خصل شعرها وسلمته لهما. فعادا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما الكتاب، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاطب وسأله عن سبب فعلته هذه، فاجابه حاطب انه باق على عهده وامانته واخلاصه للإسلام، لكنه خشي على اهله واقربائه في مكة فاراد التقرب من قريش. عندئذ استاذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتل حاطب فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم واجابه: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع يوم بدر على اهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[1]وقد كان حاطب ممن شهد بدرا. وانزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:1]، اذ تعدّ هذه الاية الكريمة عتابا لحاطب من لدن الله عز وجل.[2]

ب- الحركة إلى مكة

اولا: تحرك جيش المسلمين من المدينة وكان تعداده عشرة الاف مقاتل بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعهم تسعمائة وثمانون فرسا.[3] وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة في السنة الثامنة للهجرة في اليوم العاشر من رمضان.

(1) الواقدي. المغازي. مصدر سابق ج798/2

(2) ابن هشام السيرة النبوية. مصدر سابق. ج29/4-30 الواقدي. المغازي. مصدر سابق ج797/2-798 الطبري. تاريخ الرسل والملوك ومصدر سابق ج48/3-49، الصابوني صفوة التفاسير مصدر سابق ج359/3

(3) الواقدي المغازي. مصدر سابق ج800/2-801. الطبري،تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج50/3

ثانيا: قام عيينة رئيس قبيلة غطفان بالتوجه مع نفر من الرجال من نجد إلى المدينة لمعرفة وجهة الرسول صلى الله عليه وسلم . وعندما لقي عيينة الرسول صلى الله عليه وسلم . سأله هل انه يريد العمرة فاجابه الرسول: «حيث يشاء الله»وعندما راى عيينة عقد الالوية والرايات سال ابا بكر رضي الله عنه وجهة النبي صلى الله عليه وسلم فاجابه أبو بكر رضي الله عنه: «حيث يشاء الله»[1]

ثالثا: ضمن نهج الرسول صلى الله عليه وسلم التعرف على نوايا العدو وكشفها في وقت مبكر من خلال العيون والطلائع وبما يؤمن تجنب مفاجاة الاعداء للمسلمين وشل عيون الاعداء وطلائعهم. ولذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم دفع امامه بطليعة من خيل المسلمين تمكنت من اسر يحى بن هوازن وتقديمه للرسول صلى الله عليه وسلم الذي اخذ منه معلومات ثمينة عن مكان هوازن واتجاهها ثم امر بحبسه. ولكن الرجل هرب عند وصول المسلمين مر الظهران[2] فتم حبسه ثانية. واطلق سراحه عند اعتناقه الاسلام بعد فتح مكة [3]

رابعا: قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ خطة محكمة في الحرب النفسية فبعد نزوله في مر الظهران قرب مكة ومعرفة قريش بذلك، امر صلى الله عليه وسلم جنوده مساء ان يتوزعوا على رقعة واسعة من الارض، ويوقد كل واحد منهم نارا تملاء الافق

(1) الواقدي المغازي. مصدر سابق ج804/2

(2) مر الظهران:موضع قرب مكة. ياقوت الحموي. معجم البلدان مصدر سابق ج20/8

(3) الواقدي. المغازي. مصدر سابق ج804/2-806

وتجعل اهل مكة في رعب من ضخامة جيش المسلمين مما جعل ابا سفيان مذهولاً عندما قال: «ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا»[1]

خامسا: ومرة اخرى يمارس النبي صلى اللـه عليـه وسـلم الحـرب النفـسية لارهاب العدو وتثبيط عزيمتـه. فقـد امـر صـلى اللــه عليـه وسـلم عمـه العبـاس باصطحاب ابي سفيان إلى مضيق الوادي اذ مر منه جيش المسلمين من امامـه. مـما ألقى الخوف والرهبة في قلب ابي سفيان حيث قال: «واللـه يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما»[2]

سادسا: لما عاد أبو سفيان إلى قـريش اخـبرهم بمـا راى مـن ضـخامة جـيش المسلمين مما ثبط عزائم المشركين اذ قال لهم: «يا معـشر قـريش، هـذا محمـد قـد جاءكم فيما لا قبل لكـم بـه، فمـن دخـل داري فهـو امـن»وعنـدما اعترضـوا عليـه اجابهم: «او من دخل المسجد فهو امن، ومن اغلق عليه بابه فهو امن»[3]ومن دون اراقة دماء، بسبب صلة الرحم بين اهل مكة وبين المهـاجرين خاصـة، ولانـه صـلى اللـه عليه وسلم اراد الاحتفاظ بقوة ومهارات اهل مكة بدلا من مقاتلتهم وهـدر طاقتهم التي يمكن استعمالها مستقبلا لنـشر الاسـلام ولاجـل توسـيع رقعـة الدولـة الإسلامية عن طريق الفتوحات. [4]

(1) ابن هشام. السيرة النبوية مصدر سابق ج32/4. الواقدي المغازي مصدر سابق ج52/3

(2) ابن هشام. المصدر نفسه، ج33،34/4، الواقدي المصدر نفسه ج818،822/2، الطبري تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج54/3.

(3) ابن هشام السير النبويـة. مـصدر سـابق ج34/4 الواقـدي المغـازي مـصدر سـابق ج822/2-823، الطبري تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج54/3

(4) محمد بن عبد الحي محمد شعبان. صـدر الاسـلام والدولـة الامويـة (600،750م) بـيروت 1987، صفحة 23

ثامنا: رغم رغبة الرسول صلى اللـه عليه وسلم فتح مكـة سـلميا الا انـه لم يغفل عن اتخاذ الاجراءت الامنية حتى اخر صفحة مـن عمليـة فـتح مكـة.[1] فقـد وضع صلى اللـه عليه وسلم خطةً محكمةً لفتح مكة تقـوم عـلى دخولهـا باربعـة ارتال وكما يأتي:،

(1) رتل الميمنة بقيادة خالد بن الوليد ويدخل مكة من جنوبها.

(2) رتل الميسرة بقيادة الزبير بن العوام ويدخل مكة من شمالها.

(3) رتل الانصار بقيادة سعد بن عبادة ويدخل مكة من غربها.

(4) رتل المهاجرين بقيادة ابي عبيدة بن الجـراح ويـدخل مكـة مـن شـمالها الغربي بمحاذاة جبل(هند)، وضمن هذا الرتل كتيبة الرسول صلى اللـه عليه وسـلم (الخضراء)[2]:

ج- دخول مكة

تقدمت ارتـال الجـيش الاسـلامي الاربعـة في العـشرين مـن رمـضان الـسنة الثامنة لـلـهجرة الموافق 629 ميلادية، باتجاه مكة، ولم تلـق آيـة مقاومـة عـدا رتـل خالد بن الوليد اذ اعترضه رهط من قريش يقودهم صفوان بن اميـة وعكرمـة بـن ابي جهل فقتل خالد منهم ثمانية وعـشرين رجـلا ولاذ البـاقون بـالفرار. ولم يحـدث هنالك قتال اخر.[3]

بعدها اجتمعت الارتال في قلب مكة، بعد انجازها المهمة المناطة بها على اكمـل وجـه. عندها سأل الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم اهـل مكـة عـما يتوقعـون مـن محاسـبة الرسـول

(1) ابن هشام السيرة النبوية مصدر سابق. ج36،40/4 الواقدي المغازي مـصدر سـابق ج825،832/2، الطبري،تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج56/3، 58، 59

(2) راجع الملحق(ط)المرفق.

(3) الواقدي المغازي. مصدر سابق ج825،826/2

صلى اللـه عليه وسلم لهم فاجابوا: «نقـول خـيرا ونظـن خـيرا، اخ كـريم وابـن اخ كريم، وقد قدرت»[1] قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم «اقول كما قال اخـي يوسف:[2] ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللـه لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف:92] .

د- الدروس المستنبطة من عملية فتح مكة

اولا: تعدُّ عمليـة فـتح مكـة مـن العمليـات التعرضـية المتميـزة مـن حيـث التخطيط والتنفيذ والنتائج. وكما هو معلوم، فـان كـل عمـل يقـاس بنتائجـه. فـان هذه العملية حققت غايتها من دون قتـال، عـدا مـا حـدث مـن مناوشـات يـسيرة حدثت بين رتل خالد بن الوليد وبعض المتطرفين من المشركين. ان ما تحقق في هذه العملية يعرف في الادبيات العسكرية بمبدا (سوق الجيش الاكمـل)[3] وهـو الكـمال في الاستراتيجية حيث يتم نزع سلاح العدوومن ثم استسلامه من دون قيـد او شرط قبل بدا القتـال، لابـل استـسلامه مـن دون قتـال. أي ان النـصر المتحقـق انمـا يـتم بوساطة الاستحضارات والمناورة التي يمثل فيها عنصر الاستطلاع العمود الفقري.

ثانيا: عملية فتح مكة تختلف عما سبقها من معارك بكونهـا مثلـت حـالتين مختلفتـين. ففـي الجانـب الاسـلامي تجـدان الخطـوات المتخـذة كانـت متوازنـة وذات سياق عسكري متماسك ورصين ومستندة على آلية محكمة في الاستحـضارات

---

(1) المصدر نفسه ج835/2

(2) المصدر نفسه ج835/2

(3) كراسة الجغرافية العسكرية لطلاب الكلية العسكرية. المطابع العسكرية. بغداد(لات)ص21

والتقيد الشديد بمبادىء الاستطلاع والكتمان والمخادعة التي بوساطتها ثـم تحقيـق المباغتة.

اما في جانب المشركين، فاننا نجد قريشا قد اختل توازنها بسبب نقضها بنود صلح الحديبية. ، وما تمخض عن ذلك من عواقب سلبية جعلتها في حيرة واضـطراب اديـا بهـا إلى الـشلل في التفكـير والعمـل. فلـيس لـدى قـريش استحـضارات ولا تقيـد بسياقات الحرب، بل هي متشبثه بفكرة التماس المعذرة والغفران من لدن الرسـول صلى الـلـه عليه وسلم لكي لا يعاقبها جراء نقضها الهدنة.

ثالثا: ان ابـرز هـذه الـدروس واكثرهـا اهميـة هـو مالـه علاقـة بالاسـتطلاع والكتمان التي تجسدت بما ياتي:

(1) امر الرسول صلى الـلـه عليه وسلم لعائشة بـالتهيوء والتجهيـز واخفـاء ذلك عن الجميع علما انـه صـلى الـلــه عليـه وسـلم لم يخبرهـا بنوايـاه وقـد عـزز الرسول صلى الـلـه عليـه وسـلم ذلـك بدعائـه لربـه ان يحـرم قريـشا مـن الاخبـار والعيون حتى يباغتهم.

(2) أمر رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم بحـبس المعلومـات مـن خـلال وضع الحرس والخفراء على المنافذ من والى المدينة. وقيـام عمـر بـن الخطـاب رضي الـلـه عنه بالتجوال على الحرس للتاكد من ذلك.

(3) عدم اجابة عائشة لسؤال ابي بكر رضي الـلـه عنه عندما اراد معرفة وجهـة الرسول صلى الـلـه عليه وسلم ، مما اضطره إلى مراجعة الرسـول صـلى الـلــه عليـه وسلم مباشرة. فاخبر الرسول صلى الـلـه عليه وسلم ابا بكـر رضي الـلــه عنـه انـه ينوي غزو قريش وطلب منه الاحتفاظ بهذا السر وعدم البوح به لاي كان.

(4) بعث الرسول صلى الـلـه عليه وسـلم (قتـادة بـن ربـع) مـع مجموعـة مـن الرجال إلى (بطن اضم) لغرض المخادعة وجعل من يراهم يعتقـد ان وجهـة الرسـول صلى الـلـه عليه وسلم غير ناحية مكة.

(5) تنفيذ عملية مكافحة الاستطلاع المعادي من خلال احباط محاولة احد المسلمين(حاطب)باخبار قريش بنوايا المسلمين ولا سيما بتوجههم إلى مكة. فقد استطاع علي والزبير رضي الله عنهما من اللحاق بالمراة واخذ الرسالة منها.

(6) فشل محاولة عيينة معرفة الجهة التي يقصدها الرسول صلى الله عليه وسلم . عندما سال عيينة الرسول صلى الله عليه وسلم هل ينوي العمرة وكانت اجابته صلى الله عليه وسلم «حيث شاء الله»

(7) نجاح المسلمين في كشف عيون وطلائع الاعداء اذ استطاعت طليعة من المسلمين من كشف عين ارسلتها هوزان لمعرفة اخبار المسلمين. وحبس ذلك العين.

(8) امر الرسول صلى الله عليه وسلم جنوده بالانتشار على رقعة واسعة من الارض ويشعل كل واحد منهم نارا، حتى اذا ما شاهدت قريش ضخامة حجم تلك النيران، بالغت في تقديرها لاعداد المسلمين، مما يجعلها تحجم عن مواجهة جيش المسلمين، وهذه العملية هي عملية مخادعة اساسها الاستطلاع.

(9) استعراض جيش المسلمين امام ابي سفيان في منطقة (مضيق الوادي)، خلق حالة ذعر واحباط لدى ابي سفيان نقلها بدوره إلى قريش، محذرا اياهم من مواجهة هذه القوة الضاربة.

خريطة المعركة[1].

(1) ينظر الملحق (ط) المرفق

الفصل الثاني

الاستطلاع في العهد الراشدي

تتجسد اهمية الاستطلاع في العهد الراشدي بشكل واضح من خلال بروز الحاجة إلى ذلك في مقاتلة اعداء الدولة الإسلامية الفتية وسنرى ذلك في المعارك ضد المرتدين في الجزيرة العربية والمعارك ضد الاعداء الخارجين والممثلين بدولة الامبراطورية الرومانية والامبارطورية الفارسية. ولاجل تحقيق النجاح وفي حرب الاعداء ركز اهل المعرفة بفن الحرب على الاهتمام بالاستطلاع وعندما سئلوا عن أي المكايد في الحرب احزم قالوا «اذكاء العيون وافشاء الغلبة واستطلاع الاخبار»[1]وقد اولى الخليفة أبو بكر رضي الله عنه الاستطلاع أهميةً خاصةً ويؤكد ذلك وصيته لخالد بن الوليد عندما وجهه لمقاتلة اهل الردة «سر على بركة الله. فاذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن الحملة، فاني لاامن عليك الجولة وسر بالادلاء واحترس من البيات فان في العرب غرة»[2]. ونرى

(1) ابن عبد ربه، الفقيه احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ت328 هـ العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد الغربان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1940 ج87/1

(2) المصدر نفسه ج92/1

اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه بالاستطلاع من خلال كتابه إلى ابي عبيدة ابن الجراح يحذره من تركه القلعة وتوجهـه إلى الارض بـين حلـب وانطاكيـة ويأمره ببث الخيول في السهول والجبال والوديـان ومـن ثـم القيـام بالغـارات عـلى اطراف الصحراء واعتماد المعلومات في ذلك ويحذره مـن جواسـيس الاعـداء الـذين ينقلون الاخبار إلى ملوكهم«انك لم تقدر على عدوك ولم تصل اليـه فيـضعف ذكـرك ويعلو ذكره وترجع اليـه الجواسـيس وتكاتـب ملوكهـا في امـرك ايـاك ان تـبرح عـن مجاهدته وبث الخيل في السهل والوعر والضيق والسعة واكتـاب الجبـال والاوديـة وشن الغارات في حدود الفازات»[1] كماان الخليفـة عمـر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه اظهـر مـرة اخـرى اهتمامـه بالاسـتطلاع عنـد اجابتـه عـلى كتـاب وصـله مـن ابي عبيدة ينتظر منه الامر في التقدم بعـد خروجـه مـن انطاكيـة فـأمره أن يـدخل مـن خلـف العـدو ويقـدر الموقـف بنفـسه لانـه قريـب مـن الارض والعـدو وان يبـث العيـون حتـى تقـوم بالاسـتطلاع وتاتيـه بالاخبـار«وامـا قولـك انـك منتظـر امـري فالـذي أمـرك بـه ان تـدخل وراء العـدو وتفـتح الـدروب فانـك الـشاهد وانا الغائب وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب وانت بحضرة عدوك وعيونك تاتيك بالاخبار فان رايت ان دخولك إلى الدروب بالمسلين صواب فابعث اليهم بالسرايا»[2] اما الخليفة الامام علي بن ابي طالب رضي اللــه عنـه وكـرم اللــه وجهـه. فكانـت له وصايا محفظوة في تـسيير الجيـوش والتركيـز فيهـا عـلى الاسـتطلاع وهـو يقـول «اذا نزلتم بعدو او نزل بكم، فليكن معسكركم من قبل الاشراف وسفاح الجبال، او اثناء الانهار كيما يكـون لكـم داء ودونكـم ردا، ولـتكن مقـاتلتكم مـن وجـه واحـد

(1) الواقدي، فتوح الشام، نشورات المكتبة الاهلية بيروت ط1966 ج245/1
(2) الواقدي، فتوح الشام المصدر السابق، ص295

او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب، لئلا يـاتيكم العـدو من مكـان مخافـة او امـن، واعلمـوا ان مقدمـة القـوم عيـونهم، وعيـون المقدمـة طلائعهم، وإياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلـتم فـارتحلوا جميعـا، واذا غـشيكم الليـل فـاجعلوا الرمـاح كفـة، أي محيطـة بكـم، ولاتـذقوا الا غـرار او مضمضة»[1]

(1) محمد عبده،الشيخ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنـشر، بـيروت، لبنـان، /ج3/ص12و13

حروب الردة

1. معنى الردة

أ- في صدر الاسلام كان يعدّ المرتد عن الدين الاسلامي مرتدا عن الدولة الإسلامية ايضا، اذ كان الارتداد عن الدين الاسلامي يشكل تهديدا امنياً على سلامة الدولة الإسلامية وفي الوقت نفسه يشكل خطرا على ايمان المسلمين ولا سيما ان الدين الاسلامي كان لا يزال في اول عهده. [1]

بيد ان الدين الاسلامي ليس دعوة سرية، بل هو دعوة علنية تنشر مبادئه على رؤوس الملا من دون تخوف او تحفظ. ولهذا السبب فان الردة اخذت طابع الحرب المعلنة على ما يمكن ان يهدد امن وكيان الامة الإسلامية. [2]

الردة اذن هي حركة تمرد انفصالي عن الدولة الاسلامية، وليست رفضا او جحوداً لعقائد الدين الاسلامي. والدليل على ذلك هي تلك الاسباب التي دفعت بالمرتدين إلى هذا التمرد. ومن هذه الاسباب ثلاثة رئيسة:اولا حب السيطرة، ثانيا الحقد الشخصي وثالثاً الاحباط النفسي والمعنوي الذي سببه موت الرسول صلى الله عليه وسلم [3] لقد كان عمر الردة قصيرا نسبيا حيث انه لم يمر عام واحد على موت النبي محمد صلى الله عليه وسلم الا وكانت حركة الردة قد تم القضاء عليها قضاء

---

(1) حسن خ غريب. الردة في الاسلام. دار الكنوز الادبية،بيروت لبنان. طر ايلول 1999 صفحة079

(2) المصدر نفسه صفحة 79

(3) امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي ونشاة الدولة الإسلامية. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر(1934)صفحة237

مبرما وزالت تماما من الوجود، فعادت جميع الاقاليم العربية والقبائل إلى بيت الطاعة في حظيرة الاسلام. [1]

ب- بداية الردة ورجالها: بدات الردة بالظهور في أوآخر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتهت في عهد خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه.[2] اما رجال الردة فهم اربعة انبياء كذبة: ثلاثة رجال وامراة واحدة: ظهروا في وقت واحد تقريبا وهم: الاول ظهر في نجد واسمه مسيلمة بن حبيب الحنفي والملقب بالكذاب. والثاني ظهر باليمن وهو الاسود العنسي. اما الثالث فهو طليحة الاسدي وظهر في الحجاز. ورابعهم امراة اسمها سجاح بنت الحارث وهي تغلبية (من العراق).[3]

ج- اسباب الردة: لم يكن هؤلاء المرتدون يريدون محاربة العقيدة الإسلامية بل كانوا فقط يحاولن الانحراف عنها او الاخذ بها مشوهة وذلك لاغراض سياسية ولطمع في نفوسهم. فانتهزوا فرصة الاضطراب الذي حصل على اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء وفد منهم ابا بكر رضي الله عنه معلنا انهم يقرون الصلاة ويمتنعون عن دفع الزكاة[4] وفي الوقت نفسه كتب الخليفة أبو بكر رضي الله عنه رسائل وبعث وفودا إلى القبائل والى عماله يدعوهم للتمسك بالاسلام واستنفار وتجنيد من تثبت على الاسلام[5]

(1) نفس المصدر ص137
(2) حسن خ. غريب. الردة في الاسلام. المصدر السابق ص75
(3) امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي،مصدر سابق صفحة 210
(4) الطبري تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ج241/3و244). امين سعيد تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق ص210
(5) ابن خلدون،كتاب العبر بقية الجزء الثاني ص69

2. معركة بزاخة[1]

أ- كان عيينة بن حصن سيدا على قبيلة غطفان. بعد وفاة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، قام(خارجة بن حصن) اخو عيينـة بـسلب جـابي زكـاة المـسلمين ومـا جمعه من صدقات بني خزارة. فلما نادى (طليحة الاسدي) بدعوته سـارعت قبيلـة غطفان بالانضمام اليه واصبحت حليفة له ضد المسلمين. لكن عيينة قصد مع وفـد من قومه مقابلة الخليفة ابي بكـر رضي اللــه عنـه لـكي يطلـب منـه اعفـاء قبيلـة غطفان من الزكاة. فرفض أبو بكر ذلك رفضا قاطعـا اذ قـال: «لـو منعـوني عقـالا[2] لجاهدتهم عليه»[3] وكان أبو بكـر رضي اللــه عنـه عالمـا بمـا كانـت تـضمره قبيلـة غطفان من شر وانهـا بارسـالها وفـدها لمقابلتـه انمـا ارادت بـذلك اسـتطلاع احـوال المسلمين ومعرفة عدتهم وعددهم واختبار قوتهم لكي تسهل عليها مهـاجمتهم ثـم الانتصار عليهم. ولذلك فبعـد انـصراف وفـد غطفـان اجتمـع الـصحابة في المـسجد واخذوا يتشاورون فيما بينهم حول خطورة الموقف واقترحوا انشاء حـرس عـسكري لحماية المدينة حيث يتناوب رجـال الحراسـة لـيلا ونهـارا لـتلافي مفاجـاة العـدو.[4] زيادة للاحتياط، اقام أبو بكر رضي اللـه عنه رجالا في الابراج لمراقبـة طـرق الباديـة ورصد تحركات القبائل، واعد قوة عسكرية لمحاربة ما يمكن ان يقـوم بـه المرتـدون من اغارة مفاجئة، كما كتب إلى القبائل القريبـة المؤيـدة للمـسلمين بالانـضمام إلى

(1) بزاخة:ارض لبني تميم باليمامة في جوف الرمل فيها نخل ينظـر:يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان م561/1

(2) العقال:جمعها عقل وعقل:زكاة عام من الابل والغنم المنجد. المصدر نفسه صفحة 520

(3) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج244/3

(4) الطبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سـابق ج242/3-245. امـين سـعيد تـاريخ الاسـلام الـسياسي مصدر سابق صفحة 214

قواته فلبت طلبه[1] لقد أيدت الاحداث الاتية ما قام به أبو بكر رضي اللـه عنه من احتياطات، لان المرتدين هاجموا المدينة ليلا بعد عودة وفدهم منها بثلاثة ايام فقط، محاولين السلب والنهب. لكن عيون المسلمين اكتشفتهم واخبرت ابا بكر رضي اللـه عنه بذلك، فسار أبو بكر رضي اللـه عنه حتى (ذي القصة) وهي موضع شرق المدينة ليست بعيدة عنها وهي على طريق الربذة أي الحناكة، وقاتلهم وهزمهم. [2]ولكن المرتدين لم يكفوا عن شرهم. فبعد انتصار(ذي القصة)وردت الاخبار إلى المدينة ان قوة من المرتدين تجمعت في الابرق (وهو مكان بين ذبيان وشرق المدينة)فتصدى لهم أبو بكر رضي اللـه عنه بالقوة نفسها التي كانت معه في (ذي القصة)بعد ان انضمت اليه قوة من جيش اسامة بن زيد العائد من الشام فباغتهم وهزمهم شر هزيمة، ثم عاد برجاله إلى ذي القصة حيث ترك فيها قوة كافية لمقاومة المرتدين اذا ما حاولوا القتال ثانية. وعهد بهذه القوة إلى خالد بن الوليد وعاد هو رضي اللـه عنه إلى المدينة. [3]

ب- امر أبو بكررضي اللـه عنه خالد بن الوليد بالتوجه إلى البزاخة، فاتخذ خالد طريقه من ذي القصة مروراً بالربذة ووادي الركبة ثم انحدر إلى وادي الرمة.[4] وقبل ان يصل إلى منتصف الطريق استدار نحو اليسار متظاهرا بانه يريد الذهاب

(1) الطبري المصدر نفسه، ج245/3. امين سعيد المصدر نفسه، ص214

(2) الطبري، المصدر نفسه، ج242/3-245. امين سعيد تاريخ الاسلام السياسي المصدر نفسه، ص214

(3) الطبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سابق ح248/3-249. امين سعيد تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق ص0216

(4) الرمة. واد في المملكة العربية السعودية يخترق الدهناء ويتكون من روافد عديدة في جنوب شرقي الحجاز ويصب في شط العرب النجد في الاعلام. مصدر سابق صفحة 3/0

إلى اراضي طيئ، ولكن في حقيقة الامر ما كانت طي هدفه بل كان يريد تحويل انظارهم بغاية تخويفهم ومنعهم من مناصرة المرتدين. فلما راى عدي حاتم سيد طيئ ان خالداً تقدم نحوهم خشي على قبيلته من عاقبة التورط في الانضمام إلى المرتدين فحذرهم من ذلك عند ذاك سالوه ان يذهب إلى خالد ويطلب منه تاخير هجومه على المرتدين ليتسنى الوقت الكافي لمن تبع المرتدين من اهل طيئ إلى الرجوع إلى قبيلتهم من دون مناصرة المرتدين. فنفذ عدي، ما طلب منه، علاوة على ذلك ارسل إلى قومه المتورطين في لحاقهم بالمرتدين يحثهم بالعودة سريعا قبل ان يتقدم خالد ويفتك بهم وبالمرتدين على حد سواء، لاسيما وان وجودهم في قبيلتهم سوف يساعد على حماية طيء من أي اعتداء ممكن من أي طرف كان فأذعنوا لكلامه ورجعوا. لقد كان تراجع طيئ من نصرة المرتدين حدثا مهماً بحد ذاته يعدّ نصرا لخالد قبل ان يبدا القتال الفعلي[1]

ج- بعد انتصار خالد بن الوليد على الرمتدين في بزاخة وهروب قائدهم طليحة الاسدي، وردته الاخبار ان جماعة من المرتدين اجتمعوا في (ظفر) وهي مكان بالقرب من حؤاب) على الطريق بين البصرة والمدينة ويقع إلى شرق بزاخة. وكانت على راسهم امراة تدعى سلمى (ام زمل) شجعتهم على مقاومة المسلمين. فقاتلهم خالد بن الوليد وهزمهم. اما ام زامل فانها انتحرت وسط المعركة.[2]

---

(1) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج253،260/3امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 221

(2) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج263/3-264 امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق 222،223

3. معركة عقرباء[1]

أ- كان بنو تميم منقسمين إلى بطون وقبائل فدبت الخلافات والفرقة بينهم وتسببت الحزازات والفتن باشعال العدواة والبغضاء بين صفوفها بعد ان انفرطت وحدتها وتفرقت كلمتها. في تلك الاثناء جاءت إلى نجد امراة اصلها من بني اليربوع في تميم تدعى (سجاح بنت الحارث). خرجت من بلدها ودخلت مع ابيها عند بني تغلب في الجزيرة وادعت النبوة في السنة العاشرة للهجرة فامن بها عدد من نصارى تغلب. فضلاً عن من تبعها من نصارى تغلب. انضوت اليها جماعة اخرى من بني سفيان واياد. عند ئذ قامت سجاح بنت الحارث على راس من تبعها من المرتدين متقدمة نحو الحجاز بهدف نشر دعوتها هناك. [2]

ب- لم تقم سجاح بنت الحارث في اراضي بني تميم بعمل يذكر. فلما مرت باليمامة[3] ومعها انصارها، لقيها مسيلمة الحنفي مدعي النبوة الملقب

(1) عقرباء. منزل من ارض اليمامة في طريق النباج وهو لقوم من بني عامر بن ربيعة. ينظر:ياقوت الحموي معجم البلدانم994/3

(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج267/3-271 امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي. مصدر سابق صفحة 225

(3) اليمامة:بلاد وسط الجزيرة العربية. من مقاطعات نجد. هي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تدعى العارض. سكنها بنو جديس في الجاهلية ثم بنو حنيفة بن لجيم الذي اعتنقوا الاسلام. اهم مدنها:القريشة، عرمة. العينية. شعيب. الدرعية منجد الاعلام مصدر سابق ص751

بالكذاب.[1] حيث كان مقره هناك. فاوجس مسيلمة خيفة مـن تـاثير سـجاح ربمـا سينعكس سلبا على دعوته هو بالذات، فحاول استمالتها. وبعد مداولات لا اخلاقية وعلاقات مشبوهة تزوج مسيلمة الكذاب من سجاح. غادرت بعد ذلك سجاح ارض اليمامة وعادت إلى الجزيرة واستقرت فيها ولم يسمع عنها شيء حتى موتها. [2]

ج- بعد تلك الاحداث، راح خالد بن الوليد ينصب خيامه في بطاح بني تميم حيث استقر هناك ووزع سراياه في جوانبها. فعندما سمعت تميم باخبـار خالـد بـن الوليد وانتصاراته الـساحقة عـلى المرتـدين، دبَّ الخـوف في قلـوب رجالهـا فـاعلنوا خضوعهم للخليفة ابي بكـر الـصديق رضي اللـــه عنـه بـدون قتـال ودفعـوا الزكـاة حسبما فرضتها الشريعة الإسلامية. [3]

وبعد الانتهاء مـن طلحـة الاسـدي وسـجاح بنـت الحـارث في تمـيم اتجهـت معارك المسلمين إلى مسيلمة الكذاب لقمع دعوته. كان بنـو حنيفـة قـوم مـسيلمة ذوي بأس وطول بـاع كبـير فاسـتطاعوا ان يلحقـوا الهزيمـة بجـيش عكرمـة بـن ابي

---

(1) مسيلمة الكذاب. هو مسيلمة بن حبيب الحنفي. وهو اول مـن ادعـى النبـوة في جزيـرة العـرب واول من ابتدع هذه البدعة. فقد ظهر في السنة التاسعة لـلـهجرة أي قبل ظهور الاسـود العنـسي وطليحة الاسدي. امين سعيد تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق 227

(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سـابق ج271/3-275. امـين سـعيد تـاريخ الاسـلام الـسياسي مصدر سابق صفحة 225

(3) الطبري. تاريخ الرسل والملوك مصدر سـابق ج276/3-279 امـين سـعيد. تـاريخ الاسـلام الـسياسي. مصدر سابق صفحة 226

جهل وشرحبيل بن حسنة.[1] وخالد بن الوليد نفسه رغم بأسه وحنكته لم يستطع الحاق الهزيمة بهم الا بشق الأنفس بعد أن كادوا يتغلبون عليه. [2]

5. معركة اليمامة

بدات معركة اليمامة بعملية استطلاعية حيث ارسل خالد بن الوليد كلا من(مكنف بن زيد) واخاه، ومعهما الخيل من اجل معرفة اخبار العدو وجلبها اليه. كما ان ابا بكر رضي الله عنه ترك (سليطا) مع قوة في البطاح لتكون ردءا[3] لخالد لكي تحميه ممن لربما ياتيه من خلفه[4]

عندما علم بنو حنيفة بهجوم خالد بن الوليد عليهم استجمعوا قوتهم وتحصنوا في موضع يدعى عقرباء)[5] وباتوا ينتظرون وصول المسلمين لينازلوهم القتال. كان البعد بين البطحاء وبين عقرباء (350) كيلومتر فلما سمع خالد بن الوليد بتجمع الحنفيين في (عقرباء) راح يسال راي اصحابه ليتدبروا الامر بحثا عن خطة سليمة يسيرون عليها تجنبهم خطر العدو المتمرس على القتال ولضمان النصر عليهم. وقد دار النقاش فيما بينهم بين اختيار التقدم لملاقاة المرتدين او البقاء في اماكنهم ريثما يتقدم العدو اليهم فينازلونه القتال، فكان

---

(1) الطبري. المصدر نفسه، . ج289/3و215

(2) الطبري المصدر نفسه، ج281/3-282. امين سعيد تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 228

(3) الردء:ج:ارداء:الناصر//العود(المنجد مصدر سابق ص255)

(4) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج282/3-284. امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 230

(5) الطبري المصدر نفسه، ج288/3

الاختيار الاول هو الذي اجمع عليه رايهم فقرروا على التقدم بثبات لمواجهة العدو.[1]

التحم القتال بين الحنفيين والمسلمين، وما ان حمي وطيس الحرب اذا ببني حنيفة يهربون من ميدان القتال للاختباء في حديقة كان متخفيا فيها مسيلمة الكذاب. كانت هذه الحديقة عبارة عن بستان مسيج وهو ملك لمسيلمة وكانوا يسمونه حديقة الرحمن، ولكن منذ هذه الواقعة صاروا يسمونها (حديقة الموت).[2] عندما اختبأ بنو حنيفة في هذه الحديقة اغلقوا الباب وراءهم. فاقترح (البراء بن مالك) اخو (انس بن مالك) على جماعة المسلمين ان يلقوه من اعلى جدار الحديقة ليفتح الباب لهم. فابوا. لكنه اصر عليهم قائلا: «يا معشر المسلمين، والله لتطرحوني عليهم فيها»[3] فحمله بعض شباب المسلمين على اكتافهم ورموه من اعلى الجدار إلى الحديقة. حالما اصبح براء بن مالك في الحديقة اذا بالحنفيين ينقضون عليه فقاتلهم عند باب الحديقة، وبلباقته استطاع فتح باب الحديقة فهرع المسلمون إلى داخلها واعملوا السيوف في رقاب المرتدين، ثم توجهوا إلى مسيلمة الذي كان مختبئا كالجبان فاشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل اخر من الانصار، كلاهما اصاباه:اصابه وحشي بين ثدييه بحربته، اما الانصاري فطعنه بسيفه، وكان وحشي يردد: «ربك اعلم اينا قاتله»[4]

(1) امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي. مصدر سابق صفحة 230
(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق. ج290/3
(3) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج290/3
(4) المصدر نفسه، ج290/3

بعد مقتل مسيلمة الكذاب ولت حنيفة هاربة مذعورة يطارد فلولهم سيف المسلمين. [1]

6. اليمن

رابع الاربعة الذين ادعو النبوة رجل اسمه الاسود بن كعب العنسي، وهو من قبيلة عنس اليمانية واسمه الحقيقي(عبهلة)لكنه لقب بالاسود لسواد بشرته.[2] ادعى الاسود العنسي النبوة في شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة، فتبعته جماعة من حثالة اهل اليمن فقادهم إلى نجران واستطاع الاستيلاء عليها ثم قصد صنعاء يؤيده (عوام مذحج) فدخلها وقتل عاملها شهربان واستولى عليها[3]

انقسم اهل اليمن إلى فئتين، فئة تؤيد الاسود العنسي وفئة ترفضه محتفظة بتقاليد الدين الاسلامي وشريعته. ولما وصلت اخبار العنسي إلى المدينة المنورة ارسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بوساطة (دبر بن يحنّس) إلى (الابناء)[4] المتواجدون في صنعاء، يامرهم فيه بالتمسك والثبات في دينهم الاسلامي ومناهضة

(1) الطبري. المصدر نفسه، ج290/3-291 امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 232

(2) امين سعيد. المصدر نفسه صفحة 234

(3) الطبري. تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج324/3، 325، 326 امين سعيد. المصدر نفسه صفحة 234

(4) الابناء:هم سلالة من الفرس ولدوا في صنعاء ابان الاحتلال الفارسي لها. (امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 234)

المرتدين والقيام بحرب ضد الاسود العنسي[1] بعد تسلمهم كتاب النبي صلى اللـه عليه وسلم ، قام (الابناء) بالاتصال بقائد جنود الاسود العنسي المدعو (قيس بن عبد يغوث المراري) واستمالوه إلى جانبهم بصدد تدبير خطة للتخلص من الاسود العنسي. كما ان الابناء نجحوا باستمالة المراة التي كان العنسي قد اغتصبها ثم تزوجها إلى جانبهم. فاستطاعت هذه المراة ان تمهد إلى قتل الاسود العنسي. ولما نجحت خطتهم عادت صنعاء إلى الحظيرة الإسلامية. [2]

بعد وفاة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، عادت حالة الاضطراب والفوضى في اليمن بسبب بعض الزعماء المرتدين بدعوتهم الانفصالية. وكان على راس هؤلاء المرتدين (قيس بن يغوث المراري) الذي ساعد (الابناء) في زمن الرسول صلى اللـه عليه وسلم على التخلص من الاسود العنسي وقتله. وكان السبب الرئيس لارتداد(قيس بن عبد يغوث المراري) هو طمعه في السيطرة على اليمن، اذ انه جمع حوله انصاره القدماء واستولى على صنعاء. كما انضم اليه (عمرو بن معدي يكرب) من بني زبيد)وبعض القبائل الاخرى.[3] ارسل أبو بكر (المهاجر بن امية) لاسترداد اليمن والقضاء على الفتنة، فاستطاع (المهاجر بن امية) احتلالها من دون مقاومة تذكر، واسر زعماء الفتنة فلم تقم لانصار حركة الاسود العنسي بعد ذلك قائمة[4]

---

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك. مصدر سابق ج318/3، 319، 324، 325، امين سعيد. تاريخ الاسلام السياسي مصدر سابق صفحة 234.

(2) الطبري. المصدر نفسه، ج323/3، 324، 325. امين سعيد. المصدر نفسه، ص 234،235

(3) الطبري. المصدر نفسه ج327/3، امين سعيد. المصدر نفسه، ص235

(4) الطبري. المصدر نفسه. ج337/3. امين سعيد. المصدر نفسه صفحة 235

7. دروس استطلاعية من حروب الردة وما رافقها في غزوة اسامة بن زيد

رغم حراجة الموقف الذي خلقه المرتدون للدولة الإسلامية والتحدي الجدي لادارة الخليفة أبو بكر رضي اللـه عنه في بدايتها الا ان الردَّ من الخليفة أبي بكر رضي اللـه عنه كان قويا يدلل على الأيمان والثبات على المبادئ وقد برزت دروس استطلاعية مهمة في معارك حروب الردة منها:

أ- كتابة الرسائل وبعث الوفود إلى القبائل تدعوهم للتمسك بالإسلام وفي الوقت نفسه للاستطلاع وجمع المعلومات ولكسب الوقت لاكمال الاستحضارات

ب- انَّ وفد غطفان عندما حضر لمقابلة الخليفة ابي بكر رضي اللـه عنه اكتشف الصحابة نواياهم فحققوا اجتماعا في المسجد بعد انصراف وفد غطفان وقرر الصحابة رضي اللـه عنهم إنشاء حرس عسكري لحماية المدينة لتفويت الفرصة على الأعداء في تحقيق المفاجأة.

ج- اقام الخليفة أبو بكر رضي اللـه عنه رجالا في الأبراج لمراقبة طرق البادية المؤدية إلى المدينة ولرصد تحركات القبائل كما شكل قوة احتياطية لمواجهة أي اغارة مفاجئة يقوم بها المرتدون.

د- في معركة بزاخة قام خالد بن الوليد بعملية مخادعة حينما تظاهر بانه يريد الذهاب إلى اراضي طيء عندما استدار في منتصف الطريق باتجاههم وهذا ما جعل طي تحجم عن مناصرة المرتدين. وهذا ما ساعد في انتصار خالد بن الوليد في معركة بزاخة.

هـ- ارسال العيون الكثيرة من المدينة لتبث التفرقة بين المرتدين الذين كثرت الخلافات بينهم وتمكنت هذه العيون من استثمار الساخطين من بين

صفوفهم لاحداث الفتنة بينهم وهذه العملية سبقتها مرحلة جمع المعلومات عن العلاقات بين المرتدين[1].

و- وفي مسيرة العلاء الحضرمي إلى البحرين لمقاتلة المرتدين من بني بكر ابن وائل ومن معهم من الفرس الذين حاصروا المسلمين في حصن جواشا حين ارسل العلاء عينا لجمع المعلومات عن القوم وذهب ليلا ورجع صباحا واخبر العلاء انه اشرف على معسكر المرتدين ولم يلحظ لهم حركة وانه يعتقد انهم كانوا سكارى وفعلا نجح المسلمون في مفجاتهم واستيقظوا فزعين تاخذهم السيوف[2]

ز- توجيهات الرسول القائد صلى الله عليه وسلم إلى اسامة بن زيد بالسير إلى مؤته في دولة الروم واكد عليه باستصحاب الادلاء معه وبارسال العيون والطلائع امام قواته وهذا ما يدلل على اعطاء الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم الاهمية العالية لدور العيون والطلائع والادلاء في عملية الاستطلاع«وخذ معك الادلاء وقدم العيون امامك والطلائع»[3]

ج- عملا بتوجيهات الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم الخاصة بالاهتمام بالاستطلاع قام اسامة بن زيد عندما تقدم نحو الشام ووصوله دار القرى ببعث عين في مقدمة جيشه وبعد ان قام هذا العين باستطلاع الطريق الذي وجده خاليا والناس في تلك المنطقة متفرقون، رجع مسرعا ليخبر اسامة بغفلة العدو

---

(1) ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج3ص239

(2) ابن أعثم الكو في،الفتوح. ج1 ص51،52

(3) الواقدي، المغازي،المصدر السابق. ج3 ص1117

وضرورة الاسراع في السيرللاغارة على العدو ومفاجاته. لقد استثمر اسامة هذه الفرصة ووظف معلومات الاستطلاع فهجم على العدو واوقع الخسائر في صفوفه وعاد إلى المدينة ومعه الغنائم[1]

خريطة معركة بزاخة وعقرباء راجع الملحق (ي) المرفق

---

(1) المصدر نفسه ص1122

الاستطلاع في معارك فتح العراق والشام

الاستطلاع في معارك جنوب العراق:

1- كانت اشد الاخطار التي واجهت الدولة العربية الإسلامية بعد القضاء على حركات المرتدين في الجزيرة العربية. هي الاخطار التي مثلتها الامبراطوريتان الفارسية والبزينطية اللتان كانتا تتحينان الفرص للقضاء على الدولةالفتية لذلك فان الخليفة أبا بكر رضي الله عنه قرر الانطلاق بالدين الاسلامي خارج الجزيرة العربية، بعد اعادة الاستقرار والأمن في عموم الجزيرة العربية فكتب إلى خالد بن الوليد يامره بالتحرك من اليمامة إلى العراق لمحاربة الفرس أذ قال له: (سر إلى العراق حتى تدخلها وابدا بـ(فرج الهند)[1] وهي الابلة[2] وهناك رواية تشير ان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه قد طلب من خالد بن الوليد التوجه من اليمامة إلى الشام على ان يبدا بالعراق. «لما كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة ان يسير إلى الشام، امره ان يبدا بالعراق فيمر بها فاقبل خالد منها يسير حتى نزل النباج[3][4].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج3 ص343

(2) الابلة:وهي بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج وهي ثغر تسير منه تجارة فارس إلى الهند والسند. ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان ج1ص89

(3) النباج موضع يبعد عن البصرة عشرة اميال،المصدر نفسه ج8 ص343

(4) الطبري،تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق ج3 ص344

ومن خلال المعارك التي خاضها المسلمون واكتساحهم جنوب العراق بقيادة خالد بن الوليد بسرعة ولا سيما في معارك (ذات السلاسل)[1]، المذار[2]، الولجة[3]اليس[4]والانبار[5][6] اذ استطاعت عناصر استطلاع الجيش الاسلامي من معرفة نوايا العدو اولا باول في الوقت الذي فشلت فيه عناصر استطلاع الجيش الفارسي في التنبؤ بنوايا الجيش الاسلامي رغم وصولها معلومات عن اقتراب جيش خالد بن الوليد.

---

(1) ذات السلاسل سميت المعركة بذات السلاسل حين جمع خالد بن الوليد المتاع وفيها السلاسل ينظر الطبري تاريخ الرسل والملوكالمصدر السابق ج3 348 وهناك راي اخر هو الشائع ان القائد الفارسي هرمز قد ربط جنوده بالسلاسل لمنعهم من الهرب فسميت بهذا الاسم. ينظر:ابن كثير، البداية والنهاية. المصدر السابق ج349/6

(2) المذار: هي المنطقة الكائنة على مسافة 8كم الى الجنوب الشرقي من قلعة صالح في محافظة ميسان، ينظر: عماش، صالح مهدي، من ذيقار الى القادسية، ط2، (بغداد 1973)، ص8.

(3) الولجة بارض كسكر موضع مما يلي البر وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات:ينظر ياترت الحموي،معجم البلدان م383/1

(4) اليس:الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في اول ارض العراق من ناحية البادية. وفي كتاب الفتوح اليس قرية من قرى الانبار،ينظر ياقوت الحموي. معجم البلدان م248/1

(5) الانبار. مدينة على الفرات غربي بغداد، بينها عشرة فراسخ اول من عمرها(سابور هرمز)الفارسي سميت بالانبار لانه كان يجمع فيها انابير الحنطة والشعير والتبن. ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان ح557/1

(6) الطبري. تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج34/3ذ-355

اهم الدروس الاستطلاعية من معارك خالد بن الوليد في جنوب العراق:

1. في معركة ذات السلاسل قسم خالد بن الوليد قواته على ثلاثة ارتال على طرق مختلفة وباوقات مختلفة لارباك عناصر العدو في تحديد حجم قوة جيش المسلمين ومعرفة اهدافهم الحقيقية. [1]

2. في معركة المذار عندما كتب القائد الفارسي هرمز إلى قيادته العليا عن اخبار مسيرة خالد بن الوليد من اليمامة إلى العراق، قامت هذه القيادة بتعزيز هرمز بقوة من المدائن يقودها قارن بن قربانس وفي الوقت نفسه عندما وصل الخبر إلى خالد بن الوليد عن قوة قارن اسرع خالد بالحركة حتى نزل المذار وفاجأ الفرس هناك[2]

3. في معركة الولجة جلبت عناصر الاستطلاع للجيش الاسلامي معلومات عن رصدها لتقدم الجيش الفارسي وفي ضوء ذلك اصدر خالد اوامره بالتحرك بسرعة وترك سويد بن مقرن في الحفيد وامره بالبقاء فيها وعدم تركها لحماية ظهره من الخلف في واثناء تقدم خالد ارسل عناصر استطلاعية وعيونه في كل اتجاه حتى وصل الولجة [3]

4. من خلال عيون جيش خالد بن الوليد في معركة اليس علم المسلمون بتجمع الفرس في اليس فسار اليهم خالد بكتمان وقد رصدته عناصر الاستطلاع للجيش الفارسي لكنها عجزت عن تشخيص نواياه فكانت متاخرة عن المعرفة المبكرة واستطاع خالد بن الوليد من مفاجئتها [4]

---

(1) المصدر نفسه ج3 ص348

(2) المصدر نفسه ص351

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج353/3

(4) المصدر نفسه ج355/3

5. في معركة الانبار قام خالد بن الوليد بالاستطلاع الشخصي لموضع العدو فوجد ثغرة في خندق العدو وبعد ان امر بذبح الضعاف من الابل التي ردم بها هذه الثغرة واندفع من خلالها. وكذلك في المعركة نفسها امر خالد جنوده بالتصويب والرمي على عيون جنود العدو وفعلا تمكنوا من فقئ الف عين وهذا ما حرم هذه العناصر من الاستطلاع وخلف حالة من الاضطراب والارتباك في صفوف الفرس. [1]

مسيرة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

الموقف العام: كان موقف الجيوش الإسلامية حرجا في ارض الشام بعد ان سمح الخليفة أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن سعيد بالتعرض على الروم في الشام عندما اجاب على رسالة خالد بن سعيد الخاصة بالاستئذان بمهاجمة الروم «ان اقدم ولا تحجم واستنصر الله»[2] لان الروم اخذوا يجمعون قواتهم ويكملوا تحشدها وقد ادرك المسلمون هذا الخطر فاخذوا يعملون على الاستعداد لمواجهتها وكانت الخطوة التي اتخذوها هي تجميع قواتهم باتجاه جبهة الشام وقد طلبوا من الخليفة ابي بكر رضي الله عنه يمدهم بالرجال. كان خالد بن الوليد في الحيرة لما تلقى امر الخليفة ابي بكر رضي الله عنه بالتوجه إلى الشام لنجدة الجيوش الإسلامية المرابطة هناك[3] وقد خلف المثنى ابن حارثة الشيباني قائدا على مابقي من الجندفي العراق[4] وقد اوضح كتاب الخليفة ابي بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد حراجة موقف المسلمين (اما بعد فقد ورد علي من خبر الشام ما اقلقني وارقني

(1) المصدر نفسه ج376/3
(2) المصدر نفسه، ج389/3
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ص393
(4) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ،بيروت 1978مص118

وضقت به ذرعا فاذا ورد عليك كتابي هذا وانت قائم فلا تقعد وان كنت راكبا فلا تنزل وذر العراق وخلف عليها من تثق به من اهلها فاذا انت اتيت المسلمين بالشام فانت امير الجماعة والسلام»[1]

التهيؤ للسير الى الشام:

قام خالد بن الوليد بعد تسلمه كتاب الخليفة ابي بكر رضي الله عنه بجمع اصحابه الذين قدم بهم من الحجاز واليمامة فكانوا سبعة الاف فارس فخرج بهم من الحيرة[2] إلى الشام[3]وهناك من يقول ان جيش خالد بن الوليد كان تعداده هو تسعة الاف[4]وهناك من يقول ان جيش خالد الذي تحرك من العراق إلى الشام كان مؤلفا من ثمانمائة ومن يقول ستمائة ومن يقول خمسمائة فارس»[5] ثم سار خالد بن الوليد حتى وصل موضع يقال له قراقر على طريق صحراء الشام ونزل جيش المسلمين هناك واحتاجوا من يعرف الطريق وفي هذا المكان تعرف خالد بن الوليد على الدليل رافع بن عميرة الطائي الذي قال لخالد انه يعرف هذه المنطقة الصحراوية بصورة جيدة وان المدة المطلوبة لقطع هذه الصحراء هي خمسة ايام. بعد ذلك قرر خالد ان يتخذ من رافع بن عميرة الطائي دليلا بعد ان وعده بمكافأة قدرها عشرة الاف درهم بعد عبورهم الصحراء. عند ذلك طلب رافع الطائي احضار خمسة وعشرين بعيرا قاموا بعلفها بالعلف اليابس ومنعوها

(1) ابن اعثم الكوفي،كتاب الفتوح، ج1 ص132-133
(2) الحيرة مدينة كانت على ثلاث اميال من الكوفة على موقع يقال له النجف. ينظر ياقوت الحموي. معجم البلدان ج134/3
(3) ابن اعثم الكوفي،كتاب الفتوح،ج134/1
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك-المصدر السابقج3ص394
(5) ابن اعثم الكوفي-كتاب الفتوح المصدر السابق ج1ص118

من الماء. ثم اوردوها بعد ذلك فشربت حتى امتلاءت اجوافها من الماء ثـم كممـت حتى لا تجتر. وبعد ان سار المسلمون باتجاه الشام وكانوا ينحـرون بعـد نهايـة كـل يوم خمس من تلك الجمال يقومون بعصر مافي كروش الجمال من المـاء ويمزجونـه ببعض الماء العذب لسقي الخيل والبغال والحمير عـدا الجـمال فانهـا لم تـذق المـاء خمسة ايام[1]

الرأي:

اعتقد ان جـيش خالـد بـن الوليـد كـان بقـوة تقـدر ب(4000)مقاتـل وفقـا للتحليل الاتي:

أ. ان رافع بن عميرة الطائي قد طلب احضار خمـسة وعـشرين بعـيراً وكـان الجيش ينحر في كل يوم خمس من الابل، ولما كان وزن اللحم الصافي للبعير الواحـد بحـدود (150) كيلـو غرامـا [2]وان حاجـة الجنـدي للحـم هـي مـن (150-200) غـرام وحسب المجهود البدني الذي يبذله الجندي خلال اليـوم وهنـا الجنـدي كـان يبـذل مجهودا شديدا في حركته في الصحراء السوريةوما ياتي يوضح التحليل:

اولاً: الرحلة تستغرق (5) خمسة ايام وفي كل يوم ينحـرون (5) خمـسة مـن الابل

ثانياً: وزن اللحم الصافي للبعير الواحد (150) كيلو غرام.

ثالثاً: الجندي يحتاج إلى (150-200) غرام من اللحم يوميا.

---

(1) ابن اعثم الكوفي-كتاب الفتوح المصدر السابق، ج131/1.

(2) استفسار شخصي من طبيب بيطري في مجزرة الكرخ، معاون طبيب، باسل مذكور العامري.

رابعا: 150 × 1000 (غرام) × 5 بعير = 750000 غرام من اللحم لخمسة جمال

خامسا: ان القوة التي يذبح لها (5) جمال هي نحو 4000 مقاتل.

سادسا: 750000 ÷ 4000 = 187 غرام من اللحم لكل مقاتل. بناءً على احتياج المقاتل (150 – 200) غم يومياً.

ب. فيما يخص عدد الخيول التي استجمعها خالد بن الوليد معه فيمكن التوصل إلى عددها من خلال التحليل الاتي:

اولا: ان المياه المخزونة في اكراش (5) من الابل تعادل (300) لتر ماء بمعدل (60) لتر لكل بعير.

ثانيا: اذا كان معدل ما يشرب الحصان الواحد (10) لتر فيمكن تخمين الخيول بـ (30) حصان[1]

الشؤون الادارية

لم تكن متطلبات الحركة في الاراضي الصحراوية خافية على قائد فذ مثل خالد بن الوليد وهو ابن الصحراء وقد عالج الصعوبات:

أ. الدلالة. لتامين الاتجاه والدلالة في الصحراء فقد استصحب معه امهر الادلاء وهو رافع بن عميرة الطائي الذي فيه يقول الشاعر:

لـلــــه در رافـــع الـــذي اهتـــدى   فـــوز مـــن قراقـــر إلى ســـوى

مــاء اذا مــا رامــه الجــيش انثنــى   مـا جازهـا قبلـك مـن انـس يـرى[2]

(1) Musil a arabk deserets ne

(2) البلاذري، فتوح البلدان المصدر السابق، ص118

ب. مشكلة الماء. يفترض ان الدليل رافع بـن عمـيرة الطـائي قـد وضـع كـل تفاصيل الطريق الذي سيسلكه خالد وبدقة. بعد ان وجد خالدٌ ان اصـعب مرحلـة هي تلك التي تقع بين قراقر[1] وسوى[2] حيث لا يوجد ماء وانهـا تـستغرق خمـسة ايام وهذا يعني ان الماء كان متوافرا في اقسام الطريق ولذا نجد ان خالداً يأمر كـل صاحب جماعة ان ياخذ الماء لجماعته لخمس ليـال ويحملهـا في قـرب عـلى ظهـور الابل على ان يعطشوا الابل ما يكتفى به ثم يسوقها طلا بعد نهل، والطـل الـشربة الاولى والنهل الشربة الثانية وذلك لـتلافي نقـص المـاء في تلـك المرحلـة مـن المـسيرة المحصورة بين قراقر وسوى[3]

ج. ان اعتماد خالد على دليل ماهر يعدّ فصلا مهما في مسيرته المعقـدة عـبر الصحراء ويدلل على اهتمامه بالاستطلاع.

محور التنقل الاستراتيجي عبر الصحراء

كان على خالد بن الوليد ان يقطع المسافة بين الحيرة في العراق وبـصرى في الشام وباقل ما يمكن من الوقت والمسافة لا تقل عن (1000) كيلو مـتر. وقـد اختلف المؤرخون في الطريق التي سلكها خالد وجيشه اذ كانت عدة احـتمالات لعدة طرق وهنا يكون للاستطلاع والالمام بهذا الطرق الاهمية العالية في اختيـار احداها وبما يؤمن الـسرعة وقـصر المـسافة والكـتمان فالـسرعة كانـت مطلوبـة للوصول بوقت مبكر لنجدة الجيوش الإسلامية في سـوريا وقـصر المـسافة عنـصر

(1) قراقر. اسم ماء لبني كلب بالسماوة في ناحية العراق:ينظر ياقوت الحموي،معجم البلدان طهران، 1965،ج49/4

(2) سوى اسم ماء لنهراء من ناحية السماوة، وقيل سوى وعليـه مـر خالـد بـن الوليـد لمـا قـصد مـن العراق إلى الشام ومعه دليله لارافع الطائي ينظر:. ياقوت الحموي معجم البلدان ج102/3

(3) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ المصدر السابق ج171/2؛ الازدي تاريخ فتوح الشام، ص85.

اساس لتقليل مدة الرحلة اما الكتمان فهو عنصر مهم ايضا وذلك لتامين المباغتة على العدو بحيث لا يستطيع تحديد وجهة وهدف جيش خالد كما ان ذلك يتطلب ان يسلك خالد طريقا لا تمر في منطقة مأهولة تساعد عيون وجواسيس الاعداء[1] رصد حركة جيشه فتنقل المعلومات إلى الروم وهؤلاء بدورهم يتخذون الخطوات التي تؤخر وصوله من ناحية وتستنزف جزءاً من قوته. وما يلي الطرق التي ذكرهاالمؤرخون واختلفوا حولها:

أ. طريق الحيرة، دومة الجندل[2] قراقر-سوى-دمشق-بصرى[3]

ب. طريق عين التمر-دومة الجندل-قراقر،سوى-تدمر القريتين-مرج راهط-دمشق-بصرى ويؤيد هذا الطريق البلاذري[4].

(1) الزهيري، العقيد الركن امجد، خالد بن الوليد والجيش العراقي في عام 1973، في عبور الصحراء رسالة دبلوم الى كلية الحرب العراقية، (بغداد 1979م)، ص 38.

(2) دومة الجندل:حصن ورى بين الشام والمدينة وهي من القربات إلى تيماء اربع ليال وهذا الحصن على سبع مراحل من دمشق وقيل ان خالد بن الوليد قد مر بها عند خروجه من العراق إلى الشام ينظر:ياقوت الحموي معجم البلدان م65/2-67

(3) بصرى في الشام من اعمال دمشق ولما سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام قدم على المسلمين وهم نزول في بصرى:ينظر ياقوت الحموي-معجم البلدان ح654/1

(4) البلاذري،فتوح البلدان-ص120

ج. طريق الحيرة، عين التمر[1]، صندواء[2]، المصبخ، قراقر-سوى-اراك-تدمر-القريتين[3] - دمشق – بصرى – ويؤيد هذا الطريق الجنرال الباكستاني اكرم[4]

لابد من مناقشة الطرق اعلاه في ضوء المهمة الموكلة إلى خالد بن الوليد والالتحاق بجيوش المسلمين في فلسطين ولابد لخالد ان يعبر الصحراء من احد مسالكها ثم ان يلتحق بجيوش المسلمين في فلسطين وان الموقف كان حرجا كما بينا انفا. وفيما يخص العدو(القوات الرومانية)او جواسيسها فانهم على الاكثر موجودون في المناطق الموازية لنهر الفرات من ناحية تدمر كونها ماهولة بالسكان.

في ما يخص الطريقين (ا) و(ب) فان المشكلة تكمن في هل مر خالد بن الوليد بدومة الجندل ام لا؟ وللاجابة لابد من مناقشة الاتي:

أ. ان الطريق بين الحيرة ودومة الجندل بحدود (600)كم ومن دومة الجندل إلى تدمر بحدود (800)كم ومنها إلى دمشق فبصرى نحو (400)كم فتكون المسافة الكلية 600+800+400=1800كم[5]

---

(1) عين التمر بلدة قريبة من الانبر غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شثاثةولا تزال عين التمر يطلق عليها هذا الاسم حتى الان. ينظر:ياقوت الحموي-معجم البلدان ح253/6

(2) صندواء،سار خالد بن الوليد من العراق يريد الشام فاتى صندواء وبها قوم من كندة واياد والعجم. ينظر ياقوت الحمويمعجم البلدان ج320/3.

(3) القريتين: من اعمال حمص في طريق البرية وبينها وبين سخنة واركة وسار خالد بن الوليد من تدمر الى القريتين، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4 / 77.

(4) اكرم الجنرال الباكستاني، سيف اللـه خالد بن الوليد، منشورات هيئة التدريب في القوات المسلحة السوري دمشق 1967 ص337.

(5) خريطة الصحراء السورية-بادية الشام الملحقة(ك)المرفق.

ب. ان الطريق من الحيرة الى دومة الجندل بطول (600) كم تقريباً ويعدّ طريق طويل وتقع مناطق كثيرة عليه معروفة لأنه من الطرق المستعملة في حينه بين العراق والجزيرة العربية.

ج. بالنظر لما ورد آنفاً يمكن الخروج بأستنتاج هو ان جيش خالد بن الوليد لم يمر بدومة الجندل لأن الطريق في هذا الاتجاه طويل ولا يتفق مع ما مطلوب من سرعة الوصول لنجدة المسلمين في الشام.

ولذلك فأنني ارجح الطريق الذي توصل اليه الجنرال الباكستاني أ. أكرم كونه يؤمّن السرعة لقصره وهذا هو الطريق (ج) وهو الحيرة – عين التمر – الصندواء – المصبخ – قراقر – سوى – اراك – تدمر- القريتين - دمشق – بصرى.

وكما مر ذكره فان المسافة بين قراقر وسوى تقطع بنحو خمسة ايام وكما قال الشاعر العربي:

فوز من قراقر إلى سوى	والسير زعزاع فما فيه ونس
خمس اذا ما سارها الجيش بكى	في اليوم يومين رواحا وسرى

وقال:

لله در رافع انى اهتدى	فوز من قراقر إلى سوى
ماء اذا ما رامه الجيش انثنى	ما جازها قبلك من انس يرى[1]

(1) فوز مفازة:، سميت الصحراء فوز ومفازة لان من خرج منها وقطعها فاز، والمفازة التي لا ماء فيها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ج393/5.

ميزات التنقل الاستراتيجي

ان الايجابيات التي تحققت مـن قـرار القيـادة العربيـة الإسـلامية بتحويـل خالد ابن الوليد وجيشه من جبهـة قتـال العـراق إلى الـشام والـذي يـدلل عـلى ان القيادة لم تكن لها قوات احتياطية في المدينة مما اضطرها إلى تحريك خالد وجيشه وهذه الميزات هي:

أ. ان سلوك الطريق غير المتوقع والخطر قد امن السرعة التي ارادهـا خالـد لاجل الالتحاق بجيشه مع باقي الجيوش الاسلامية في اليرموك ثم انـه جعـل مـسيرة اليومين في يوم واحد قد زادت من هذه السرعة وخفضت مـن مـدة المـسيرة لـشهر إلى (18) يوما[1]

ب. ان اختيار الطريق وحركة الالتفاف الواسعة لجـيش خالـد وتقربـه غـير المباشر لـلـهدف حيث كان الروم يتوقعون ان النجدات العربية الإسلامية تـاتي مـن الجنوب بينما ظهرت من اتجاه الشمال

ج. لقد حصل خالد بن الوليد على مباغتة سـتراتيجية باتباعـه الطريـق غـير المعروف من قبل الروم حيث انقطعت اخباره بعـد مغادرتـه الحـيرة حتـى ظهـوره قرب تـدمر وهكـذا لم تكـن تتوقـع القيـادة الرومانيـة ان يظهـر جـيش اسـلامي في المنطقة الخلفية لجيوشهم وهذا ما جعل خالد بن الوليد يسال الادلاء قائلا «كيـف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان اسـتقبلتها حبـستني مـن غيـاث المسلمين»[2]

(1) البلاذري ،فتوح البلدان-المصدر السابق-ص118؛ سـويد ياسـين،معارك خالـد بـن الوليـد المؤسـسة العربية للطباعة والنشر، (بيروت 1975)، ص238

(2) خطاب محمود شيث خالد بن الوليد المخزومي، مطبعة الاهرام التجارية القـاهرة، طبعـة ثانيـة، 1970 ص138

الرأي:

لقد ركزت على مسيرة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام باختراق بادية الشام بعدّها مسيرة ستراتجية ناجحة اعتمدت على خطة استطلاعية متماسكة في جوانبها كافة وتمثلت في اختيار الادلاء المتميزين ولاسيما الدليل رافع بن عميرة الطائي ثم دراسته للخيارات المتاحة عن الطرق الممكن ان يسلكها وهي خطوة استطلاعية اخرى استطاع بواساطتها ان يختار طريقاً نادرا ما تسلكه القوافل وهذا ما جعله يحقق المباغتة السوقية ضد عدوه الروماني عندما ظهر خلف قطاعات العدو ومن خلال طريق قصير قياسيا للطرق الاخرى ولكن لا ننسى ان هذا الطريق كانت تكتنفه المخاطر ويحتاج الدرجة من المغامرة في قطع الصحراء بين قراقر وسوى واي فقدان للاتجاه في هذه الصحراء كان يعني الهلاك حتى وصل الحال بخالد بن الوليد ان يقول اقتربنا من الهلاك (فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد اشرفنا على الهلاك والتلف اتعرف لنا ماء ننزل عليه»[1]وهكذا بهذه البصيرة القيادية لخالد بن الوليد وحسه العالي باهمية الاستطلاع ومعرفة الاراضي جعلته يحقق هذه المسيرة الستراتيجية الناجحة وهو الذي كان يردد بين فترة واخرى القول العربي«قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها»[2]

قبل المعركة

قبل معركة اليرموك قام خالد بن الوليد باستطلاع شخصي لميدان المعركة بعد ان جمع المعلومات عن تنظيم الجيش الروماني واسلوب قتاله وهذا ما يدلل

(1) الواقدي،فتوح الشام، منشورات المكتبة الاهلية،بيروت الطبعة الاولى، 1966، ص24
(2) الطبري تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق ج363/3

على الاهمية الكبيرة التي كان خالد يوليها للاستطلاع حتى يكون على بينة من عدوه[1]

لعل النقطة الاهم التي جاءت نتيجة للاستطلاع ومن خلال العيون التي بثها حول الجيش الروماني وعززها باستطلاعه الشخصي وهي تبديل خالد لنظام القتال الذي اعتاد عليه الجيش العربي الاسلامي في السابق وهو نظام الصفوف حيث استبدل خالد هذا النظام بنظام الكراديس[2]وهو النظام الذي يستعمله عدوه (الجيش الروماني) وبذلك حقق مباغتة فاجأ العدو بهذا الاسلوب في الوقت الذي كان العدو يعتقد ان الجيش العربي الاسلامي ما زال على اساليبه السابقة، وهذا ما ساعد على تحقيق النصر على العدو الروماني وفي ذلك قالوا: «وقد خرج خالد في تعبية لم تعبها العرب من قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى الاربعين وقال ان عدوكم كثير وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب واقام فيه ابا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة كراديس وجعل عليها يزيد بن ابي سفيان وكان على كردوس من كراديس العراق القعقاع بن عمرو وعلى الطلائع قبات بين اشيم»[3]

---

(1) كتاب رسمي، التاريخ العسكري، اسفار بعض القادة العظام خالد بن الوليد،مطبعة الجيش. بلا. ت. ص97

(2) الكردوس،كردوس:الخيل العظيمة وقيل القطعة من الخيل العظيمة والكراديس:الفرق فيهم ويقال كردس القائد خيله أي جعلها كتيبة. ينظر ابن منظور،لسان العرب دار بيروت للطباعة والنشر م195/6

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج396/3؛ ابن الاثير،الكامل في التاريخ ج172/2

الدروس الاستطلاعية المستنبطة من معركة اليرموك

ما يأتي أهم الدروس الاستطلاعية المستنبطة في معركة اليرموك:

أ. نجاح خالد بن الوليد بتامين دليل ماهر وله معرفة وتجربة في اجتياز المفازة(الصحراء)وهو الدليل رافع بن عميرة الطائي الذي كانت له خبرة في العمل في الصحراء والسير في مجاهلها. ونجاح خالد بن الوليد في اجتياز الصحراء كان اساسه اعتماد المعلومات الدقيقة الخاصة بالصحراء وهذا بلا شك هو الاستطلاع الناجح

ب. تامين المياه المطلوبة لسقي الخيل من المياه المخزونة في كروش الجمال التي كانت في جيش خالد بن الوليد

ج. معرفة خالد بن الوليد بالمنطقة الصحراوية وطرقها والتي هي جزء من عملية الاستطلاع مكنته ان يجتاز طريقاً قصيرا وغير متوقع من قبل العدو وهذا ما ساعده على تحقيق المباغتة في المكان والزمان وهذا ما فاجأ أعداءه من الروم واربك خططهم.

د. اعتماد خالد بن الوليد على المعلومات الدقيقة عن الارض وعن مناطق انتشار عدوه وضعف عناصر الاستطلاع في الجيش الروماني ساعد نجاح خالد بن الوليد في تنفيذ عملية الالتفاف من خلال تقربه غير المباشر على مواضع عدوه وهذا ما افشل توقعات الروم القائمة. على تقرب القوات الإسلامية في ناحية الجنوب بينما ظهرت خلفه من ناحية الشمال.

هـ. استعمال القائد خالد بن الوليد لتنظيمات الكراديس لاول مرة وهذا الاسلوب هو ذات الاسلوب المستعمل من قبل عدوه، الروماني، وهذا نتيجة جمعه للمعلومات عن جيش العدو والمعزز بالاستطلاع الشخصي الذي قام به

القائد خالد بن الوليد بنفسه. وهذا ما فاجأ العدو الذي كان يعتقد ان المسلمين ما زالوا على اسلوب تعبيتهم السابق، ولم يكن هناك الوقت الكافي لدى الجيش الروماني لمواجهة هذه المفاجئة التي ساعدت على انتصار المسلمين وكان أساس ذلك هو الاستطلاع الشخصي للقائد خالد بن الوليد في ساحة العمليات وقراره على استعمال هذا الأسلوب

خريطة معركة اليرموك[1]

(1) ينظر: الملحق (م) المرفق.

معركة القادسية ونهاوند

الاستطلاع في معركة القادسية

الموقف العام

تجمعت المعلومات لدى المثنى بن حارثة الشيباني عن تعيين يزدجـرد ملكـا على فارس وقد قام الملك الجديد بتجميع القوات وتعيين قادة جدد لهـذه القـوات، وفي ضوء ذلك كتب المثنى إلى الخليفة عمـر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه، ومـن موقعه كقائد عام للقوات المسلحة الاسلامية، كتب إلى المثنى يامره بالانـسحاب إلى البر وضرورة وضع عدوه تحت رصده من خلال انتشاره بالقرب من جـيش الفـرس. «تنح إلى البر وادع من يليك واقم منهم قريبا على حدود ارضك وارضهم». [1]

قرر الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه وبعد استشارة عدد من الصحابة رضي اللـه عنهم ان يعين سعد بن ابي وقـاص قائـدا للجـيش العـربي الاسلامي في العراق لمحاربة الفرس. وقد خرج سعد من المدينة باتجاه العراق في اربعة الاف[2]. وعندما وصـل سـعد ابـن ابي وقـاص إلى العـراق التقـى بـه المعنَّـى وسـلمه وصـية. المثنـى بـن حارثـة وهـي تـدلل عـلى اهميـة الخـبرة والاستطلاع حيث يطلـب مـن سـعد ان لا يقاتـل الفـرس في داخـل أراضـيهم «الا يقاتـل عـدوه مـن الفـرس في عقـر دارهـم وان يقـاتلهم عـلى حـدود أرضهم»[3] كما قـام القائـد العـام (عمـر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه بـأمر

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق. ج482/3

(2) المصدر نفسه ص484

(3) المصدر نفسه ص490

سعد لان يجعل جنوده عشرات عشرات ثم يقسمهم إلى كتائب[1] وركز على الاستطلاع من خلال توجيهاته للقائد المحلي في جبهة العراق سعد بن ابي وقاص فهو يحذره من كثرة عدوه واسلحته وانهم اشداء وينتشرون في مناطق منيعة وشدد على عدم الاكتفاء بالنظر اليهم بل على سعد ان ياخذ بزمام المبادرة ولا ينخدع بهم فانهم يخادعون ويمكرون «واعلم فيما لديك انك تقدم على امة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وباسهم شديد، وعلى بلد منيع وان كان سهلا، واذا لقيتم القوم او احداً منهم فابدؤوهم الشد والضرب واياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة»[2]

وضمن التوجيهات المركزية التي قام بارسالها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد يطلب منه ان يكتب اليه عن اماكن تحشد العدو الفارسي وعن قيادة هذا العدو وشدد على سعد ان يصف له مواضع المسلمين والمنطقة التي بين جيش المسلمين وبين المدائن بشكل تفصيلي كما انه لو كان ينظر اليها بنفسه (الخليفة) وهذا يدلل على الاهتمام باستطلاع مسرح العمليات من ناحية ومن ناحية اخرى اراد من سعد ان يقوم بالاستطلاع الشخصي ويدقق بالتفاصيل بنفسه (سعد). «واكتب الي اين بلغك جمعهم ومن راسهم الذي يلي مصادفتكم، فانه قد منعني من بعض ما اردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتهم عليه والذي استقر عليه امر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كاني انظر اليها واجعلني من امركم على الجلية»[3] ومن

---

(1) ابن كثير،البداية والنهاية-بيروت ط1980 م ط53/3
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج490/3
(3) المصدر نفسه ص491

جملة ما اراد الخليفة عمر رضي اللـه عنه ان يحقق من كتابه لسعد هو ان يعرف التفاصيل المتعلقة بالارض وبالعدو لكي يعرف كيف يقابلهم به من الكيد والعدة وحتى تكون توجيهاته للقائد الميداني (سعد) موضوعية وواقعية.

جوابا على امر القائد العام الذي طلب التفاصيل عن مسرح العمليات كتب القائد الميداني سعد بن ابي وقاص يصف مسرح العمليات فذكر ان القادسية تقع بين نهر العتيق والخندق أي انها محصورة بين هذين المانعين الطبيعين وان يسار القادسية هناك بحر يمتد إلى مدينة الحيرة وهي بين طريقين وهناك يمين القادسية مياه فائضة وان الذين سبق لهم مصالحة المسلمين قد ارتدوا لمعاونة الفرس وان قائد الفرس هو رستم وهو معروف بين قادة الفرس، وان هؤلاء الفرس يحاولون جرنا إلى المعركة مبكرا. «ان القادسية بين الخندق والعتيق وان ما عن يسار القادسية بحرا خضر في جوف لاح[1] إلى الحيرة بين طريقين فاما احداها فعلى الظهر، واما الاخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم وان جميع من صالح المسلمين من اهل السواد قبلى الب[2] لاهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا»[3].

(1) لاح: ولحت إلى كذا الوح اذا نظرت إلى نار بعيدة.... أي نظرت ولاح البرق أي لمع. ابن منظور-لسلن العرب ج/5/86

(2) الب. جمع. اتوك من كل جانب. ابنمنظور لسان العرب ح/209

(3) الطبري،تاريخ الرسل والملوك-المصدر السابق ج492/3

فكتب اليه عمر رضي اللـه عنه اجابة طلب منه ان يصمد في موقعه حتى يضطر العدو القيام بالحركة وبعدها سيهزم العدو وثم مطاردته حتى اقتحام المدائن«قد جاءني كتابك وفهمته: فاقم بمكانك حتى ينغض اللـه لك عدوك، واعلم ان لها ما بعدها فان منحك اللـه ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليه المدائن، فانه خرابها ان شاء اللـه»[1].

في الجانب الفارسي هناك وسائل مستعملة للاستطلاع عن طريق زرع الرقباء في الابراج وهذا ما ذكره كرب بن ابي كرب العكلي الذي كان في المقدمة في ايام القادسية قد شاهد بعد خروجهم من العذيب الرقباء في الابراج لاعطاء الانذار المبكر عند التقرب اليهم. «فلما رفع لنا العذيب وكان من مسالح الفرس-استبينا على بروجه اناسا. فما شاء ان نرى على برج من بروجه رجلا او بين شرفتين الا رايناه»[2].

وضمن تسلسل الحوادث يقوم القائد الميداني سعد بن ابي وقاص بارسال دوريات الاستطلاع إلى الحيرة والى صلوبا من اجل جمع المعلومات عن الفرس وفعلا جلبت هذه العيون المعلومات التي تشير إلى قيام الملك الفارسي بتكليف القائد رستم بقيادة القوات الفارسية فقام سعد باشعار الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه «وبعث سعد عيونا إلى اهل الحيرة والى صلوبا، ليعلموا له خبر اهل فارس، فرجعوا اليه بالخبر، بان الملك قد ولى رستم حربه وامره بالعسكرة. فكتب بذلك إلى عمر»[3]وقد بقي سعد مدة شهرين في جمع المعلومات قبل معركة القادسية في

(1) المصدر نفسه ص492

(2) المصدر نفسه ص493

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج495/3

ذات الوقت الذي نقل اهل المنطقة إلى الملك الفارسي معلومات عن وصول العرب المسلمين إلى القادسية وان حركتهم تدلل على حرب قريبة وقد طلبوا النجدة السريعة لمواجهة هذا التهديد وبذلك فكون هذه المعلومات استطلاعية مبنية على مشاهدة اهل المناطق القريبة من القادسية «وكان مقام سعد بها (القادسية) شهرين وشيئا حتى ظفر... وعج اهل السواد إلى يزدجرد وارسلوا اليه ان العرب قد نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء وقد خربوا ما بينهم وبين الفرات. ولم يبق الا ان يستنزلونا فان ابطا عنا الغياث اعطيناهم بايدينا»[1].

من جانب اخر نجد الملك يزدجرد يطلب من قائده الميداني ان ينوره بما لديه (رستم) من معلومات عن العرب ونشاطاتهم منذ حلوا في القادسية وكذالك ان يوضح له موقف الفرس وما يعانون من العرب «قد احب ان انظر فيما لديك لاعرف ما عندك فصف لي العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية، وصف لي العجم وما يلقون منهم»[2]ومرة اخرى يحتاج القائد الفارسي رستم إلى المعلومات عن جيش المسلمين فيطلب من القادة الذين يعملون تحت قيادته وهما (الجالنوس والازاذ مرد) ان يخطفوا له اسيراً من جيش المسلمين وخرج هذان القائدان بانفسهما للحصول على الاسير واستنطاقه والاستفادة من معلوماته، وفعلا استطاعا ان يجلبا اسيراً من جيش سعد بن ابي وقاص ويرسلوه إلى القائد رستم الذي استنطقه بنفسه وبعدها قام بقتله. «لما فصل رستم من ساباط، كتب إلى الجالنوس والازاذ مرد:اصيبا لي رجلا من العرب من جند سعد:فركبا بانفسهما طليعة. فاصابا رجلا، فبعثا به اليه فاستخبره ثم قتله»[3]

(1) المصدر نفسه ص507
(2) المصدر نفسه ص503
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3 /507

كما ان القائد سعداراد ان يقوم بعمليات جس مع قطعات العدو لتامين الاستطلاع ومعرفة ردود فعل العدو فارسل طليحة وعمرا راجلين كالطليعة وفي الوقت نفسه خرج سواد وحميضة في مائة مقاتل مع كل منهما ونفذوا اغارة على مواضع الفرس عند النهرين علما ان القائد سعد حذرهما في التوغل عميقا لانه كان هدف الطليعة المعلومات. «وبعث (سعد) طليحة وعمرا في غير خيل كالطليعة. وخرج سواد وحميضة في مائة فاغاروا على النهرين وقد كان سعد نهاهما ان يمعنا»[1]

واستمرارا في جمع المعلومات عن القوات الفارسية ارسل القائد سعد دورية استطلاع يقودها طليحة صبيحة يوم وصول رستم الجالونس قادمين من النجف إلى القادسية، وبعد مسافة قليلة شاهدت الدورية جموع الفرس وكان واجب هذه الدورية خطف اسير من القوات الفارسية بعد ان دخلت معسكرهم حيث قام قائد الدورية طليحة بقتل جنديين من الفرس واسر ثالث قام بجلبه إلى القائد سعد بن ابي وقاص وقد استنطقه القائد سعدا بنفسه فعرف ان عدد الجيش الفارسي هناك (120) مائة وعشرون الف جندي وان الخدمات الادارية تضم العدد نفسه. «فاخرج سعد طليحة في خمسة، وذلك صبيحة قدم رستم الجالنوس وذا الحاجب، ولا يشعرون بفصولهم من النجف، فلم يسيروا الا فرسخا وبعض اخر حتى راوا مسالحهم ومسرحهم على الصفوف قد ملئوها... حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم... وكر طليحةعلى جنديين فارسيين فقتلا وقد اسر الثالث... وجوزه إلى سعد... فاخبره عن اهل فارس، بان الجند عشرون ومائة الف، وان الاتباع مثلهم خدام لهم»[2].

---

(1) المصدر نفسه ص511

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج3/ 512-514

وفي خطوة تؤكد على اهمية الاستطلاع وضرورة سرعة وصول المعلومات إلى اعلى حلقة قيادية وهي الممثلة بالملك يزد جرد الذي امر بوضع رجلا على ايوانه، وبعد ان طلب من رستم القائد الميداني بالتواصل مع مقره في المدائن بالمعلومات عن تطورات المعركة، وتطلب ذلك زرع عناصر استطلاع على شكل محطات من ميدان المعركة في القادسية وحتى المدائن وبالصوت المباشر وهذا اسلوب يضمن وصول المعلومات إلى القائد الاعلى في المدائن ويساعد على اصدار التوجيهات إلى القائد الميداني(رستم). «وكان يزدجرد وضع رجلا على باب ايوانه، اذ سرح رستم وامره بلزومه واخباره واخر حيث يسمعه من الدار واخر خارج الدار، وكذلك على كل دعوة رجل، فلما نزل رستم، قال الذي بساباط:قد نزل، فقال الاخر... حتى قاله الذي على باب الايوان وجعل بين كل مرحلتين على كل دعوة رجلا، فكلما نزل وارتحل او حدث امر قاله، فقاله الذي يليه، حتى يقوله الذي يلي باب الايوان فنظم ما بين العتيق والمدائن رجالا»[1]وقبل الدخول في سير المعركة. لابد من التاكيد على وصايا القائد العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القائد الميداني سعد بن ابي وقاص:

أ. التعسكر على حدود ارض العرب مع الفرس ومقاتلتهم على الارض العربية لرفع معنويات العرب واضعاف معنويات الفرس الذين يقاتلون خارج ارضهم.

ب. اجراء الاستطلاعات وبث العيون مع الحذر من الخدعة والمكر الفارسي

(1) المصدر نفسه ص530

ج. تقسيم قوات المسلمين بحسب النظام العشري، اذ جعل اساس الجيش الى حضائروكل حضيرة فيها (10) جنود ويقودها عريف ويلي ذلك امراء الاعشار الذي هو قائد العشرة عرفاء إلى قيادة (100) مائة مقاتل ويعادل ذلك حاليا امري سرايا ويعين امرا لكل وحدة تتالف من امري الاعشار ويسمى آمر التعبئة ويعادله حاليا آمر الوحدة.

سير المعركة

كان مجموع القوات الإسلامية بضعة وثلاثون الف مقاتل[1]بينما كان عدد الجيش الفارسي مائة وعشرون الف جندي[2]وقد بدات المعركة بعد ان عبر الجيش الفارسي نهر العتيق عن طريق قنطرة قام بانشاءها[3] وكانت المدة التي استغرقتها المعركة اربعة ايام:

أ. اليوم الاول يوم ارماث[4]**:** كان القائد سعد يعاني في هذه الاثناء من مرض عرق النسا وبه ايضا دنابل وقد استخلف خالد بن عرقطة على الجيش، وقد اخبر سعد قطعاته بانه سيقوم بعد صلاة الظهر باطلاق تكبيرات وعندما يسمعوا التكبيرة الرابعة فعليهم البدء بالزحف باتجاه العدو حتى الاشتباك معه وعليهم ترديد: لا حول ولا قوة الا بالله. وقد باغت الفرس المسلمين باستخدام الفيلة في المعركة وهذه الفيلة جعلت الخيول العربية تنفر من ميدان المعركة، فطلب سعد من عاصم بن عمرو ومن قومه من بني تميم لمعالجة موضوع الفيلة.

---

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج487/3

(2) المصدر نفسه ص514

(3) المصدر نفسه ص529

(4) ارماث خشب يضم بعضه إلى بعض ويشد ثم يركب في البحر وهو الطوف. ابن منظور. لسان العرب ج461/3

وعندما قام قوم عاصم بالهجوم على الفيلة فمسكوا اذنابها وقطعوا سروجها كما قاموا برمي النبال على ركبان الفيلة وهذا ما جعل الفيلة عمياء من دون قيادة وبذلك استطاع المسلمون احباط المباغتة التي اعدها الفرس باستخدام الفيلة في المعركة[1] وهنا يسجل ضعف في عناصر الاستطلاع الإسلامية والظاهر انه لم تكن هناك عيون للمسلمين بين صفوف القوات الفارسية

ب. اليوم الثاني (يوم اغواث)[2]: اصدر القائد العام للقوات الإسلامية في المدينة المنورة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرا إلى القائد الميداني في الشام (ابي عبيدة عامر بن الجراح) باعادة اهل العراق من الجند الذين سبق وان جاءوا مع خالد بن الوليد لاسناد قوات سعد بن ابي وقاص. قام أبو عبيدة بإعادة ستة الاف مقاتل بقيادة (هاشم بن عتبة بن ابي وقاص) وكان على راس القوة المتقدمة باتجاه العراق القعقاع بن عمر التميمي فاسرع بمسيره لنجدة المسلمين في القادسية. ومع بزوغ فجر اليوم الثاني للمعركة وصلت طلائع مقدمة قوة التعزيز وقد قام القعقاع بتقسيم قواته إلى مجموعات (تتالف كل مجموعة من عشرة جنود ومعهم راية. وكلما بلغت مجموعة مدى البصر دفع مجموعة اخرى[3] وبهذه الطريقة استطاع القعقاع ان يوهم العدو ويجعله يعتقد ان الامدادات اكبر من حجمها الحقيقي بكثير وهذا له علاقة بالاستطلاع لان هذه العملية ستوهم عناصر الاستطلاع الفارسية التي ستنقل إلى قيادتها باخبار

---

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق ح3 ص541

(2) اغواث: ومغيثة: اركية اخرى، عذبة الماء وهي احدى مناهل الطريق مما يلي القادسية. ابن منظور لسان العرب2ج/175

(3) الطبري،تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق، ج543/3، ابن الاثير-الكامل في التاريخ ح328/2-329

وصول هذه النجدات مما يؤثر على الموقف حتما. وفي خضم المعركة قام ابناء عمومة القعقاع بعملية مخادعة ومباغتة لها علاقة بالاستطلاع اذ قاموا بالهجومات على جيش الفرس بمجموعات كل مجموعة مؤلفة من عشرة مقاتلين على ابل البسوها البراقع ومعها عدد من الفرسان على خيولهم التي سبقت وان تعايشت معها وتعودت على العمل معها وقد اتم تشبيه الابل ببراقعها بالفيلة وبذلك يكون عملهم كما فعل الفرس في يوم ارماث بالعرب من خلال الفيلة ففرت خيول الفرس من الابل المبرقعة والتي لم تالفها من قبل واستمر القتال طوال نهار اليوم الثاني وحتى وقت متاخر من الليل وعاد الجيشان إلى مواضعهما دونما تحقيق النصر من أي طرف[1]وقد تحول الموقف لصالح المسلمين عند ارتفاع معنويات المسلمين بعد وصول التعزيزات بقيادة القعقاع وفي هذا اليوم برز أبو محجن الذي حبسه القائد سعد لشربه الخمر فقام أبو محجن بالتسلل من السجن بمساعدة زوج سعد وركب فرس سعد (البلقاء) وقاتل بشكل متميز مما ادهش المسلمين ومنهم القائد سعد بن ابي وقاص[2]

ج. اليوم الثالث (يوم عماس)[3]: لقد بلغت خسائر المسلمين في اليوم الماضي الفي شهيد وبلغ عدد قتلى الفرس عشرة الاف قتيل. ولعدم وصول القسم الاكبر من التعزيز القادم من الشام بقيادة (هاشم ابن عتبة بن ابي وقاص) قام القعقاع بتسريب جماعته إلى الخلف والى المكان نفسه الذي التقاهم يوم (اغواث) على ان يتقدموا مرة اخرى على شكل مجموعات كل منها مؤلف

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج545/3

(2) المصدر نفسه ص548

(3) عماس:حرب عماس:شديدة وكذلك ليلة عماس يوم عماس شديد الظلام ابن منظور، لسان العرب ج147/6

من مائة مقاتل ومع كل مجموعة راية وبـذلك يعمـل عـلى رفـع معنويـات جـيش المسلمين ويحط من معنويات الفرس. ومع الفجر بدات جماعات القعقاع بالوصول إلى ميدان القتال وكلما دخلت مجموعة إلى ميدان القتـال كـبروا وكـبر معهـم بقيـة المسلمين وهم يصرخون (جاء المدد) وعلى وشك ان تتكامل قوة القعقاع لتـنظم إلى كتائب المسلمين حتى وصل هاشم»مع القسم الاكـبر مـن التعزيـز والبـالغ خمـسة الاف مقاتل، ولما علم باسلوب القعقاع في المخادعة قام هو بممارسة الاسلوب نفسه حيــث قــسم جنــده إلى مجموعــات كــل منهــا مؤلــف مــن ســبعين مقــاتلا. فكانت المجموعـات تـدخل ميـدان المعركـة وهـي تكـبر ويكـبر معهـا بقيـة جـيش المسلمين وكانت هذه المجموعـات تـنضم إلى قـوة قلـب المـسلمين وبـدات تحمـل عـلى قـوة الفـرس حتـى نجحـت بخـرق صـفوفهم والوصـول إلى (العتيـق) ثـم الرجوع[1] وهذه عملية مخادعة تمثلـت بايهـام الفـرس ولاسـيما عنـاصر الاسـتطلاع الفارسـية التـي كانـت ترصـد بـالنظر حركـات وفعليـات الجـيش الاسـلامي القـادم مـن الـشام وبـذلك نجـح الجـيش الاسـلامي بتـضليل الفـرس ولا سـيما العنـاصر الاختـصاصية والمقـصود بـذلك عنـاصر الاسـتطلاع الفارسـية امـا الفـرس فقـد كانوا منهمكين طيلة الليل باصلاح صـناديق الفيلـة مخططـين لـزج هـذه الفيلـة في المعركة مع بداية اليوم الثالث (عماس) وكان معها الرجالة وبعض العناصر لحمايتها من قطع وضونها (سروجها) واستعملت الفيلة باتجـاه قلـب قـوة المـسلمين. وبعـد بلوغ تاثير قوة الفيلة الذروة وفي مقـدمتها فـيلان يقـودهما الفيـل الابـيض والفيـل الاجرب طلب سعد من القعقـاع واخيـه عاصـم معالجـة موضـوع الفيلـين فتقـدما ونجحا بطعن الفيل الابـيض وفقـا عينـه وقلعـا مـشفرة في الوقـت نفـسه اسـتطاع (حمال والربيل) وهما من قبيلة اسد حيث طعنا الفيل الاجرب في عينـه ثـم قطعـا

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج552/3.

مشفرة وبقرا انفه وجبينه فاصبح الفيلان بلا قيادة ولا توجيه حتى ولى الفيل الاجرب هاربا فالقى بنفسه في العتيق) فاتبعته بقية الفيلة ملقية بنفسها في (العتيق). وبذلك فقد الفرس قلاعهم المتحركة، وبعد ما حدث:زال خطر الفيلة، زحف المسلمون بحماية فرسانهم لمقاتلة الفرس بالسيف فكانت معركة بقتال شديد[1]

د. اليوم الرابع (ليلة الهرير)[2]: بعد حلول الظلام في اليوم الثالث وتوقف القتال، بعث القائد سعد دورية استطلاع بقيادة طليحة بن زيد وعمرو بن سعد للقيام باستطلاع المخاضة الكائنة على نهر العتيق جنوب منطقة القتال لمسكها والدفاع عنها لمنع الفرس من استعمالها في حال تقدمهم وحرمانهم من الاندفاع وتطويق جيش المسلمين وابلغها بالزوم موقعها حتى يصلها امره اللاحق في حالة عدم وجود الفرس فيها. وبعد وصولهما المخاضة وجداها خالية فقام طليحة بمبادرة شخصية وهي العبور إلى الضفة البعيدة والظهور خلف القوات الفارسية وبدا التكبير وهذا ما افزع الفرس واذهلهم بهذه العملية المباغتة. في ذات الوقت هجم عمرو بن سعد على اسفل المخاضة ثم قفل راجعا وعندما علم سعد بما جرى قال (اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له اذ لم يستاذني)[3] وهذا يدلل على سرور القائد سعد بمبادرة طليحة رغم عدم تقيده بالتوجيه الصادر اليه بلزوم المكان وعدم القيام باي حركة.

---

(1) المصدر نفسه ص555

(2) الهرير:هرير الكلب صوته دون نباحة من قلة صبره من البرد، وهر الشيء كرهه. ابن منظور، لسان العرب ج260/5

(3) الطبري تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج559/3

وبعد انتهاء المسلمين من صلاة العشاء في تلك الليلة زحف القعقاع بجيشه باتجاه جموع الفرس ومع تكبيرات ثلاث، اشتبك المسلمون والفرس بقتال عنيف طوال تلك الليلة وانقطعت خلالها الاصوات والاخبار عن القائدين سعد ورستم. وكان القعقاع يصرخ في جموع المسلمين (اثروا الصبر على الجزع فان النصر مع الصبر)[1]واستثمر القعقاع ما اصاب الفرس من انهاك وارهاق وخسائر فنظم هجوما واسعا ضد ميمنة وميسرة الجيش الفارسي ونجح الاختراق على أجنحة جيش الفرس واندفعت القوات الإسلامية خلف القوات الفارسية وهبت في هذه الاثناء عاصفة ترابية كبيرة قلعت سرير (طيارة رستم عن سريره وسقطت في العتيق فاندفع القعقاع ومن معه باتجاه (طيارة رستم) فوجدوه وهو يحاول الهرب حتى ضربه (هلال بن علقمة) وقد هرب رستم باتجاه نهر العتيق فلحقه وقتله في النهر، وعاد إلى موقع سرير رستم وهو يصرخ (قتلت رستم ورب الكعبة). وعند سماع الفرس بمقتل (رستم) حدث انهيار معنوي وهزيمة لدى القوات الفارسية. ، فقام (الجالنيوس) باصدار امر لعبور العتيق وعقبهم العرب وقاتلوهم وهم في النهر. وسميت بليلة الهرير لان المقاتلين المسلمين احجموا فيها عن الكلام واكتفوا بالهمهمة لضراوتها. وقد كبد المسلمون الفرس خسائر كبيرة بلغت ثلاثون الف قتيل وسقط علمهم الاكبر (درفش كابين). وكانت خسائر المسلمين ستة الاف شهيد[2]

(1) المصدر نفسه ص563

(2) الطبري. تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ح564/3

الدروس المستنبطة

ما يـاتي اهـم الـدروس المـستنبطة مـن معركـة القادسـية والتـي لهـا علاقـة بالاستطلاع:

أ. اتفـاق الخليفـة عمـر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه والمثنـى بـن حارثـة الشيباني حول اخراج قوات المـسلمين مـن ارض الفـرس وزجهـا إلى منطقـة امنـة في الصحراء للتواصل بقاعدتهم الرئيسة في المدينة المنـورة وهـذا مـا حـرم الفـرس مـن تحقيـق المباغتـة بتطويـق قـوات المـسلمين داخـل الارض الفارسـية وهـذا اساسـه الاستطلاع والمعرفة المبكرة.

ب. تقسيم المسلمين لقواتهم على وفق النظام العشري القـائم عـلى تـاليف كل حضيرة من عشرة جنود يقودهم عريف ويليه امـراء الاعـشار الـذي يقـود كـل منهم عشرة عرفاء أي (100) مائـة مقاتـل، ويليـه امـر التعبئـة الـذي يحمـل الرايـة ويكون بامرته عدد من امري التعبئة وهذا الاسلوب المشابه لما معمول به في العصر الحديث كان امرا مباغتا للفرس الذي كانت معلوماتهم قديمة عـن اسـاليب تعبئـة وقتال العرب وهذا ضعف في جانب الاستطلاع وقع به الفرس.

ج. رفض المسلمون عبور نهر العتيق حرم الفرس من المباغتة التـي خططـوا لها من اجل حصر جيش المسلمين خلف النهر.

د. المباغتة والمخادعة الناجحة التي قام بها القعقاع عنـد وصـوله عـلى راس مقدمة جيش التعزيز القادم مـن الـشام بتقـسيم القـوة البالغـة (1000) مقاتـل إلى مجموعات مؤلفة كل مجموعة من عشرة اشخاص ومعهم راية. وهكذا اسـتطاع ان يضلل عناصر الاستطلاع الفارسية وجعلها تعتقد ان هـذه القـوة اكـبر مـن حجمهـا الحقيقي وهذا يعني فشل عناصر الاستطلاع الفارسية

هـ المخادعة التي قام بها المسلمون بالباس عدد من الابل براقع ومعها عدد من الفرسان لحمايتها مما تسبب في نفور خيول الفرس التي لم تعتد عليها وهذا سبب ارباكاً لدى الفرس وهذا سببه ضعف الاستطلاع وهو مشابه لما قام به الفرس في استعمالهم الفيلة ضد جيش المسلمين وهو يمثل ضعف في الاستطلاع لكن الفرق ان المسلمين نجحوا في معالجة موضوع الفيلة في ميدان المعركة.

و. المباغتة التي قام بها المسلمون في هجومهم على الفيل الابيض والفيل الاجرب من خلال فقء عيون الفيلين وقتل جنود الفرس المخصيصين لحماية تلك الفيلة وهذا ما ادى إلى بقاء الفيلة من دون قيادة ومن ثم نفورها وسقوطها في نهر العتيق ومعها بقية الفيلة وهذا ما اربك صفوف الفرس.

ز. المباغتة التي حققتها دوريات استطلاع المسلمين بالظهور خلف قوات الجيش الفارسي بعد عبوره لنهر العتيق في نقطة المخاضة وهذا ما ساعد على نشر الذعر والارباك والهزيمة في نفوس الجنود الفرس وساعدت على تسريع هجوم المسلمين وهذا يمثل ثمرة ايجابية للاستطلاع البعيد المدى ويعرف هذا النوع من الاستطلاع في الادبيات العسكرية المعاصرة بالاستطلاع العميق.

خريطة معركة القادسية راجع الملحق (ن) المرفق.

الاستطلاع في معركة نهاوند

الموقف العام

بعد انتصارات القوات الإسلامية على القوات الفارسية في ساحة العمليات في العراق. وهذا ما اضطر ملك الفرس (يزدجرد) للهرب إلى عمق اراضي فارس باتجاه اصفهان وهمذان ومن هناك ارسل الى الملوك وأهل الراي

في الاقاليم الفارسية (طهران) همدان واصـفهان وخراسـان وغيرهـا) وطلـب مـنهم جمع ما يستطيعون من المال والعدة والرجـال في نهاونـد. وفعـلا تجمـع الفـرس في نهاوند وعددهم نحو (150) مئة وخمسين الف وقد نصبوا على هذه الحشود اربعة من ملوك الاعاجم منهم (ذو الحاجب خزراد بن هرمز، وسفاد بن حشرو وخهانيـل بن فيروز وشروبيان بن اسفنديار) وقـد تعاهـد هـؤلاء عـلى اخـراج المـسلمين مـن الاقاليم التي تم فتحها ومن ثم الهجوم على عاصـمة الخلافـة الإسـلامية في المدينـة، وقد كتب عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنه وكـان حينهـا امير الكوفة: «يا امير المؤمنين ان اهل الري وسمنان وسادة وهمدان واصفهان وقـم وقاشان وفارس وكرمان قد اجتمعوا بارض نهاوند في خمسين ومائة الف وقـد امـرو عليهم اربعة من ملوك الاعاجم وانهـم قـد تعاهـدوا وتعاقـدوا وتحـالفوا وتكـاتبوا وتواصوا وتواثقوا على انهم يخرجونا من ارضنا وياتوكم من بعدنا وهم جمع عتيـد وباس شديد ودواب فره وسلاح شاك» وبعد ان وصلت المعلومات إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنه بدا يستشير الـصحابة وعـرض مقـترح مـؤداه ان يقـوم الخليفة رضي الـلـه عنه بقيادة الجيوش الإسلامية بنفسه وهذا كان راي عثمان بـن عفان رضي الـلـه عنه: «وانا اشـير عليـك ان تـسير انـت بنفـسك إلى هـؤلاء الفجـار بجميع من معك من المهاجرين والانصار فتحصد شوكتهم»[1] وكان راي الامـام عـلي رضي الـلـه عنه ان يبقى الخليفه في المدينة وان يكلف شخصا اخـر لقيـادة جيـوش المسلمين ضد الفرس لان الفرس سيقولون ان خليفة المسلمين قـد جـاء بنفـسه إلى المعركة لعدم وجود ما يكفي من الاتباع والانصار. «فـاقم بالمدينـة ولا تبرحهـا فـان أهيّب لك في عدوك وارعب لقلـوبهم، فانـك متـى غـزوت الاعـاجم بنفـسك يقـول بعـضهم لـبعض ان ملـك العـرب قـد غزانـا بنفـسه لقلـة اتباعـه وانـصاره فيكـون

(1) ابن الاعثم، الفتوح، المصدر السابق ج36/2

ذلك اشد لكلبهم عليك وعلى المسلمين، فاقم بمكانك الذي انت فيه وابعث من يكفيك هذا الامر»[1] وجاء راي الامام علي رضي الله عنه مطابقا لرأي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بعدها سأل الخليفة عمر رضي الله عنه الامام علي رضي الله عنه من يرشح قائدا لهذه المهمة. (يا ابا الحسن فاشر علي الان برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون اجعله اميرا واستكلفه من هؤلاء الفرس فقال الامام علي رضي الله عنه: النعمان بن مقرن المزني»[2] وقد وافق الخليفة على الراي وكتب إلى النعمان كتابا يدل على معرفة الخليفة عمر رضي الله عنه بالموقف من خلال معلومات وصلته وهذا يوضح مدى الاهتمام بالاستطلاع المسبق باية مهمة توكل إلى القوات الإسلامية. «إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك، اما بعد فانه قد بلغني ان جموعاً من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فاذا اتاك كتابي هذا فسر بامر الله وبعون الله وينصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولاتمنعهم حقهم فتكفرهم»[3] وهذا يظهر معرفة الخليفة عمر رضي الله عنه بطبيعة الارض في ساحة العمليات فحذر من السير في اراضٍ جبلية وعرة.

كما ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استنطق القائد الفارسي (الهرمزان) الذي كان موجودا في المدينة بعد جلبه اسيرا من العراق ومعاملته برعاية واحسان بعد ان طلب منهم الامان فساله عن رايه في افضل اسلوب لمقاتلة الفرس وما هو مقترحه بصدد ذلك، فاجاب الهرمزان ان للفرس راس وجناحان

---

(1) المصدر نفسه، ج38/2

(2) ابن الاعثم، الفتوح، المصدر السابق المصدر السابق، ج40/2

(3) الطبري،تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق،ج115/4

والراس في نهاوند مع بندار والجناحان فذكر مكانا اخر واشار الهرمزان بضرورة قطع الجناحين ليسقط الرأس، لكن الخليفة عمر رضي الله عنه انتبه بفطنته إلى خديعة الهرمزان التي هدف من ورائها إلى ايقاع المسلمين في فخ مهلك من خلال التضليل، لكن اكتشاف خليفةالمسلمين لهذه الخدعة وتكذيبه للهرمزان افشل نوايا هذا الفارسي اذ اجابه الخليفة رضي الله عنه «كذبت يا عدو الله فاني ساعمد إلى الراس فاقطعه فان قطعه الله لم يعص علي الجناحان»[1]

قوات الطرفين

كانت قوات الجانبين كما ياتي:

أ. المسلمون (30000) ثلاثون الف مقاتل بقيادة النعمان بن مقرن المزني)

ب. الفرس (150000) مئة وخمسون الف مقاتل بقيادة(الفيرزان)[2]

استحضارات المعركة

بعد ان اجتمعت جيوش المسلمين يقودها النعمان بن مقرن المزني باتجاه نهاوند، حيث جعل على المقدمة نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى القلب القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وارسل النعمان طليعة يقودها طليحة بن خويلد وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وعمر بن ابي سلمى ليستطلعوا أخبار الفرس وجمع المعلومات عن العدو والارض، فسارت الطليعة يوما وليلة فرجع عمرو بن ابي سلمى وعندما سئل عن سبب رجوعه قال:لم اكن في ارض العجم من قبل وقتلت أرض جاهلها

(1) المصدر نفسه، ج117/4

(2) ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح المصدر السابق ح2ص34 وص42

وقتل ارضا عالمها. وكذلك رجع عمرو بن معد يكرب وقال لم نر احدا وخفت ان يؤخذ علينا الطريق، اما طليحة فاستمر في مسيره ونفذ إلى العمق الفارسي حتى وصل نهاوند وتسلل إلى جموع جيش العجم ثم رجع واخبر النعمان بان ليس بينه وبين نهاوند شيء يعيق تقدمه. [1]

وفيما يخص الفرس فقد اكملوا استحضاراتهم وتحشد قواتهم وحصنوا في الخندق الذي قاموا بحفره ونثروا حسك الحديد والى مسافات بعيدة امام خنادقهم وقد ربط بعضهم ببعض بالسلاسل حتى لا يفروا[2]

سير المعركة

وقبل المعركة أرسل النعمان دورية استطلاع لجس مواضع العدو والتعرف على المقتربات التي تقود اليها وجمع المعلومات عن الخندق في هذه الاثناء توقف احد عناصر الاستطلاع بسبب عدم استطاعة فرسه من الحركة وبعد ترجله اصابته حسكة وعند فحص حوافر فرسه وجد حسكة اخرى عالقة بحافره فرجع واخبر النعمان بذلك[3] ونتيجة الخندق الذي تحصن به الفرس وحسك الحديد الذي نثروه وكذلك ربط جنودهم بالسلاسل، خشي النعمان ان تطول فترة حصار الفرس وبعد المناقشة بين القائد النعمان والقادة الاخرين من جيش المسلمين توصلوا إلى خطة تضطر الفرس على ترك خنادقهم ومن ثم الانقضاض عليهم بوساطة كمائن على الاجنحة وبذلك تحقق المخادعة والمباغتة المخادعة القائمة على كون جيش المسلمين ينفذ عملية انسحاب ومن

(1) ابن كثير، البداية والنهاية ح108/7
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ج4/ص119وص129
(3) ابن الاثير،الكامل في التاريخ ح5/3

ثم يقوم الجيش الفـارسي بتعقبـه ومطاردتـه لكـن لايلبـث الفـرس ان يتعرضـوا الى هجوم على اجنحتهم بعد تركهم لخنادقهم، وكان ذلـك راي طليحـة الاسـدي الـذي قال للنعمان: «انا ارى ان نبعث خيلا مؤدية فيحدقوا بهم، ثم يرموا لينشبوا القتال، ويحمــشوهم[1]فــاذا استحمــشوا واختلطــوا بهــم وارادوا الخــروج ارزوا[2] الينــا استطرادا، فان لم تستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، وآنا إذا فعلنـا ذلـك ورأوا ذلـك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكّوا فيها، فخرجوا فجادونـا وجاددنـاهم حتـى يقـضي اللـه فيهم وفينا ما احب»[3] وقد وافق النعمان وبقيـة القـادة المـسلمين عـلى راي طليحة الاسدي وتقرر تنفيذا الخطة الاتية:

أ. يقوم القعقاع عمرو وقائد قوة المقدمة ومعه قـوة مـن الفرسـان بتنظـيم الغارة على خنادق الفرس وبعد تحقيـق الاشـتباك معهـم يبـدا بعمليـة الانـسحاب للخلف وكانه في حالة هزيمة

ب. يقوم المـشاة بـاحتلال الاراضي ذات الاهميـة التعبويـة وتبقـى في هـذه المواضع حتى وصول القوات الفارسية وعندها تشتبك معها في معركة جبهوية.

ج. توزع قوة المسلمين الرئيـسة عـلى منـاطق مـستورة لحـين اعطـاء اشـارة الهجوم المقابل وبهذه تكون كمائن موقوتة.

د. وفي صباح اليوم الاتي اشتبكت قوة القعقاع بالفرس وبعد مدة وجيـزة بدأ القعقاع بالانـسحاب للخلـف والقتـال التراجعـي متظـاهرا بالانـدحار وظـنَّ

---

(1) يحمشوهم: يحفزوهم على القتال

(2) ارزوا: تعني ارجعوا افرادا في القتال الترجعي إلى منطقة خلفية يحتمون فيها

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك المصدر السابق ج130/4

الفرس ان المسلمين في هزيمة فبدأ جنودهم يخرجون من الخنادق يطاردون جيش المسلمين وكان الفرس ما زالوا مكبلين بالسلاسل وكل سبعة فيهم بسلسلة من حديد وقد نثروا حسك الحديد كي لا يفروا من ميدان المعركة. وبذلك نجحت المخادعة والمباغتة الإسلامية. ودارت معركة حامية، وحمل النعمان ومعه بقية المسلمين على الفرس وتكبد الفرس خسائر كبيرة وانهزم الجيش الفارسي. ومن جانب المسلمين استشهد القائد النعمان واخذ بعده الراية(حذيفة بن اليمان). وما أن حلَّ الظلام حتى اسرع الفرس في الهزيمة متكبدين خسائر فادحة نتيجة وقوعهم في النيران التي أوقدوها هم وكذلك نتيجة ربطهم بالسلاسل او وقوعهم في حسك الحديد المنشور خلف مواضعهم.[1] وسميت معركة نهاوند بفتح الفتوح او يوم فتح الفتوح[2]

الدروس المستنبطة من معركة نهاوند (فتح الفتوح)

ما ياتي اهم الدروس المستنبطة من معركة نهاوند والتي لها علاقة بالاستطلاع.

أ. رسالة عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي اخبره فيها بوصول الاخبار عن تحشد لقوات الفرس في نهاوند هي معرفة مبكرة عن نشاطات العدو وجاءت هذه المعركة من خلال المشاهدة وهذا اساسه الاستطلاع.

ب. قيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالاستفسار من القائد الفارسي (الهرمزان) والذي كان اسيرا في المدينة بعد جلبه من العراق هو جزء من عملية الاستطلاع المبكر ولان الاسرى دائما يمثلون مصدرا مهما لجمع المعلومات

(1) الطبري تاريخ الرسل والملوك،المصدر السابق ج130/4-133

(2) المصدر نفسه ج135/4

ورغم محاولة القائد الفارسي اخفاء الحقائق الا انَّ الخليفة عمر رضي اللــه عنه كشف نوايا ذلك الفارسي وتصرف بعكس نصيحته عندما استهدف الراس قبل الجناحين وبذلك خالف نصيحة القائد الاسير.

ج. قيام النعمان بن مقرن بارسال طليعة الاستطلاع منطقة نهاوند وحدود انتشار القوات. الفارسية، وقيام طليحة بن خويلد بالتسلل إلى اعماق المواضع الفارسية والرجوع إلى النعمان ليخبره بعدم وجود ما يعيق تقدم الجيش الاسلامي إلى نهاوند يعدّ عملا استطلاعيا رائعا جعل القائد النعمان يخطط للمعركة في ضوء هذه المعلومات

د. مما يدلل على اهتمام القائد النعمان بالاستطلاع قيامه بارسال دورية استطلاع للتعرف على مواضع العدو الفارسي وجمع المعلومات وهناك وجدت دورية الاستطلاع ان الفرس يتحصنون بخندق واحد وانهم قاموا بنشر حسك الحديد امام مواضعهم، وكان هذا مفاجئة لجيش المسلمين الذين لم يعرفوا ذلك قبل عودة هذه الدورية

هـ. تنفيذ عملية المخادعة والمباغتة من الجيش الإسلامي بنصيحة من طليحة بن خويلد وموافقة النعمان عليها يدلل ان المعلومات والخبرة المكتسبة لطليحة. وهي جزء من عمليات الاستطلاع المستندة على المعلومات المسبقة في الوقت نفسه تمثل ضعفا في جهاز استطلاع العدو الذي لم يحلل ويكتشف الغاية من العملية التي قادها القعقاع فوقع الفرس في فخ مهلك.

خريطة معركة نهاوند[1]

(1) ينظر: الملحق (س) المرفق.

فتح مصر

الخلفية التاريخية:

1. كانت مصر احد الولايات الرومانية، وتدين بالدين الوثني الى ان ولد المسيح عليه السلام في عهد الامبراطور (اغوسطس قيصر) مؤسس الامبراطورية الرومانية، على اثر انتصاره على جيوش انطونيوس وكليوباطرة (31 ق. م). فأخذ الاباطرة الرومان يصبون جام غضبهم على الوثنيين الذين اعتنقوا هذا الدين الجديد وظلوا على ذلك الى ان اعترف الامبراطور قسطنطين (306 – 337م) بالدين المسيحي.[1]

وقد فرض على المصريين ايواء الموظفين والعسكريين من الرومان وتقديم ما يحتاجون وتهيئة اسباب الراحة لهم وحتى وصلت الحالة الى تقديم الطعام للجنود وقد أدت هذه الاعباء الى سخط المصريين على الحكم الروماني، كما ان الاختلافات الدينية هي الاخرى قد مهدت السبيل لاستيلاء الفرس على مصر فترة من الزمن ثم، لاستيلاء العرب عليها، وقد سمع المصريون بحسن سيرة العرب في البلدان التي فتحوها، وتمنوا ان يكون خلاصهم من ظلم الروم على يد المسلمين [2].

2. كان عمرو بن العاص قد دخل مصر في الجاهلية وعرف طرقها وكان سبب دخول عمرو بن العاص لمصر ان عمرواً قد قدم الى بيت المقدس للتجارة

(1) حسن ابراهيم، الدكتور، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مصدر سابق، ج225/1.

(2) المصدر نفسه، ص226-227.

ومعـه مجموعـة مـن قـريش فـالتقى بـشماس[1] مـن شماسـة الـروم ومـنهم اهـل الاسكندرية جاء للصلاة في بيت المقـدس وحـدث لهـذا الـشماس ان خـرج يتجـول وكان عمرو يرعى الابل في المنطقة فمر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شـديدفي يوم شديد الحر فسقاه عمرو الماء حتى روي ثم نام الشماس في مكانه، وكانـت الى جنب الشماس حفرة خرجت منها افعى عظيمة، قام عمرو بقتلها.

ولما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمـة مقتولـة جنبـه[2]، فـسال عمـرواً وأخبره بما حدث، فما كان مـن الـشماس الا ان يقبـل رأس عمـرو ويقـول: «أحيـاني اللـه بك مرتين، مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية» [3].

وجه الشماس دعوة الى عمرو لزيارة مصر والمدينة التي يعـيش فيهـا وهـي الاسكندرية، وبعد ان اخذ عمرو العهد والميثاق من الشماس ورافقه الى الاسكندرية ومكث في مصر شـهراً وكـان معـه رجـلاً مـن جماعتـه (عمـرو)، وعنـدما انتهـى الى الاسكندرية رأى عمرو ما اعجبه من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الاموال، وعنـد رجوع عمرو وصاحبه ارسل الـشماس معهـما دلـيلاً ورسـولاً حتـى وصـلا اصـحابهم وبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها [4].

---

(1) الشماس، من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه فيلزم البيعـة، ابـن منظـور، لـسان العـرب، ج114/6.

(2) ابن عبد الحكم، ابي القاسم عبد الرحمن عبد اللـه (ت. 257هـ 871م) فتـوح مـصر واخبارهـا، طبع مدينة ليدن المحروسة، مطبعة بريد 1920م (مسيحية) ص53

(3) المصدر نفسه ص54

(4) المصدر نفسه ص55.

فكرة فتح مصر

3. تفيد بعض الروايات ان عمرو بن العـاص قـد ذهـب تلقـاء نفـسه لفـتح مصر من دون ان يستأذن الخليفة عمر بنالخطاب رضي اللـه عنه، وكان مع عمـرو بن العاص ثلاثة الاف وخمسمائة، فغضب الخليفة رضي اللـه عنه لذلك وكتب اليه يوبخه ويعنفه وامره بالرجوع الى موضعه ان وصله كتابه دون مصر فـورد الكتـاب عليه، وهو بالعريش ويقال ان الخليفة عمـر رضي اللــه عنـه كتـب الى عمـرو بـن العاص يأمره بالشخوص الى مصر فوافاه كتابه وهـو محـاصر قيـسارية وكـان الـذي حمل اليه الكتاب هو «شريك بـن عبـدة فأعطـاه الـف دينـار فـأبى شريـك قبولهـا وطلب منه ان يستر ذلك ولا يخبر الخليفة عمر رضي اللـه عنه » [1] .

4. يقال لما قدم الخليفة عمر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه الى الجابيـة [2] استأذنه عمرو ابن العاص للسير الى مصر وحرضه عليها وقال «إنك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي اكثر الارض اموالاً واعجزها عن القتال والحرب»[3].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه حذراً مـن موضـوع زج الجـيش الاسلامي في عمليات مصر خوفاً عـلى ارواح المـسلمين ومـمازاد في ذلـك الحـذر مـشورة عثمان بن عفان رضي اللــه عنـه الى الخليفـة الـذي ذكـر ان عمـرو بـن العـاص يحـب المغامرة ويحب الجاه والـسلطة وان الحاحـه عـلى فـتح مـصر قـد يعـرض المـسلمين الى

(1) البلاذري، فتوح البلادن، المصدر السابق، ص214.

(2) الجابية، الحوضة الذي يجبى فيه الماء للابل وهي قرية من اعمال دمشق، ينظر ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج3/2

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، المصدر السابق، ص56.

الهلاك، اذ قال عثمان «يا أمير المؤمنين ان عمرو لمتجرو وفيه اقدام وحب الامارة فأخشى ان تخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة تكون ام لا»[1].

5. وهناك فيمن يقول ان عمرو بن العاص قد تحرك باتجاه مصر بعد ان رجع الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه الى المدينة، حتى انتهى الى باب اليون واتبعه الزبير بن العوام فأجتمعا [2]، ومهما تعددت الروايات واختلفت تفاصيلها فان الباحث يرى ان عمرو بن العاص كان متحمساً للأندفاع باتجاه مصر، وانه كان يسعى بكل الوسائل إقناع الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه بفتح مصر، بينما كان الخليفة رضي اللـه عنه كثير الحذر والحيطة للذهاب في هذا المشروع خوفاً وحرصاً على ارواح المسلمين.

مراحل فتح مصر

من وجهة النظر العسكرية يمكن تقسيم مراحل فتح مصر الى ما يأتي.

1. التقدم من فلسطين الى مصر وبينما هو بين رفح والعريش وصله كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه فسأل عنها فقيل له من مصر فحبس الكتاب ولم يقرأه حتى بلغ العريش ولما كانت العريش من مصر فأن ذلك مطابقاً لتوجيه القائد العام الذي مقره المدينة المنورة فواصل مسيرته داخل الاراضي المصرية من العريش على رأس قوة صغيرة على الطريق القديمة التي تمر عليها القوافل منذ أقدم العصور من فلسطين الى مصر وقد سجلت هذه الطريق مرور جيوش ضخمة للفراعنة وهي تسير في طريقها الى الشام للقيام بحملاتها الحربية كما

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، المصدر السابق ص57.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق ج107/4.

سار عليها ملوك بابل واشور والفرس والاسكندر المقدوني وبومبي الروماني لفتح مصر. ومما يجلب الانتباه ان جميع هذه الجيوش التي مرت على هذه الطريق منذ القدم والتي قادها كبار الملوك والفاتحين كانت جيوش ضخمة عظيمة اذا ما قورنت بهذه القوة الصغيرة التي يقودها عمرو بن العاص والتي تضم ثلاثة الاف وخمسمائة من البدو مع جمالهم وجيادهم [1].

وفي رأي الباحث ان الايمان العالي ومبادئ الدين الاسلامي وحب التضحية من أجل جعل كلمة الله هي العليا كانت القوة الكامنة لهذه القوة الصغيرة المؤمنة بنصر الله العزيز.

معركة الفرما

2. عند وصول عمرو بن العاص مدينة الفرما، والفرما مدينة محصنة منيعة وتسيطر على الطريق الرئيس الممتد الى مصر وهي تقع قرب بور سعيد الحالية وهي تعد من الحصون الامامية في خط الدفاع عن مصر، وقد سبق للفرس ان خربوها عندما احتلوا مصر عام (616م) ولم يعمل الروم على ترميمها. وهذا ما ساعد العرب على الاستيلاء عليها بسهولة واستطاعوا تدمير اسوارها وحصونها وتقدموا منها دون ان يتركوا اية حامية فيها تحمي خطوط مواصلاتها مما يدلل على عدم مقاومة اهلها [2].

(1) جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، تعريف خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد (بلا ت)، ص397.

(2) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، المصدر السابق ص128.

وقد سلك عمرو بن العاص من الفرما الى مدينة مصر (منف) طريقاً صحراوياً لم يسبق للفاتحين الاوائل سلوكه وهو طريق الفرما – مجدل – القنطرة – الصالحية – التل الكبير – بلبيس[1] – منف.

وكان الغرض من سلوك هذه الطريق تجنب الموانع المائية والاراضي الزراعية في الدلتا وتأمين مباغتة الروم بسلوك طريق غير متوقع، مستفيداً من قابلية حركته وصغر جيشه وتعودهم على العمل في الاراضي الصحراوية وتحمل مشاقها مفضلاً الابقاء على مواصلاته مفتوحة مع الجزيرة العربية التي يأمل في وصول النجدات منها [2].

معركة بلبيس

3. وعندما مر العرب على مقربة من المكان الذي تقوم عليه الان بلدة التل الكبير وصلوا بلبيس حيث اشتبكوا في معركة ناجحة مع قوة من الروم يقودها «ارطبون» الذي كان فيما سلف حاكماً عسكرياً لمدينة القدس. ولكن الزحف تعطل شهراً أخر قضاة العرب في احتلال بلبيس «وكان المقوقس بطريريق مصر الروماني حاكمها أبانه قد وصل ميدان القتال مصطحباً معه«يتودور» القائد العام للقوات البيزنطية في مصر حيث تحصنا في قلعة بابل او حصن «بابليون» [3] وفي معركة بلبيس فر «أرطبون» هارباً من ارض المعركة بعد ان ترك «100» قتيل و «3000» اسير [4].

---

(1) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ج712/1.

(2) جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، الم7صدر السابق، ص397.

(3) المصدر نفسه، ص398.

(4) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، المصدر السابق، ص129.

معركة بابليون

4. بقـي الـروم متحـصنين في حـصن «أم دنـين» و «بـابليون» ولم يـستثمروا تفوقهم العددي الساحق بأخـذ المبـادءة مـن الجـيش العـربي الـصغير وتـدميره، اذ بقيت اثار الصدمة التي اصابتهم في معركة «بلبيس» وكانت «أم دنـين» تقـع محـل حديقة الازبكية الحالية في القاهرة بينما كان حصن بابليون في محل مـصر القديمـة اليوم، وبابليون حصن روماني يقع قرب الكنيـسة المعلقـة في مـصر القديمـة سـماه العرب «قصر الشمع» يحيط به سـور بارتفـاع (60) قـدم وبـسمك (18) قـدم وفيـه عدد من الابراج في جهته الجنوبية والشرقية أما الجهة الغربيـة فكانـت قائمـة عـلى النيل وفيها باب حديديـة ترسـو عنـدها الـسفن ويهـبط منهـا درج الى النهـر. والى الغرب من الحصن كانت تقع جزيرة الروضة في وسط النيل، عليه قنطرة متحركة لا يستطيع فتحها او تحريكها الا من الداخل وكانت في الحصن حاميـة قويـة مكتفيـة ذاتياً تستطيع الصمود لمدة طويلة دون ان تحتـاج الى الغـذاء او المـاء مـع امكانيـة امداداها بالاحتيجـات الادارية عـن طريـق نهـر النيـل [1] لم يـتمكن عمـرو بقوتـه الصغيرة وافتقاره الى معدات حروب الحصار من محاصرة حصن بابليون والاسـتيلاء عليه ويبدوا انه ظل يشتبك في خارج القلعة مع الروم عدة اسـابيع دون ان يحقـق أي نجاح ولكن يبدو انه استطاع اخيراً ان يحتل مركزاً أمامياً الى الشمال من الحصن يسمى «ام دنين» وكان يؤلف ميناء مدينة مصر على النيل [2].

---

(1) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، ص130.

(2) جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، المصدر السابق، ص400.

وأصبح موقف عمرو بن العاص حرجاً، فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه يطلب منه ان يمده بقوات، فوجه اليه (4000) اربعة الاف مقاتل وكتب اليه انه قد صير على كل الف رجل رجلاً يقوم مقام الف رجل منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة ومسلمة بن مخلد[1]. وهناك من يقول ان عدد المقاتلين مع الزبير بن العوام كان (12000) الف مقاتل[2]، وبعض الروايات تقول كانت القوة مع الزبير بن العوام (8000) مقاتل [3].

أما رأي الباحث فهو يؤيد الرأي القائل ان القوة مع الزبير بن العوام كانت (4000) مقاتل وذلك للأسباب الاتية التي اولها ان هذا العدد مقارب لاعداد المقاتلين في النجدات السابقة في معارك اليرموك والقادسية ونهاوند وثانيها ان تأليف قوة صغيرة للنجدة لا تحتاج الى متطلبات ادارية في الطعام والشراب ووسائل التنقل مثل ما تحتاجه قوة كبيرة عليها ان تسير في الصحراء فضلاً ان كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه الى عمرو بن العاص انه «قد صير على كل الف رجلاً يقوم مقام الف رجل منهم [4]

خطة العرب في معركة بابليون

5. استطاعت عناصر جيش عمرو بن العاص الحصول على معلومات تفيد ان تيودور «قائد الروم قرر الخروج من حصن بابليون والهجوم على

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج138/2.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص215.
(3) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، ص131.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج138/2.

معسكر العرب في عين شمس»[1] في اليوم التالي فوضع عمرو خطتـه في ضـوء هـذه المعلومات التي تقوم:

أ. ارسال قوة مـن (500) مقاتـل الى الجنـاح الايـسر لنـصب كمـين للـروم في مغارة بني وائل عند قلعة الجبل .

ب. نصب كمين ثاني مؤلف من (500) مقاتل الى الجناح الايمن قـرب حـصن ام دنين.

ج. يتقدم الجيش بقيادة عمرو بن العاص الى الامام وحتى منتصف الطريق بين عين شمس وبابليون (محل العباسـية) اليـوم في القـاهرة وينتظـر تقـدم الـروم عليه.

د. حال ما يشتبك الجيش الذي يقوده عمرو مع الروم يقوم الكمينـان عـلى الجناح الايمن والجناح الايسر بمباغتة الروم [2].

سير المعركة

التقى الجيشان بعد ان خرج جيش الروم من البساتين الواقعـة الى الـشمال الشرقي من الحصن واخذ يزحف عبر الصحراء المكـشوفة وخـرج في الوقـت نفـسه تحرك الجيش العربي، وهذا ما يدلل على وجود معلومات دقيقة لدى العـرب حـول نوايا الروم في الهجوم على الجيش العربي، وكان ذلك في منتصف تموز (640م).

---

(1) عين شمس، اسم مدينة فرعون مصر موسى بمـصر بينهـا وبـين الفـسطاط ثلاثـة فراسـخ. يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ج712/3.

(2) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة، ص134.

وبعد التحام الجيشين سرعان ما وقع قتال قريب عنيف بالايدي، وفجأة ظهر الكمين الشرقي العربي وهاجم افراده مؤخرة الروم، وقد وجدت عناصر الجيش الرومي نفسها في وسط هجوم عليها من المقدمة والمؤخرة، فعمت الفوضى في صفوف الروم واخذوا ينفدعون نحو الجيش العربي ليشكلوا جبهة جديدة ضد القوتين العربيتين المهاجمتين، لكن سرعان ما ظهر الكمين الغربي العربي واندفع رجاله في هجوم عنيف على الجناح البيزنطي الايسر وهنا دب الذعر في صفوف جيبش الروم باكمله.

وانتشرت الفوضى وراح البعض من الروم يطلب الامان في قلب القلعة فراراً من القتل الذي كان يصيب الكثيرين على أيدي المسلمين، وتمكن ثيودور نفسه من الافلات[1].

7. انسحبت فلول جيش الروم الى داخل حصن بابليون واغلقت ابوابه عليها، ولما أصبح الميدان قد خلا الان من أي جيش معاد فقد تمكن المسلمون من ان يحرثوا الارض وان يجمعوا الارزاق والغنائم. وقد تخلت القوات الرومانية التي كانت قد دافعت بنجاح عن الفيوم قبل مدة قصيرة امام قوات عمرو بن العاص عن المنطقة كلها واستقلت المراكب في نهر النيل فمرت بحصن بابليون ولجأت الى بلدة (زاوية السين) الواقعة على بعد خمسة واربعين ميلاً الى الشمال من القلعة ودفع عمرو بن العاص على الفور بقوة احتلت الفيوم عنوة وبذلك خضعت المنطقة بكاملها الى العرب دون مقاومة [2].

(1) جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص406.

(2) المصدر نفسه، ص406.

وطال الحصار على حصن بابليون، واخذ نهر النيل بالفيضان وامتلأ الخنـدق حول الحصن بالماء وصار امر مهاجمته متعذراً، وبات العرب ينتظرون انخفاض الماء بفارغ الصبر ولما يئس المقوقس من وصول النجدات اليـه قـرر الـدخول بمفاوضـات مع عمرو بن العاص فأرسل وفداً لهذا الغرض وعادا الوفد حـاملاً رد القائـد العـربي الذي صالح المقوقس بموجبه عمرو بن العاص على دينارين لكل رجل [1].

فتح الاسكندرية

8. بقي العرب في حصن بابليون يعيدون تنظـيم قـواتهم وارسـل عمـرو بـن العـاص رسـالة الى الخليفـة عمـر بـن الخطـاب رضي اللـــه عنـه يـستأذنه بفـتح الاسكندرية، فكتب اليه يامره بذلك فسار اليها عمرو بن العاص في (641م) [2].

وكان من دون الاسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له وكانوا يخططون لغزو الجيش العربي بالفسطاط قبل ان يصل الاسكندرية.

تقدم عمرو بن العاص ولقي الجيش الرومي في (الكريون) قبل الاسـكندرية فهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً [3].

واستمر القتال بالكريون عشرة ايام كانت كفة الروم راجحـة في اليـومين الاولين حيث استماتوا في الدفاع عن مواقعهم، واصر العـرب عـلى انتـزاع النـصر في الوقت الذي اخذت فيه (معنويـات) الـروم تنهـار ومعنويـات العـرب تقـوى فحملوا بشدة وضايقوا الروم مصممين على النصر أو الشهادة فأنهـارت مقاومـة

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج138/2.
(2) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة ص138.
(3) البلاذري، فتوح البلدان ص232.

الروم أمام هجوم الجيش العربي هذا الهجوم الساحق الذي جعل الروم يهربون الى الاسكندرية. تاركين قتلاهم في ميدان المعركة. بعدها حاصر عمرو بن العاص الاسكندرية واراد استثمار حالة الانهيار لدى الجيش الرومي بعد معركة الكريون والهجوم على الاسكندرية بسرعة. كان البحر يحمي الاسكندرية من الشمال وبحيرة مريوط من جنوبها وترعة الثعبان من الغرب وكان الطريق الوحيد للاقتراب الى الهدف من الشرق[1] وظل عمرو بن العاص وجنوده يردون غارات الاعداء نحواً من اربعة اشهر وهذا ما أقلق الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه فبعث الى عمرو كتاباً يلزمه فيه هو والمسلمين[2].

وورد في الكتاب «اما بعد فقد عجبت لابائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذلك الا ما احدثتم وأحببتم من الدينا ما أحبب عدوكم وان اللـه تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر واعلمتك ان الرجل مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا غيّرهم ما غير غيرهم فاذا اتاك كتابي هذا فأخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعاً ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فأنها ساعة تُنّزل الرحمة ووقت للاجابة وليعجّ الناس الى اللـه ويسئلوه النصر على عدوهم» [3].

---

(1) صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة ص139.

(2) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ج1/ 242.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص79.

قرأ عمرو كتاب الخليفة رضي اللـه عنه على جنوده واستشار القادة الـذين بأمرته وقرر الجميع شن هجوم شامل على المدينة وكان ذلـك يـوم الجمعـة بدايـة محرم سنة 20 هـ وبعد قتال عنيف استخدم فيه العرب السلالم والحبـال في تـسلق اسوار الاسكندرية تمكنوا من دخولها واستسلمت المدينة في النهاية [1].

لقد جعل عمرو بن العاص أهل مصر ذمة على ان يخرج من يخـرج ويقـيم منهم من يقيم بأختيارهم شأن العرب مع اهالي معظم الـبلاد التـي فتحوهـا، وقـد عامل عمرو المصريين معاملة من فتحت بلادهم صلحاً ليكسب محبتهم.

ويتلخص الصلح الذي عقده المقوقس مع عمرو بن العاص كما يأتي:

أ. ان يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين في كل سنة.

ب. المهادنة احد عشر شهراً.

ج. احتفاظ العرب بمراكزهم مـدة الهدنـة والا يبـاشروا اعـمالاً حربيـة ضـد الاسكندرية وان يكف جند الروم عن الاعمال العدائية.

د. الا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء والا يتدخلوا في أمور المسيحين.

هـ. ان ترحل الحامية التي بها مع ما يملكون من اموال وامتعة وان يـدفعوا الجزية عن شهر عند رحلتهم.

و. بقاء اليهود في الاسكندرية.

ز. الا يعود او يحاول استرداد مصر جيش رومي.

---

(1) صبحي عبد الحميد، معاركم العرب الحاسمة، ص140.

ح. ان يكون عند المسلمين من الروم 150 جندياً و 50 ملكيـاً رهينـة لتنفيـذ هذه المعاهدة[1].

معاملة العرب للمصريين

9. لقد عامل العرب الاقباط معاملة طيبة وخيروهم بين الاسلام والبقاء عـلى دينهم «فمن اسلم منهم صار له وما للمسلمين من حقـوق وعليـه مـا علـيهم مـن واجبات ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها دينـاران عـلى مـن بلغ الرشد، واستثنوا النساء والشيوخ والاطفال، فضلاً عن رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحميلهم ما لا يطيقون، وبهذه الطريقة اتيح لعمرو بن العاص تنفيـذ اوامـره عـلى ابسط طريقة في اكتساب محبتهم فأطاعوه واحبوا ولايته.

واطلق العرب الحرية الدينية للاقباط، يؤيد ذلك ما قام به عمرو بن العاص بعد استيلائه على حصن بابليون اذ كتب بخط يده عهداً للأقباط بحماية كنيـستهم ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على اخراجهم منها، وكتب اماناً للبطريـق بنيـامين ورده الى كرسيه بعد ان تغيب عنه زهـاء ثلاثـة عـشر سـنة، وامـر عمـرو باسـتقبال بنيامين عندما قدم الاسكندرية[2].

الدروس المستنبطة من معارك فتح مصر

1. لقد أثرت رحلة عمرو بـن العـاص الى مـصر قبـل الاسـلام والتـي كانـت بـدعوة الـشماس الـذي التقـاه عمـرو في بيـت المقـدس وانقـذه مـن تلـك الافعـى التي كانت تسعى لقتله. وخلال بقـاء عمـرو في مـصر تعـرف عـلى اهلهـا وطرقهـا

(1) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ص242.

(2) المصدر نفسه، ص243

ومداخلها ومخارجها وهذه الفعالية عملية استطلاعية جديرة بالاهتمام ساعدت القائد عمرو في فتح مصر وغرست في نفسه حب مصر والعمل على العودة اليها واقناع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في اتخاذ قرار فتح مصر.

2. ارسل الشماس مع عمرو دليلاً ليقوده الى بيت المقدس وخلال هذه السفرة سنحت الفرصة لعمرو ان يكون صورة واضحة عن الطريق وطبيعة الارض من خلال الاستفادة من الدليل الذي يعد عنصراً اختصاصياً له خبرة بالاستطلاع ومعرفة الارض.

3. ان التقليد السوقي الذي اتبعه العرب في حروبهم السابقة كافة هو أخذ المبادأة من عدوهم من خلال تطبيق مبدأ التعرض وعدم اعتماد مبدأ الدفاع الجامد.

4. كان عمرو بن العاص متلهفاً وجريئاً لفتح مصر وهذا متأتي من حبه للمغامرة وثقته بتحقيق هذا الهدف في الوقت نفسه ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حذراً كل الحذر في موضوع الموافقة للاندفاع داخل مصر بسبب حرصه الشديد على ارواح المسلمين.

5. عند وصول النجدات التي كان يقودها الزبير بن العوام الى ضفة نهر النيل الشرقية ووجود قوة عمرو بن العاص على الضفة الغربية. كانت الفرصة ذهبية امام تيودور لتحطيم جيش الزبير قبل ان يلتحق بجيش عمرو بن العاص، لكن جمود القائد الروماني وبقاءه في قلعته الى ان تمكن عمرو من عبور النهر والانضمام الى الزبير في معسكر عين شمس.

6. تجسدت قمة الاعمال الاستطلاعية بالمعلومات التي حصلت عليها عناصر الاستطلاع في جيش عمرو بن العاص عن نية القائد الروماني تيودور

للخروج من الحصن (حصن بابليون) ومهاجمة الجيش العربي في معسكره في عين شمس وبهذا المعلومات قام الجيش العربي بالتهيؤ والاستعداد وافشال المباغتة التي كان القائد الروماني يعول عليها.

7. كانت معنويات الجيش الرومي متدنية جداً اذ حطمتها الانباء التي وصلتهم عن بسالة العرب الذين هزموا جيوش امبراطوريتي بيزنطة وفارس.

8. كانت خطة الجيش العربي في نصب كمينين احدهما في الجناح الشرقي والاخر في الجناح الغربي على طريق تقدم الجيش الروماني عملاً بارعاً اساسه الاستطلاع الناجح القائم على معرفة نوايا العدو المستقبلية وقد حقق الكمينان مباغتة اذهلت الجيش الرومي اذ وجد هذا الجيش نفسه يقاتل على ثلاثة جهات في وقت واحد.

9. كان عمرو بن العاص يعتمد على الطلائع التي تسبق القسم الاكبر من الجيش فعند زحفه باتجاه الاسكندرية اشتبكت طليعة الجيش العربي مع قوة بيزنطية ضخمة وهذا ليس من واجبها لان واجب الطليعة الحصول على المعلومات ومن دون الدخول في معركة مع قوات العدو وهذا ما اضطر عمرو على استخدام القسم الاكبر من اجل فك الحصار عن طلائعه وقد اطلق العرب على التل الذي صمدت فيه الطلائع العربية اسم كوم شريك نسبة الى قائد تلك الطليعة (شريك بن الحارث) [1].

10. نجح العرب في كسب حب اهل مصر من خلال اسلوب التعامل اللين معهم ومنحهم الحرية الدينية وهذا اساسه معرفة الظروف المحلية لسكان

---

(1) جون باجوت غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص420، 421.

مصر وهذا متأتي من الاستطلاع الجيد القائم على المعرفة المبكرة بالارض وسكانها.

11. الجانب الروحي كان قوياً في نفـوس جنـود الجـيش الاسـلامي ويظهـر ذلك واضحاً بعد ان وصل كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه الى عمرو بن العاص يعاتبه فيه على التباطئ في حسم موضوع الاسـكندرية ويطلـب منـه ان يقرأ كتابه (الخليفة) على الجند وهذا ما اجج الحماس في نفوس المقاتلين ودفعهـم الى الانطلاق باتجاه الهدف وتحقيق النصر النهائي.

خريطة فتح مصر [1]

(1) ينظر الملحق ف المرفق

الخاتمة

تناولت هذه الاطروحة الاستطلاع ودوره في التاريخ العربي والاسلامي وبشكل خاص في العهد النبوي والعهد الراشدي من حيث الجانب التطبيقي الذي يثبت قدرة العقل العربي والاسلامي وابداعه في النشاط الاستطلاعي. وقد ساعدت البيئة الصحراوية العربية على رفع مستوى العربي في هذا المجال.

لقد أولى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الاستطلاع وجمع العلومات أهميةً عاليةً من خلال ممارسته صلى الله عليه وسلم مع الصحابة الكرام اذ خلق منهم رجالا متمرسين في الاستطلاع وجعلهم ذوي حس استطلاعي متطور اساسه الايمان الخالص للدين الجديد القائم على إعلاء كلمة«لا اله الا الله محمد رسول الله) وكان دستور المسلمين هو كتاب الله العزيز الحكيم القرآن الكريم. واعتمد صلى الله عليه وسلم مبدا الشورى مع الصحابة الكرام وهو يضع امام عينه صلى الله عليه وسلم في المعارك مبدا«الرأي والحرب والمكيدة».

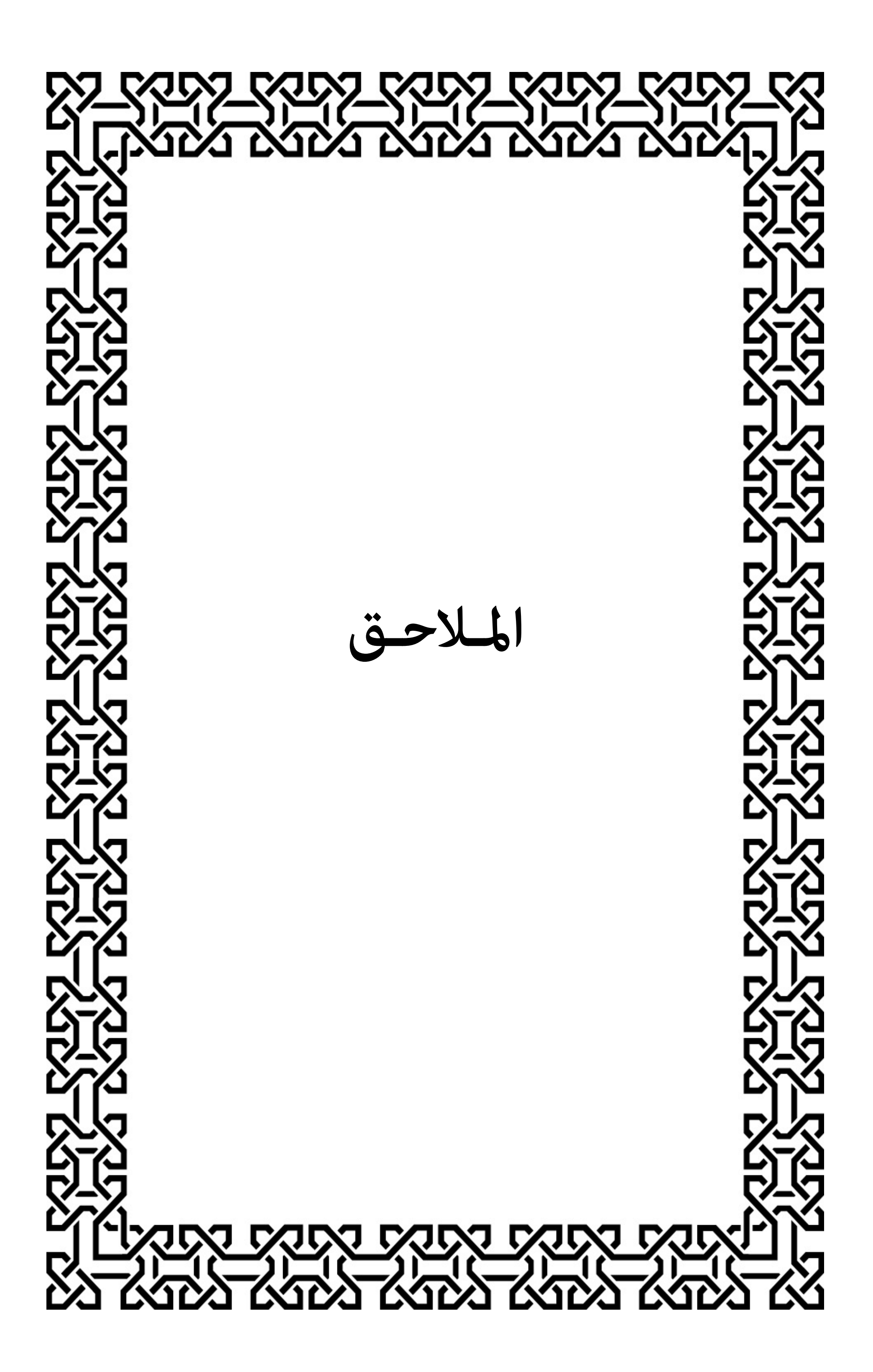
لقد اظهر القادة العرب المسلمين ابداعات أغنت الفن الحربي الانساني بزيادات مهمة على المستوى الستراتيجي والتعبوي كانت من نتائجها هزيمة اعظم امبراطوريتين تسودان العالم، الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية. لقد كانت وصايا الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من بعده إلى القادة ا المسلمين الميدانين دليل عمل يتقيدون به في ممارستهم

الحربية ضد اعدائهم. فكانت ابداعاتهم تمثل قمماً في الفن الحربي العالمي كتلك المسيرة الستراتيجية التي قطع فيها القائد خالد بن الوليد بادية الشام مستندا في ذلك على دليل بارع هو رافع الطائي الذي يمثل بدوره عنصر استطلاع متميز استطاع ان يسير بجيش خالد بن الوليد من العراق إلى الشام بنجاح قاطعا بادية الشام من خلال طريق لم يرصده العدو رغم كونه الطريق الاقصر.

وفي معركة نهاوند ومعارك فتح مصر ولا سيما في معركة بابليون كانت هناك ممارسات استطلاعية كانت لها الدور الاكبر في دحر العدو بشكل كامل اذ كان تصميم المسلمين لهاتين المعركتين نهاوند وبابليون يتلخص في استدراج العدو بأخراجه من حصونه وخنادقه من خلال التظاهر بالانسحاب او الهزيمة أمامه بهدف جره الى أرض القتل المختارة بعد ان يتموا صده وحصره ومن ثم توجيه الضربة القاصمة له. ويعتقد الباحث ان هذه الفكرة العسكرية الفذة لها صلة بأسلوب العرب في الحرب في حينه والقائم على عمليات الكر والفر المتأتي من حياتهم الصحراوية وعدم رغبتهم في حبس انفسهم في الخنادق والحصون وهذا مطابق لما يعرف حالياً بفكرة الدفاع السيار والتي يمكن تلخيصها بتنفيذ سلسلة من حركات الصد والحصر توخياً لتوجيه العدو الى أرض القتل المنتخبة ثم الاجهاز عليه تماماً من اكثر من اتجاه.

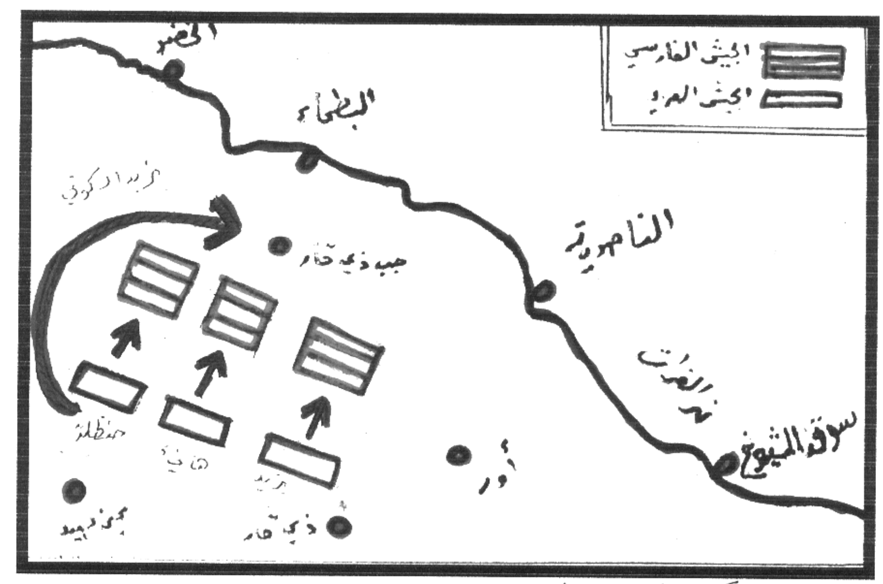
أملي بالله عز وجل ان اكون قد وفقت في هذا البحث خدمة للتاريخ العربي والاسلامي بكل صفحاته المشرقة.

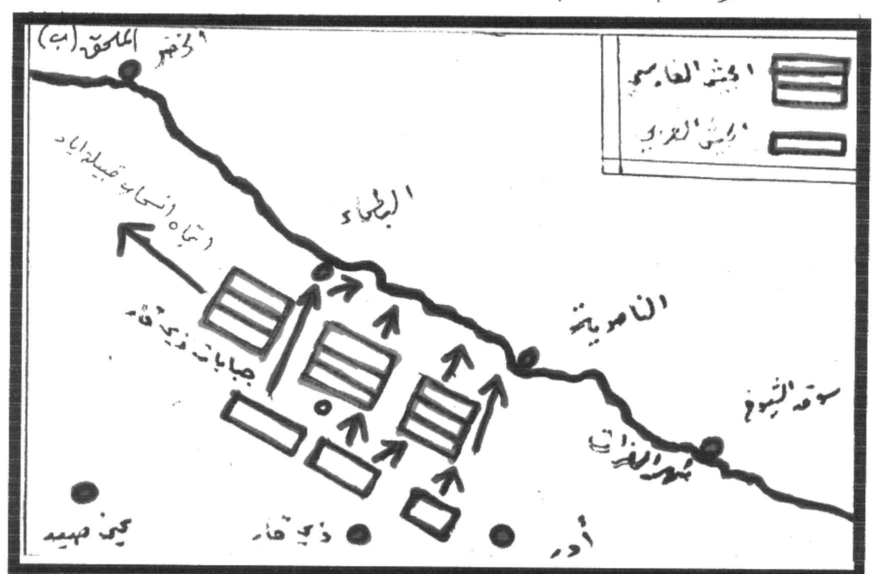
والله الموفق للرضى في الآخرة والأولى.



الملاحق

معركة اليوم الأول – في ذي قار   الملحق (أ)





معركة اليوم الثاني – في جبابات   الملحق (ب)

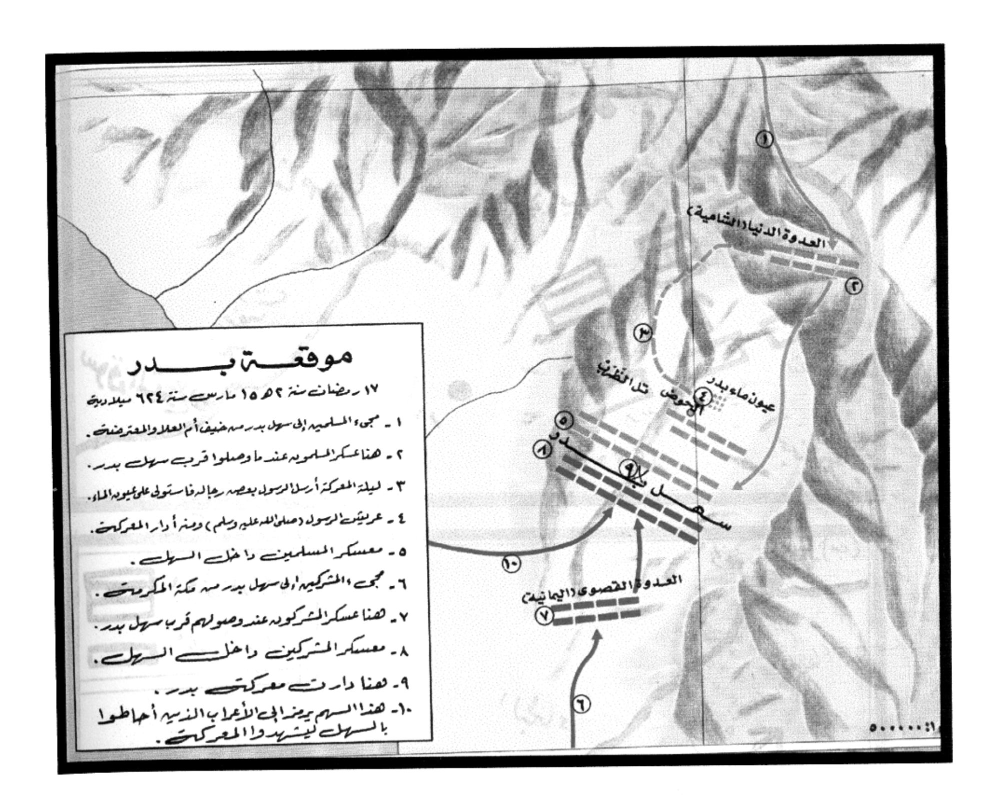
المصادر :

١- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢/٢٠٧-٢٠٩

٢- صالح مهدي عماش من ذيقار الى القادسية ص٥٣

معركة بدر الكبرى

ترتيب قوات الطرفين وموقع المعركة الملحق (ج)



المصادر :

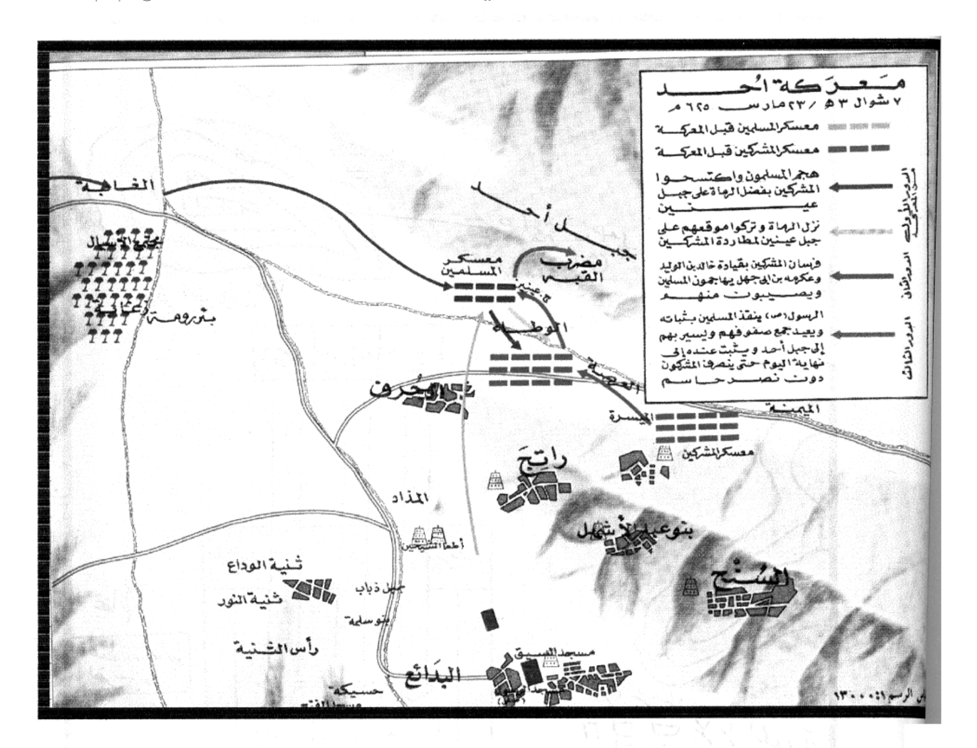
حسين مؤنس اطلس تاريخ الاسلام خريطة ٤٤ ص٦٨.

الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص١٣١.

ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٠١ وما بعدها

الوادين، المفاوضات ج١ ، ص٥٠ وما بعدها

الملحق (د) خارطة معركة احد

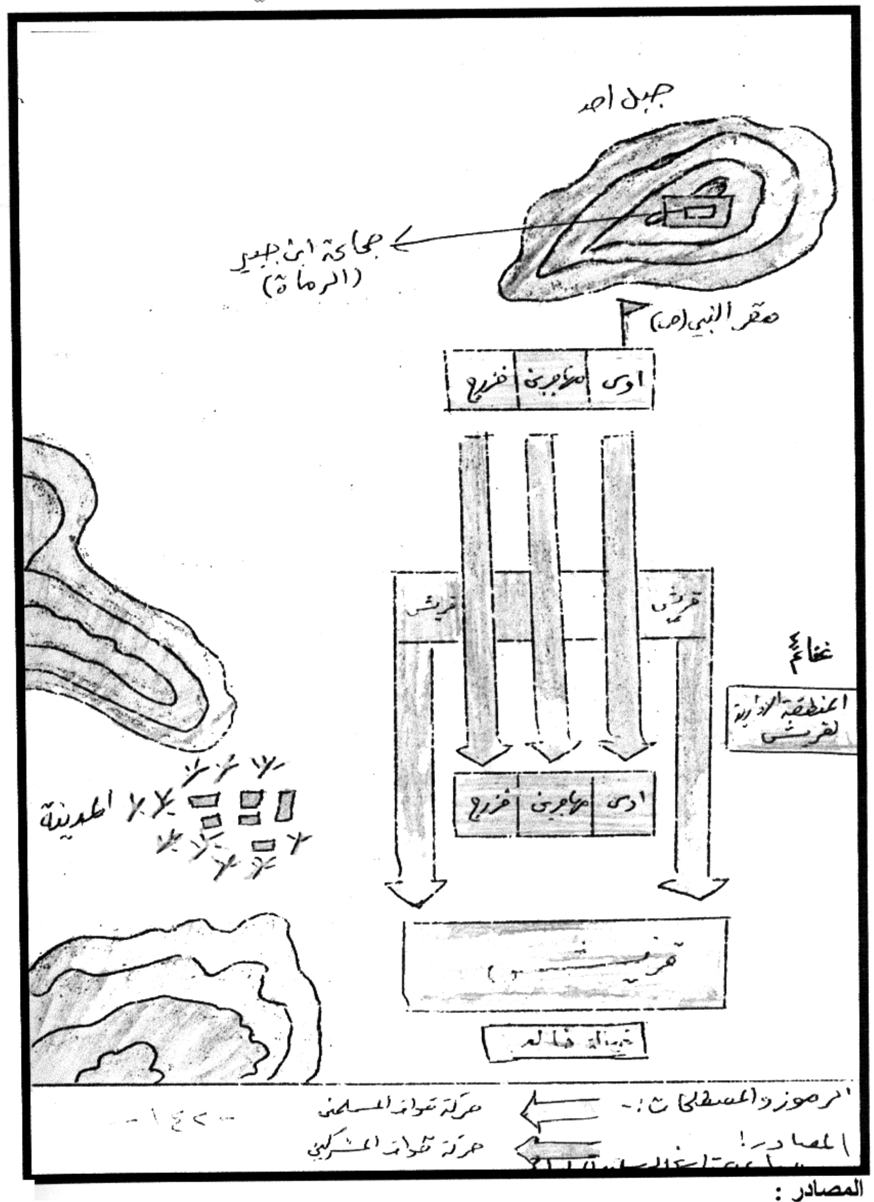


المصادر :

حسين مؤنس، اطلس تاريخ الاسلام خريطة ٤٥ ص٦٨.

معركة احد

الصفحة الأولى انتصار الجيش الإسلامي   الملحق (هـ)



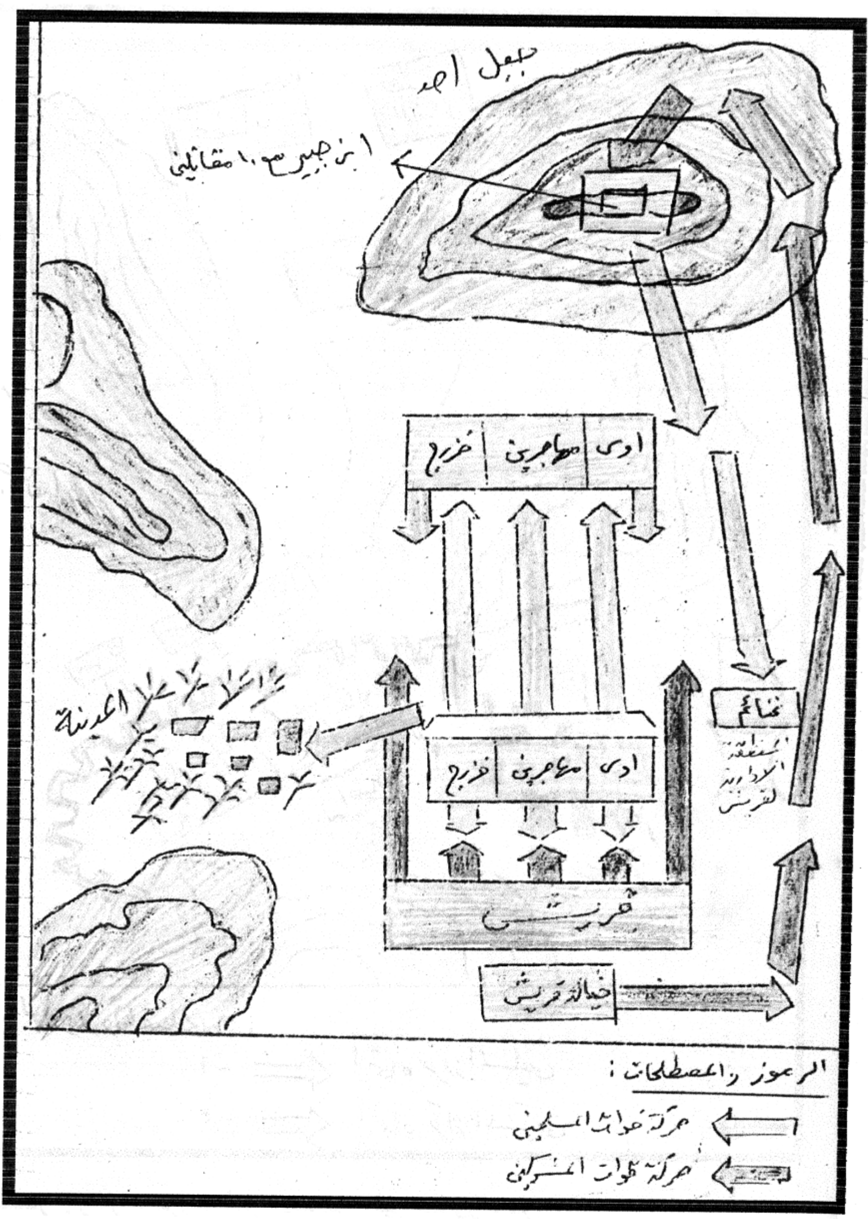
المصادر :

الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢/ ٥٠٠-٥٠١.

٢. الواقدي المغازي ، ج١/٣٠٢-٣٠٣

معركة احد

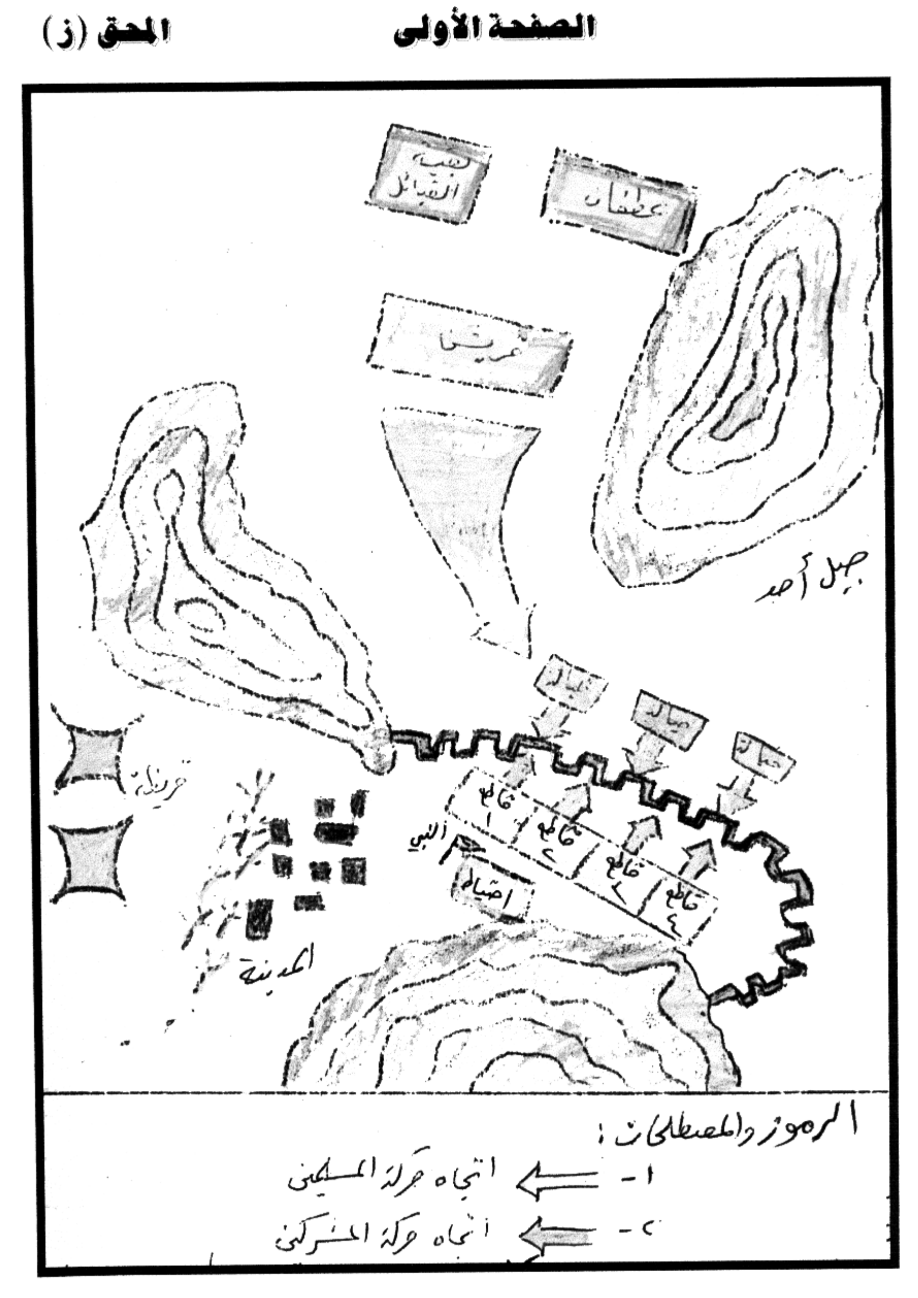
الصفحة الثانية – خسارة الجيش الإسلامي   الملحق (و)



المصادر : الواقدي المغازي ، ج١/٣٠٢-٣٠٣

معركة الخندق (الاحزاب)

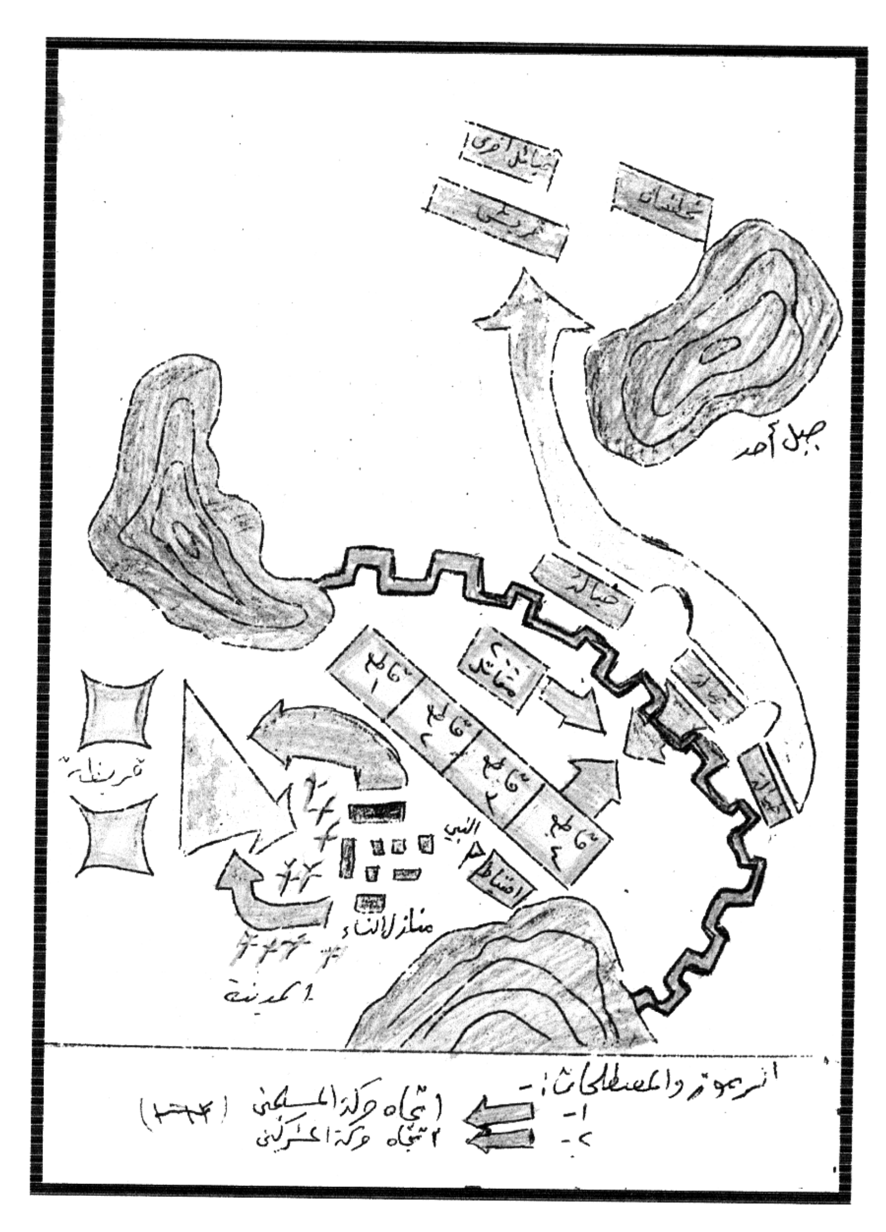
الصفحة الأولى **الملحق (ز)**



المصدر : رامز ، حروب فجر الإسلام ، غير منشور ، ص٧٣٠

معركة الخندق (الاحزاب)

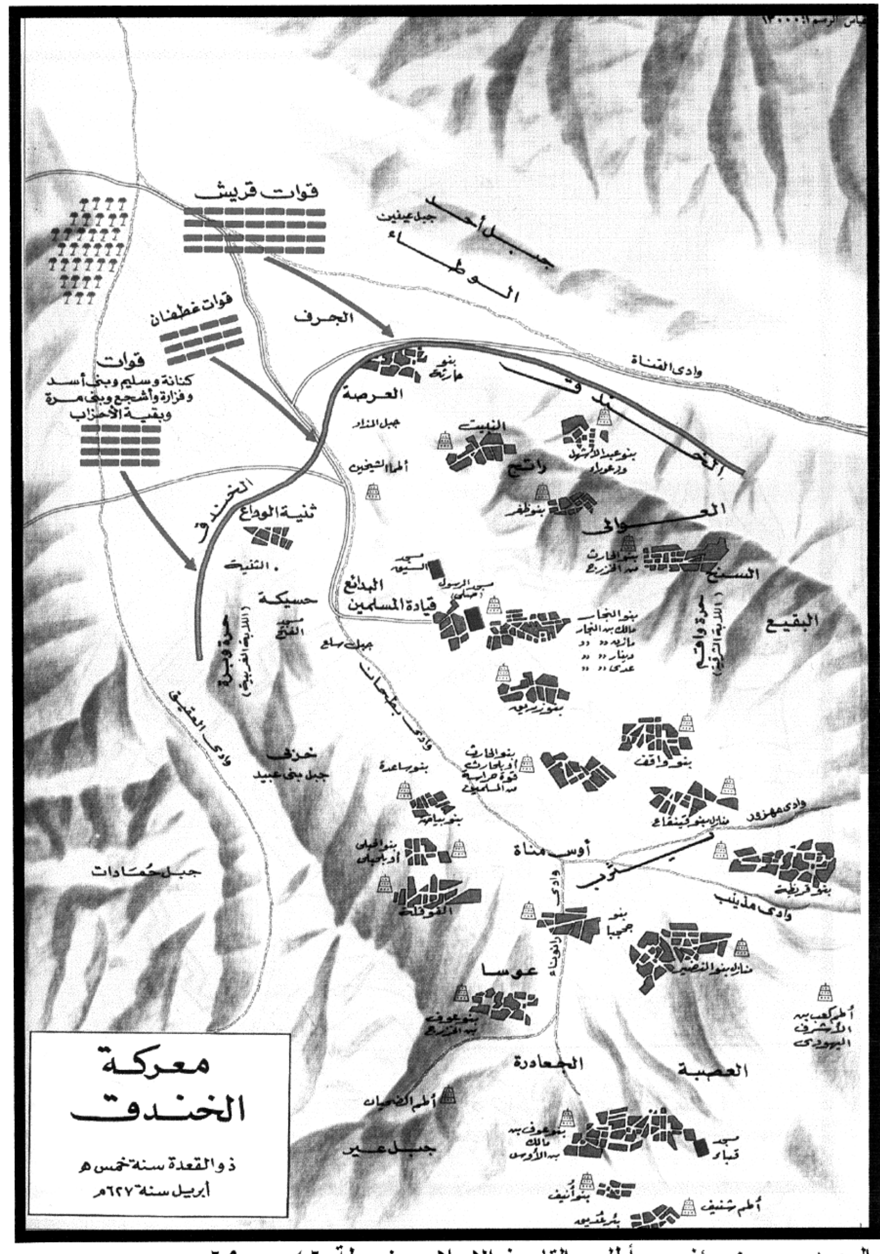
الصفحة الثانية **الملحق (ح)**



المصدر : رامز ، حروب فجر الإسلام ، غير منشور ، ص٧٣٠

معركة الخندق (الاحزاب)

الملحق (ح-١)



المصدر حسين مؤنس ، أطلس التاريخ الإسلامي خريطة ٤٦ ص ٦٩

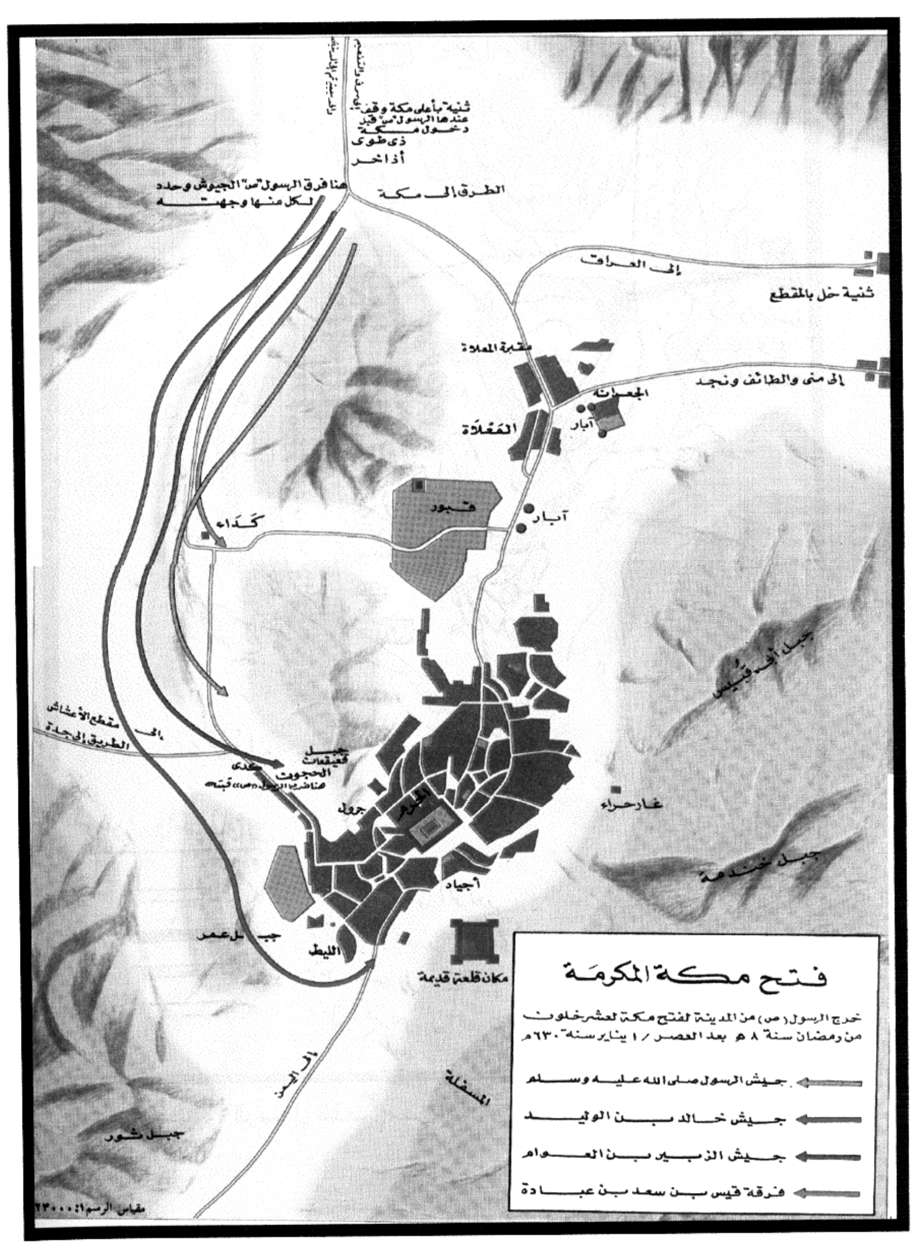
فتح مكة

الملحق (ط



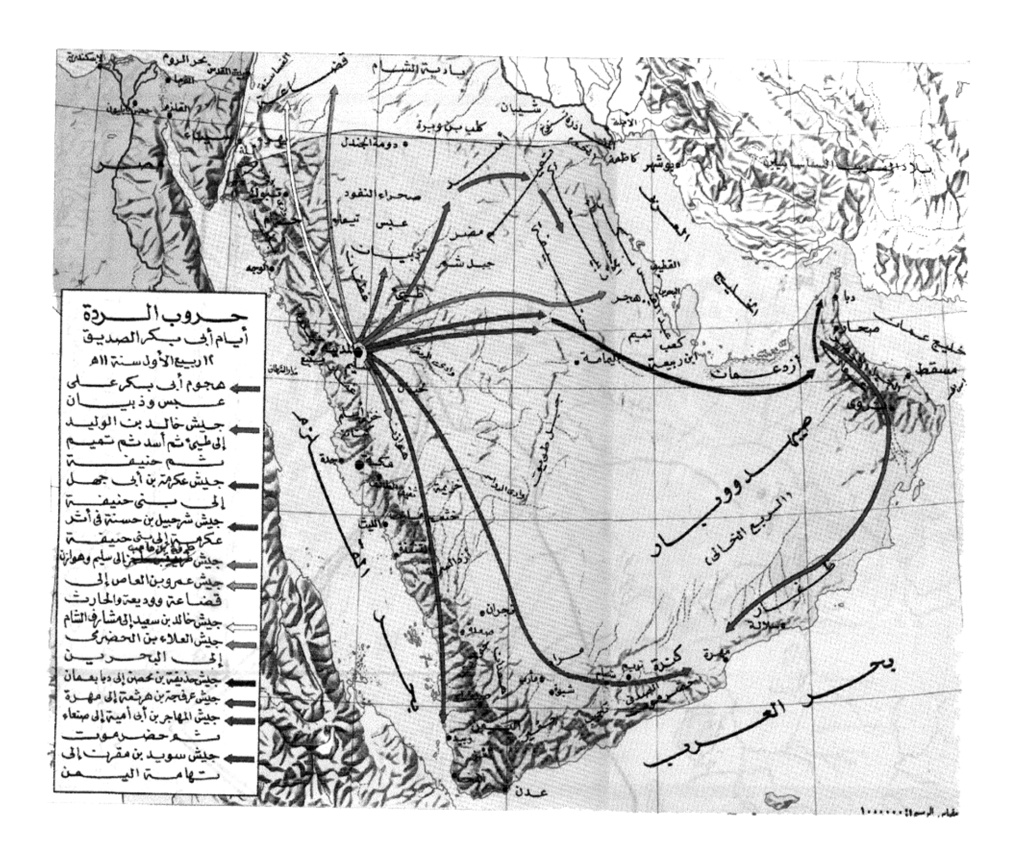
المصدر خطاب، الرسول القائد ، ص٣٤٣.

فتح مكة الملحق (ط-١)



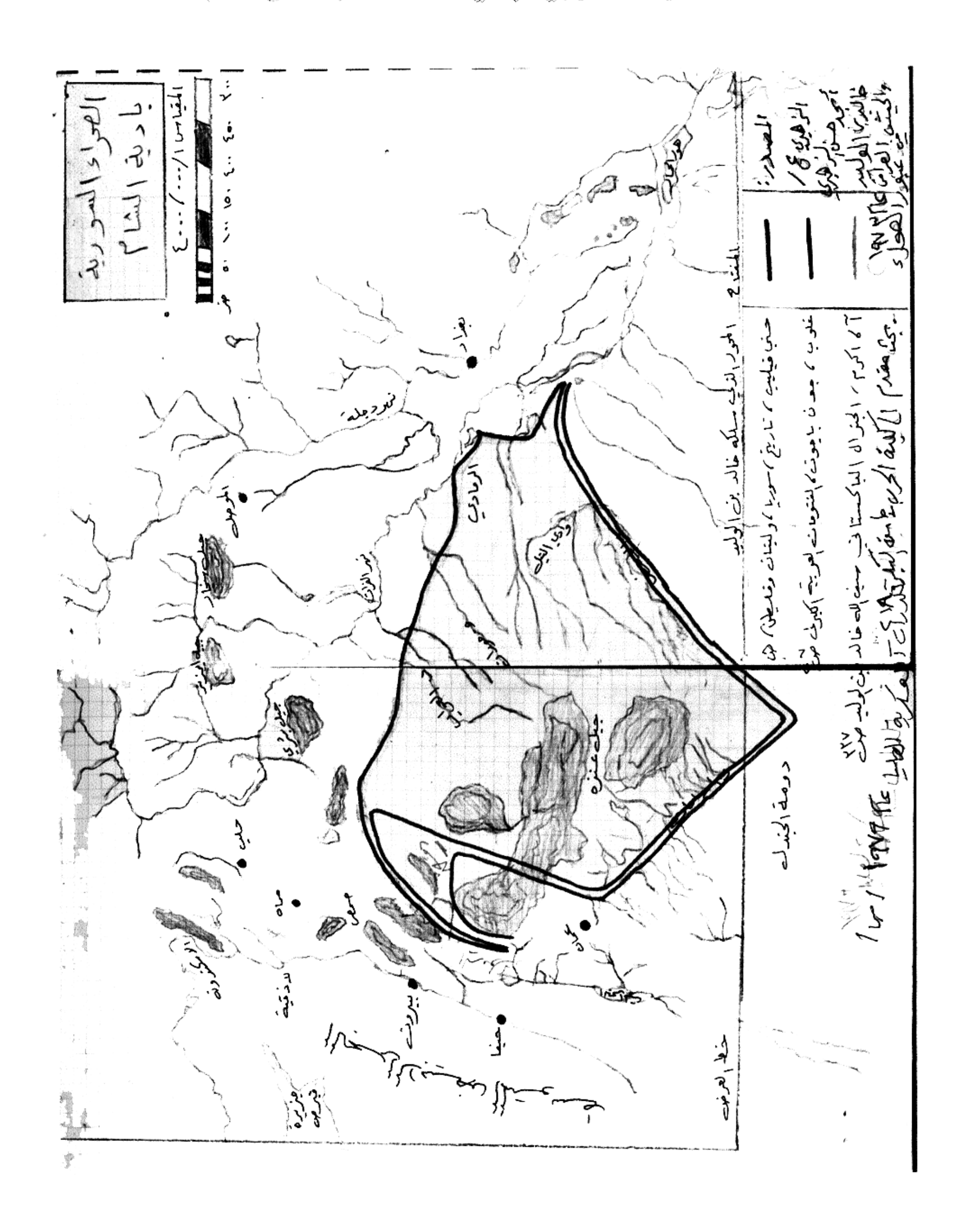
المصدر حسين مؤنس ، أطلس التاريخ الإسلامي ، خريطة ٤٨ ص ٧١

حروب الردة   الملحق (ي)



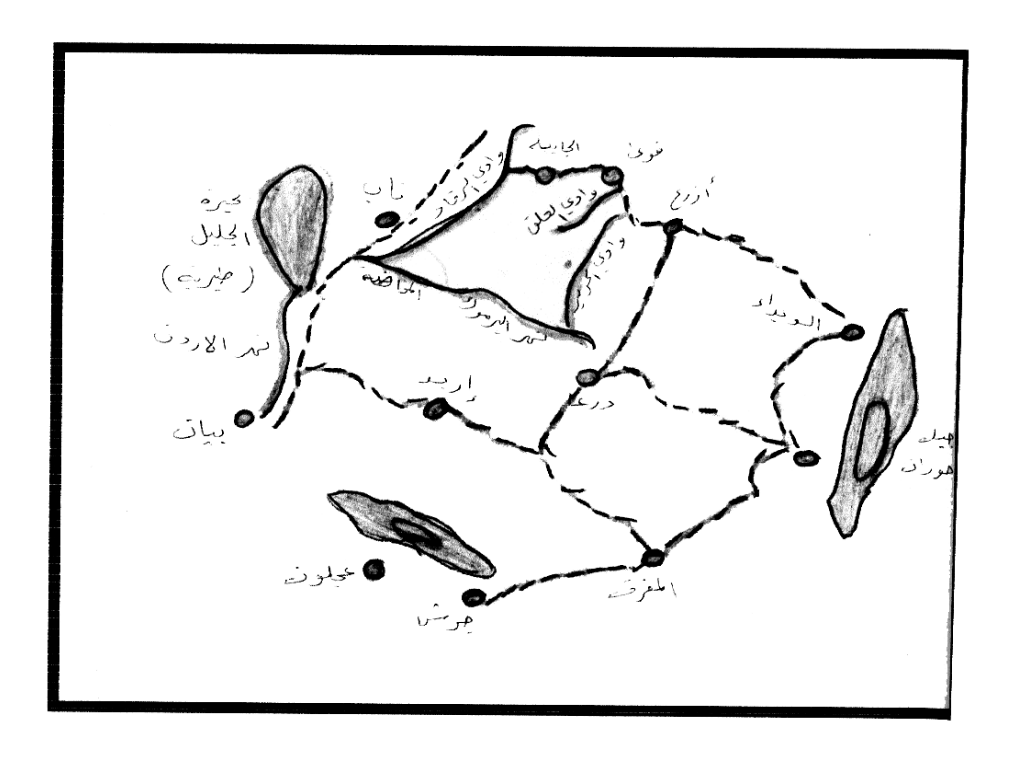
المصدر : حسين مؤنس ، اطلس العالم الاسلامي خارطة ٥٥ ص ٧٩

الصحراء السورية بادية الشام (الملحق - ك)



مخطط(١) يوضح ساحة المعركة في سهل اليرموك

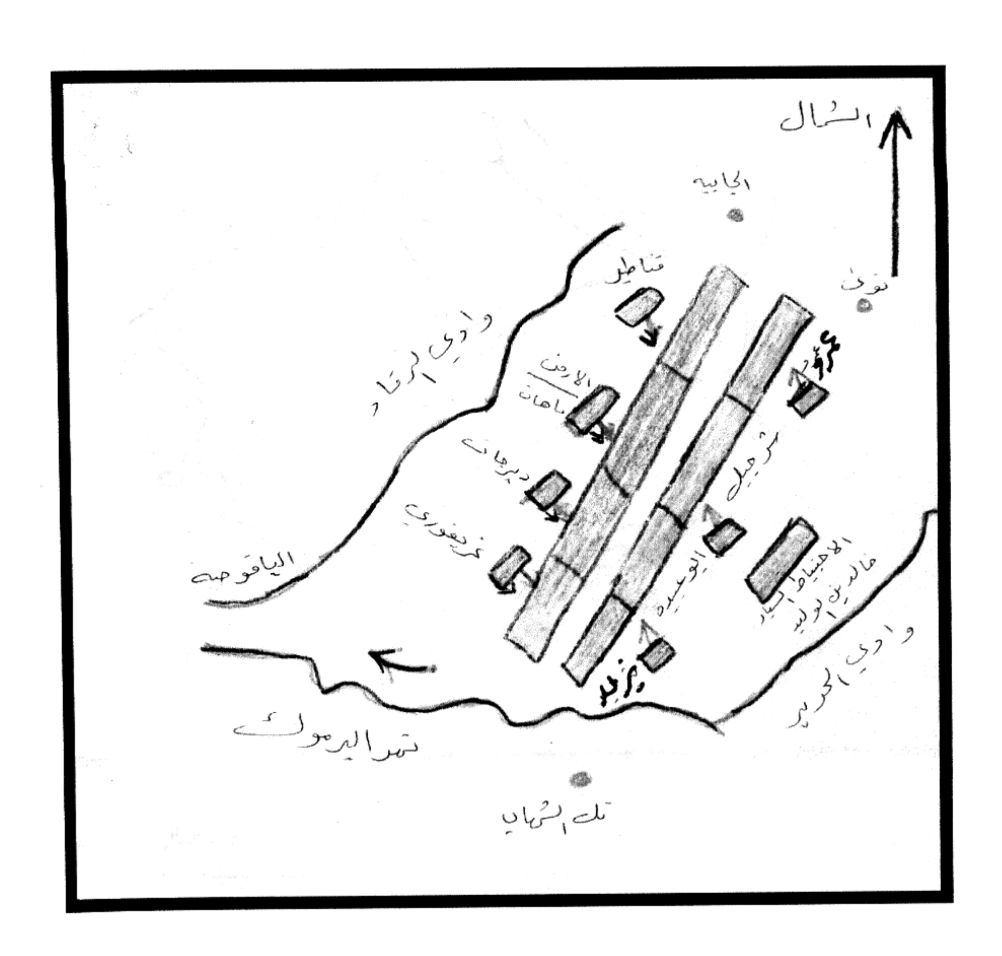
(المقياس ١ / ٥٠٠٠٠٠)   الملحق (ل)



المصادر : ١ـ البلاذري ، فتوح ص١١٨
٢ـ صالح مهدي عماش من ذيقار الى القادسية ص٩٦
٣ـ صبحي عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ص٥٧

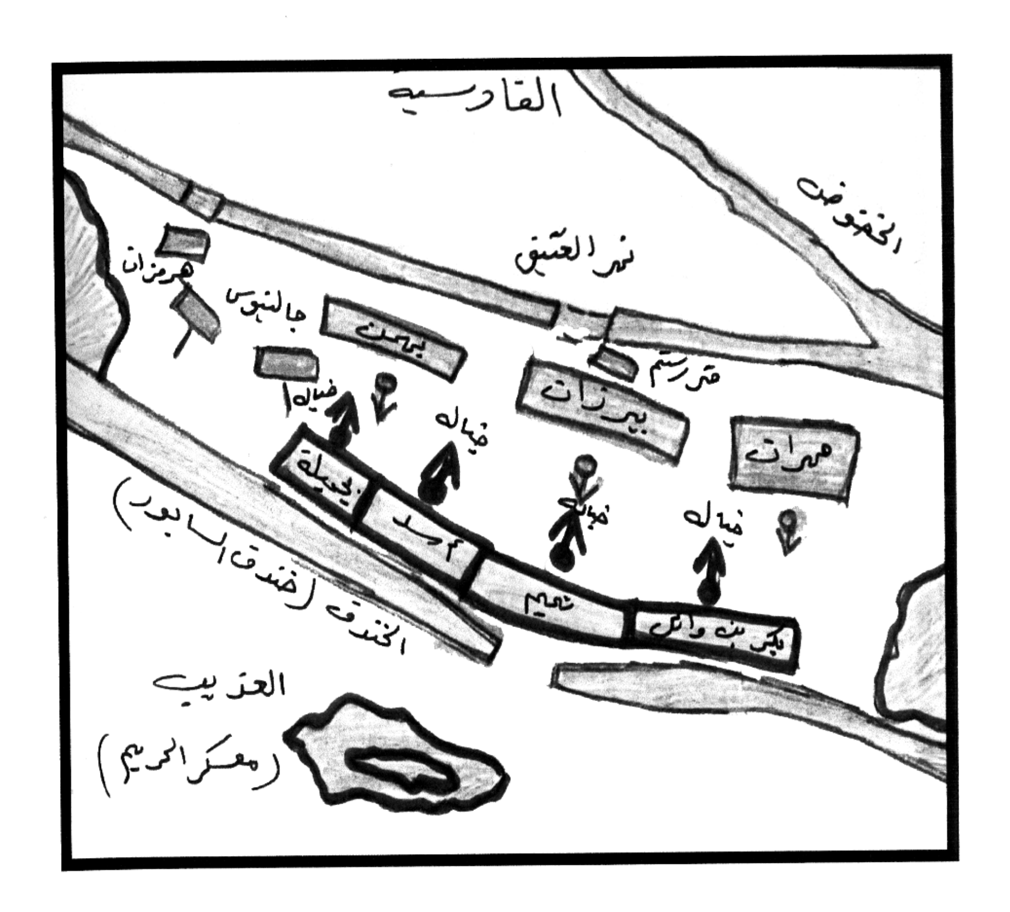
مخطط(٢) يوضح انفتاح قوات المسلمين وقوات الروم

في معركة اليرموك (المقياس ١ / ٢٠٠٠٠٠) الملحق (م)



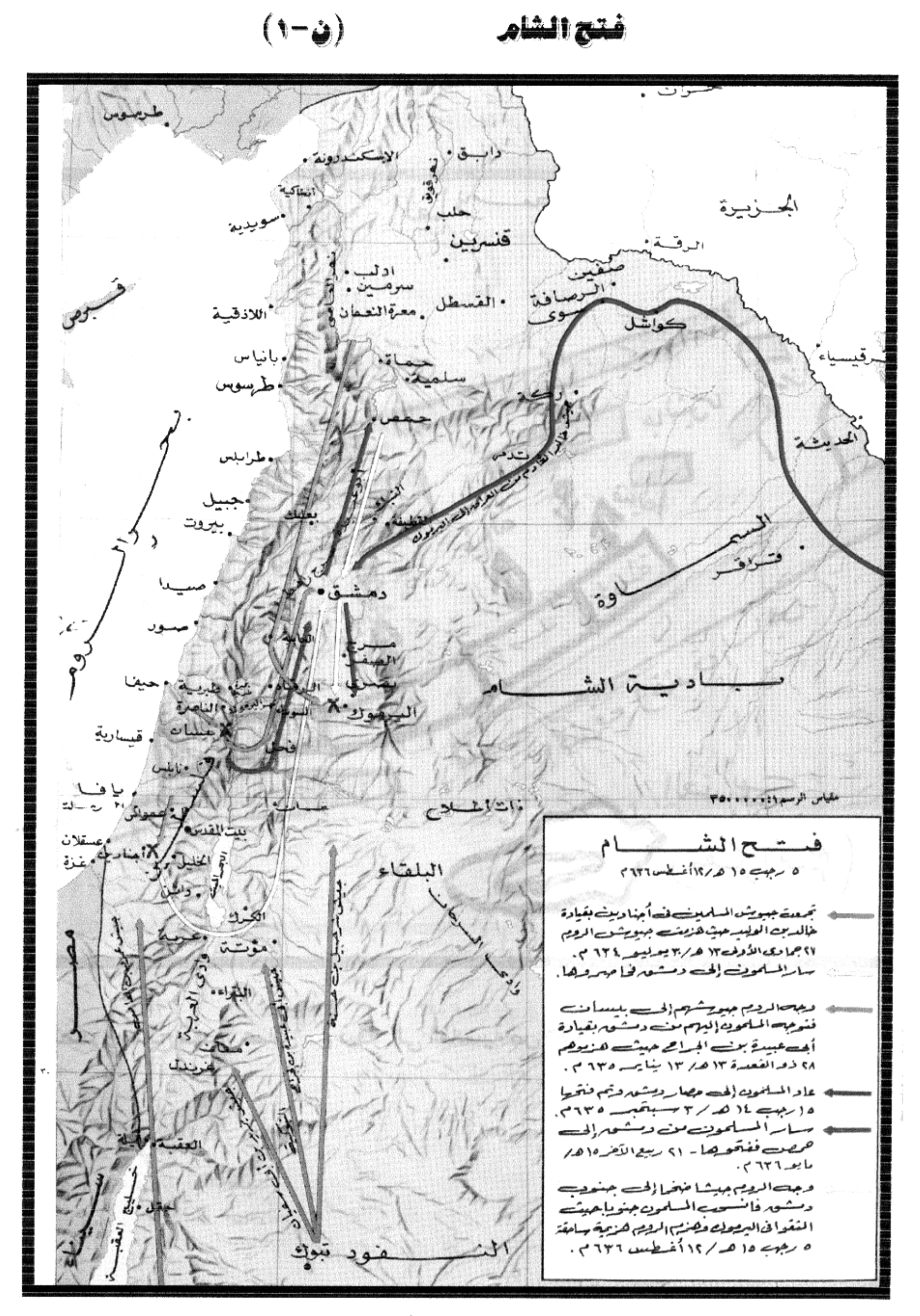
لمصادر : ١- ابن الاعثم الكوفي – الفتوح ج١٣١/١.
٢- صالح مهدي عماش من ذيقار الى القادسية ص٩٦
٣- صبحي عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ص٥٧

مواضع الجيشين العربي والفارسي في القادسية الملحق (ن)



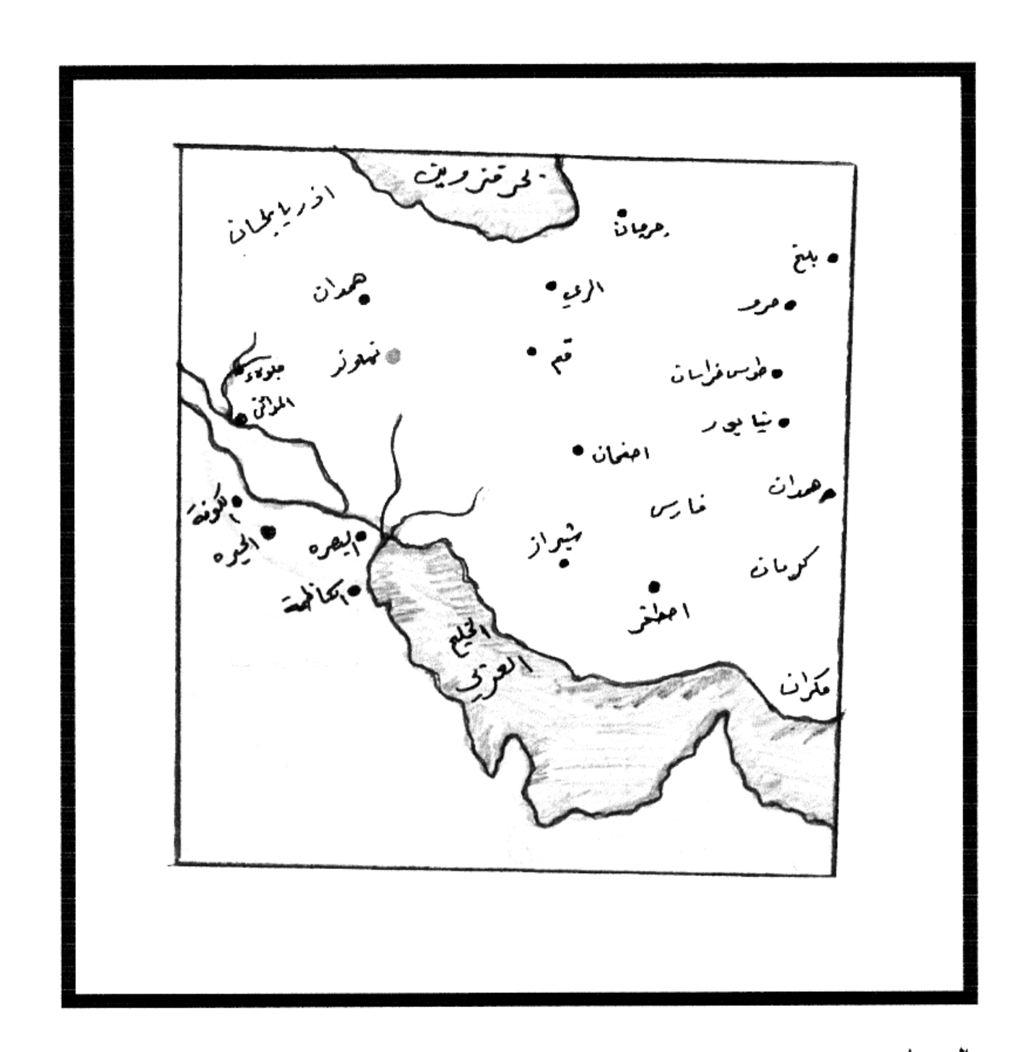
المصدر: صالح مهدي عماش من ذيقار الى القادسية ص١٧٦

فتح الشام (ن-١)



المصدر حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، خريطة ٥٩ ص ١١١

خارطة ايـــران الملحق (س)



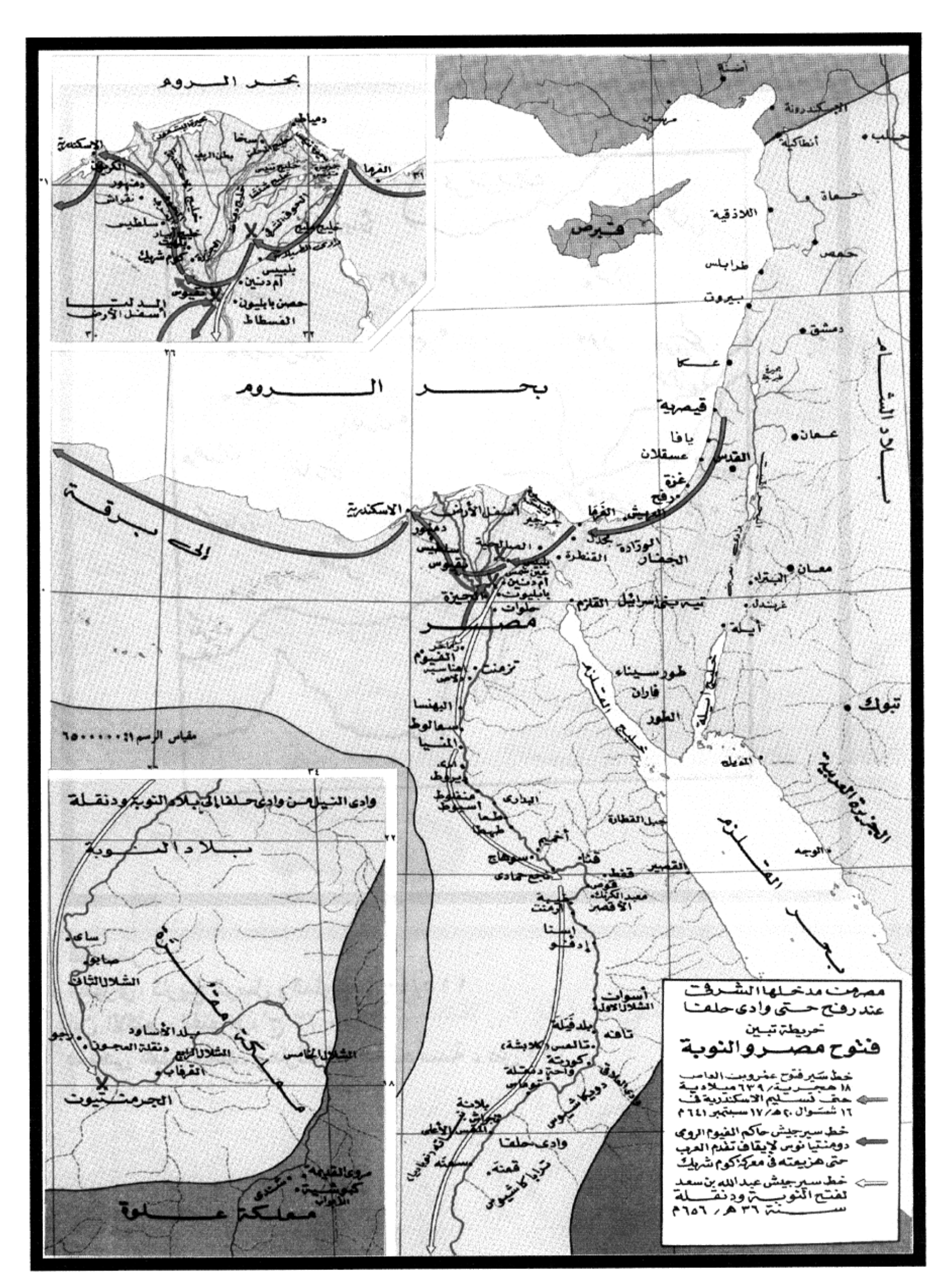
المصادر

الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤/١١٥

ابن الاكثم ، الفتوح ، ج ٣/ ٤٠

صبحي عبد الحميد، معارك العرب الحاسمة ، ص١١٣

الملحق (ع)   فتح مصر



المصدر : حسين مؤنس ، اطلس التاريخ الاسلامي ، خريطة ٦٥ ص ١١٩.

قائمة بالمصادر والمراجع

1. القران الكريم.
2. التوراة والإنجيل

- ابن الاثير. عز الدين أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم (ت630 هجري 1233م)

3. الكامل في التاريخ. دار صادر (بيروت، 1979م)
4. اللباب في تهذيب الانساب دار صادر (بيروت 1981م)

- الأزدي . ابو اسماعيل محمد بن عبد اللـه (ت231هـ – 845م) .

5. تاريخ فتوح الشام ، (القاهرة ، 1970).

- ابن اسحاق محمد بن يسار(ت151هجري 768م)

6. سيرة بن اسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق وتطبيق محمد حميد اللـه، تقديم محمد الفاسي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب (1396هجري 1976م)

- ابن أعثم. احمد بن أعثم الكوفي(ت314هجري 926م)

7. كتاب الفتوح الجزء الاول والثاني، مطبعة دائرة المعارف الهندية بحيدر اباد، ط1، (الدكن، 1968م).

- ابن ابي الحديد،عبد الحميد بن هبة اللـه(ت656هجري/1258م)

8. شرح نهج البلاغة.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار احياء الكتب العربية، عيسى الحلبي(بيروت 1967)

- أبن ابي أصيبعة ، موفق الدين، العباس أحمد بن القائم خليفة (ت668هـ)

9. عيون الانباء في طبقات الاطباء ، مطبعة الذهبية (القاهرة 1299هـ).

- ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم ، (ت 728هـ –1327م) .

10. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، (القاهرة ، 1951م) .

- ابن الجوزي . ابي فرج عبد الرحمن بن علي ، (ت597هـ 1200م) .

11. تاريخ عمر بن الخطاب ، الدار القومية للنشر ، (القاهرة ، لا. ت) .

12. صفوة الصفوة ، ج1 ، ط1، حيدر اباد ، (الدكن ، 1968م) .

- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت 773هـ ، 1374م)

13. الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيتي (القاهرة 1951م)

14. تهذيب التهذيب ، دار صادر ، (بيروت،1326هـ) .

- ابن حبيب، ابو جعفر محمد البغدادي ، (ت245هـ – 859م) .

15. المحبَّر، (حيدر اباد ، 1942م) .

16. المنمق في اخبار قريش ، (حيدر اباد ، 1964م) .

- ابن حنبل، احمد بن محمد ، (ت241هـ) .

17. المسند الكبير ، (القاهرة ، 1946م) .

- ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري، (ت456هـ – 1064م) .

18. جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف، (القاهرة، لات)

19. المفصل في العلل والأهواء والنحل، (القاهرة، 1271هـ) .

- ابن حيان، الامام الحافظ ابي حاتم، (ت354هـ) .

20. مشاهير علماء الامصار، عني بتصحيحه فلايشمير، دار الكتب العالمية، (بيروت، لا.ت).

- ابن خلدون، أبو زيدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هجري/1405م)

21. كتاب العبر بقية الجزء الثاني ، دار صادر ، (بيروت، 1972م)

22. مقدمة بن خلدون، دار القلم، (بيروت، 1978).

- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت681 هجري/1293م)

23. وفيات الاعيان وابناء الزمان،تحقيق د.احسان عباس م2 دار صادر (بيروت،1977).

- ابن الزبير ، عروة بن الزبير بن العوام ، (ت94هـ-712م) .

24. مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ابي الأسود الدؤلي: تحقيق محمد مصطفى، مكتب العربي، (الرياض، 1401هـ- 1981م) .

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت230هـ-844م) .

25. الطبقات الكبرى ، ط1 ، دار صادر ، (بيروت ، 1968م) .

- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى(ت230هجري/844م)

26. عيون الاثير في فنون المغازي والتماثيل والسير،تحليل لجنة احياء التراث العربي ط2 (بيروت، 1980م).

- أبن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد اللـه، (ت257هـ871م).

27. فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريد (ليدن 1920م) .

- ابن العربي، محي الدين ابي عبد اللـه الحاتمي الطائي، (628هـ ، 1230م) .

28. رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق الدكتور : صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديدة، (بيروت 1392هـ/1972م) .

29. الوصايا، دار الجبل، (بيروت ، 1988م).

- ابن عساكر، علي بن حسن، (ت 571هـ / 1175م) .

30. تهذيب تاريخ ابن عساكر ، او التاريخ الكبير ، (دمشق ، 1329هـ) .

- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين احمد الاندلسي(ت228 هجري/940م)

31. العقد الفريد، تحقيق احمد امين واحمد زني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة 1384 هجري/1965م)

- ابن العماد الحنبلي ، (ت 907هـ /1404م)

32. شذرات الذهب، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت لات) .

- ابن عمرو الهاشمي البغدادي (ت245هـ).

33. المحبّر، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، الهند (حيدر اباد ، 1363هـ).

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد اللـه بن مسلم (ت276 هجري/889م)

34. عيون الاخبار.ط1، مطبعة دار الكتب (القاهرة، 1963).

- ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ اسماعيل(ت774 هجري/1372م).

35. البداية والنهاية، تحقيق ومراجعة محمد عبد العزيز النجار، مكتبة الفلاح (الرياض لا.ت)

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هجري/1311م)

36. لسان العرب، دار صادر (بيروت 1968)

- ابن هشام.أبو محمد عبد الملك الحميدي(ت213هجري/828م)

37. السيرة النبوية. او سيرة ابن هشام، قدم وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف دار الجبل (بيروت لا. ت).

- ابو بكر الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبد اللـه بن منجح الزبيدي الاندلس، (ت379هـ)

38. طبقات النحويين واللغويين تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة 1984).

- ابو بكر الزبيدي، (ت708هـ /1308م)

39. طبقات النحويين، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت 1405م) .

- ابو يوسف القاضي ، يعقوب بن ابراهيم ، توفي (182هـ) .

40. الخراج، (القاهرة ، 1952) .

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ ، 892م) .

41. فتوح البلدان ، منشورات مكتبة لبنان (بيروت ،1983م) .

- البخاري، ابو عبد اللـه محمد بن اسماعيل (ت 256هـ).

42. صحيح البخاري، الجامع الصحيح، (بيروت، لا . ت).

- الثعالبي. ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل، (429هـ-1028م)

43. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، 1965م).

44. تحفة الوزراء، تحقيق ودراسة: د. سعد ابو دية، جامعة اليرموك، دار البشير، ط1، (عمان، 1994م) .

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت255هجري/868م)

45. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخامجي (القاهرة، 1405هـ ، 1985م).

46. كتاب الحيوان في سبعة اجزاء،نشر المجمع العربي. بيروت (1949-1950)ج195/3.

- الحلبي، علي بن برهان الدين (ت1044 هجري/1634م)

47. انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الازهرية بمصر، (القاهرة، 1351هـ/1932م).

- الحموي. أبو عبد اللـه ياقوت الحموي بن عبد اللـه (ت626 هـ /1228م)

48. معجم البلدان، دار صادر (بيروت،1373 هجري/1955 م)

- الحميري، عبد المنعم السبتي، (ت900هـ/1507م) .

49. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، احسان عباس، (بيروت، 1395هـ/ 1975م).

- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت463هـ / 1070م) .

50. تاريخ بغداد او مدينة السلام، (بيروت ، لا. ت) .

- الذهبي، شمس الدين احمد بن عثمان، (ت 748هـ /1347م) .

51. تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام، (القاهرة ، 1368هـ) .

- الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر، (ت 666هـ/1268م) .

52. مختار الصحاح، (بيروت 1980).

- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسني، (ت1189هـ) .

53. تاج العروس من جواهر القاموس، في ثمانية وعشرين جزءاً، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، (القاهرة ،1311هـ) .

- الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، (ت124هـ ، -741م)

54. المغازي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (دمشق، 1401هـ/1981م).

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت 911هـ) .

55. تاريخ الخلفاء وامراء المؤمنين القائمين بأمر الامة ، (القاهرة ، 1952م) .

- الصفدي، خليل أبيك (ت 764هـ) .

56. الوافي بالوفيات باعتناء: محمد الحجري، دار النشر فرانز شتايتر (فيسبادن 1984م) . .

- الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير (ت310 هجري/922 م)

57. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (القاهرة.لا.ت)

- عبد القادر عمر البغدادي، (ت1093هـ) .

58. خزانة الادب ولباب لسان العرب (القاهرة 1299هـ) .

- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت817هـ /1414م).

59. القاموس المحيط، القاهرة، 1913.

- القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، (ت671هـ /1283م) .

60. الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، 1937م) .

- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م)

61. صبح الاعشى في صناعة الانشا، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت 1407 هجري/1987م)

- الماوردي.أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450 هجري/1058م)

62. نصيحة الملوك، تحقيق الدكتور، محمد جاسم الحديثي، دار الحرية (بغداد، 1986).

- المسعودي.أبو الحسن علي بن الحسن بن علي(ت346هجري957م)

63. مروج الذهب ومعادن الجوهر ج2 دار الاندلس للطباعة والنشر ط2 بيروت 1393 هجري/1973م) .

- المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المقدسي، البشاري، (ت375هـ ، 985م).

64. احسن التقاسيم في ذكر الاقاليم، (ليدن، 1906م) .

- المقريزي، تقي الدين ابو العباس، ابن علي، (ت 845هـ) .

65. النزاع والتخاصم، في ما بين امية وبني هاشم، (ليدن، 1888) .

- الانصاري، عمر بن ابراهيم الاوسي، (ت814هـ /1411م) .

66. تفريج الكروب في تدبير الحروب، (القاهرة، 1961) .

- الهرثمي، أبو سعيد الشعراني (ت234 هجري/848م)

67. مختصر سياسة الحروب.تحقيق عبد الـؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، مطبعة مصر (القاهرة 1960)

- الواقدي. محمد بن عمر بن واقد (ت207هجري/822م)

68. فتوح الشام، دار الجيل للنشر والتوزيع (بيروت لا.ت)

69. المغازي: تحقيق مارسدن جونس عالم الكتب، مطابع دار المعارف (القاهرة(1965)

- اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت284هجري/897م)

70. تاريخ اليعقوبي، قدمه محمد صادق، مطبعة الحيدرية (النجف 1964م)

المراجع الحديثة:

- احمد سوسة ، الدكتور .

71. العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر، (بيروت بلا ت)

- احمد عادل كمال .

72. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ، (بيروت، 1981م) .

73. الطريق الى دمشق، (بيروت، 1983م) .

74. القادسية، (بيروت، 1986م) .

- احمد الشامي، الدكتور .

75. الخلفاء الراشدون، (بيروت، 1983م)

- اسامة ناصر النقشبندي،ظمياء محمد عباس

76. مخطوطات التاريخ والتراجم والسير، المؤسسة العامة للآثار والتراث (بغداد 1982)

- احمد داود سليمان

77. نظريات الاستراتجية الحديثة، دار الحرية للطباعة ط1 لا.م 1988 احمد هانئ

78. الجاسوسية بين الوقاية والعلاج (القاهرة 1974م)

- أرسلان شكيب

79. الحلل السندسية.ج1(بيروت.لا.ت)

80. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسنية، سلسلة استراتجية الفتوح الإسلامية الرقم (3)، دار النفائس، ط2 بيروت 1981

- اغا إبراهيم اكرم

81. خالد بن الوليد، ترجمة: اسماعيل كشميري، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية. لجنة. التعريف بالإسلام، مطابع الاهرام التجارية جمهورية مصر العربية 1974

- اكرم ديري

82. اراء في الحرب، الاستراتجية وطريقة القيادة، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت 1972

- بسام العسلي

83. خالد بن الوليد، دار النفائس ط3، بيروت 1980

- الجبوري، نهاد عباس

84. العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1408 هجري 1987م)

- جورج رو

85. العراق القديم، ترجمة وتعليق حسن علوان حسين، وزارة الثقافة والأعلام. الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة بغداد 1984

- جرجي زيدان

86. تاريخ التمدن الاسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة م1 ط2 (بيروت بلا.ت)

- حسن غريب

87. الردة في الاسلام، دار الكنوز الادبية ط1 (بيروت 1999م).

- حنا خباز

88. المعارك الفاصلة في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت (لا.ت)

- حادث لطفي الوفي

89. المخادعة العسكرية، دائرة التدريب، مديرية التطوير القتالي، ط1 لا.م، اذار 1986

- حسن إبراهيم

90. تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ج1، مكتبة النهضة المصرية ط7 (القاهرة 1964)

- السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي

91. تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط، البحرية الإسلامية في مصر والشام، ج1، موسعة شباش الجامعة. الاسكندرية (لا.ت)

- خطاب،اللواء الركن محمود شيت

92. الرسول القائد، دار الفكر، ط5 (بيروت 1974 م)

93. جيش الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ط1، مطبعة النهضة (بغداد 1988)

94. دروس في الكتمان من الرسول القائد (بغداد لا.ت)

- رامز.لواء ركن متقاعد شاكر محمود

95. القادسية، حروب فجر الاسلام، مديرية المطابع العسكرية ط1(بغداد 1404 هجري 1984م)

96. نهاوند، حروب فجر الاسلام، دائرة التدريب، مديرة التطور القتالي ط1(بغداد 1985.

- السامرئي عبد الجبار محمود

97. العرب وجمع المعلومات عن العدو، مجلة الهدهد العد الثاني(بغداد 1983)

- سيف الدين سعيد ال يحيى(العميد الركن المتقاعد)

98. الحركات العسكرية للرسول الاعظم صلى اللـه عليه وسلم في كفتي الميزان م1 قام 2، الدار العربية للموسوعات ط1 (بيروت-لبنان 1983)

- صالح احمد العلي(الدكتور)

99. الدولة في عهد الرسول م2 مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد 1409 هجري 1988 م)

100. العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة (بغداد 1403 هجري 1983م)

- صالح مهدي عماش

101. من ذي قار إلى القادسية. وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية ط2 (بغداد 1393 هجري 1973 م)

- صبحي عبد الحميد

102. معارك العرب الحاسمة، الدار العربية للموسوعات، ط 3 (بيروت-لبنان 1986)

- حسن تزو

103. فن الحرب، تقديم ليدل هارت، تعريب محمود حداد، دار القدس ط1 (لبنان.بيروت 1975)

- عباس محمود العقاد

104. عبقرية عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-بغداد،بلا.ت)
105. عبقرية الامام علي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
106. عبقرية خالد، دار الهلال (القاهرة،بلات)

- عبدالـلـه مدحت العمري واخرون

107. الجيش العربي في صـدر الدولـة العباسـية، هيئـة المجلـة العـسكرية مطبعـة الجـيش العراقي (بغداد 1963)

- عبد الرؤوف عون

108. الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف (القاهرة 1961م)

- علي الوردي

109. الطبيعة البشرية، دار كوفان (لندن 1416 هجري 1996م)
110. مهزلة العقل البشري، همرسث (لندن 1996م)
111. لمحات من اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الارشاد (بغداد 1969)

- فاروق عمر فوزي

112. نظام الاستخبارات العسكرية الجيش السلاح، ج4 (بغداد 1987م)
113. الامن في الدولة العربية والإسلامية، مجلة افاق عربية العدد 47 (بغداد 1983)
114. تاريخ العراق في عصور الخلافة الإسلامية (656 هجري/1258م)

- علاء فاهم كامل

115. مبادئ الحرب، تطبيق مبادئ الحرب في المعارك عبر التاريخ، دائرة التدريب، مديريـة التطوير القتـالي، سلـسلة الثقافـة العـسكرية العامـة الـرقم (164)، مديريـة المطـابع العسكرية ط(بغداد 1993).

- غوستاف لوبون

116. حضارة العرب، تر، عادل زعيتر-مطبعة دار احياء الكتب العربية. ط2 (الا.م1948م)

- فرج محمد فرج

117. المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي ط2 (القاهرة 1969 م)

- محمد فرج

118. الاستراتجية العسكرية.الاسلامية، النظرية والتطبيق منشورات المكتبة العصرية (بيروت 1395 هجري 1975 م)

- محمد علي الصابوني

119. صفوة التفاسير، م1، م2، م3، دار القلم (بيروت-لبنان 1406 هجري 1986 م)

- محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم

120. ايام العرب في الجاهلية، دار احياء التراث العربي (بيروت لبنان 1961)

- محمد عمارة

121. معارك العرب ضد الغزاة (1187-1807م) المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت 1975م)

- محمد اسماعيل إبراهيم

122. الجهاد ركن الاسلام السادس ط1، دار الفكر العربي دار العهد الجديد للطباعة (القاهرة 1974)

- محمد جمال الدين محفوظ

123. المدخل إلى العقيدة والاستراتجية العسكرية الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1976)

- ماوتسي تونج

124. حرب العصابات، تعبويتها الاساسية وعملياتها.دراسة لم تنشر بالعربية من قبل.تر/ناجي علوش. دار الطليعة للطباعة والنشر ط2 (بيروت،1968)

- محمد فتحي امين

125. قاموس المصطلحات العسكرية ط2 (بغداد 1988)

- محمود الدرة

126. معارك العرب الكبرى، حروب محمد صلى الله عليه وسلم - حروب الردة تحرير العراق، منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكتاب العربي (بيروت لا.ت)

- مونتغمري

127. الحرب عبر التاريخ، تعريب فتحي النمر-مكتبة الانكلو مصرية (القاهرة 1971)

- محمد حسين هيكل

128. حياة محمد (بيروت 1935)

129. الصديق أبو بكر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1383 هجري 1964 م)

- حسين مؤنس

130. معالم تاريخ المغرب العربي والأندلس (القاهرة 1401هـ/1980م)

- نصر صلاح

131. الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، الوطن العربي للنشر والتوزيع، ط1، (القاهرة 1966م).

132. الحرب الخفية ، فلسفة الجاسوسية ومقاومتها، الوطن العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1980م) .

133. حرب العقل والمعرفة، الوطن العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1975) .

- نزار عبد اللطيف الحديثي

134. الامة والدولة في سياسة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين .

- نخبة من العسكريين

135. ترجمة اسرار عسكرية، الدار العربية للموسوعات، ط1، (بيروت 1986م).

- نخبة من اساتذة التاريخ.

136. الجيش والسلاح، الاجزاء 1 و 5 ، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1988م) .

- نخبة من المؤلفين

137. تاريخ القوات المسلحة العراقية، ج1، ط1، (بغداد، 1980).

138. الموسوعة العسكرية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ط1، (بيروت 1977م)

- نعمان ثابت

139. الجندية في الدولة العباسية، مطبعة اسعد، ط2، (بغداد، 1956م)

- ويلز

140. موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1967م) .

- الهرفي

141. المخابرات في الدولة الإسلامية. معهد الدراسات الامنية دار النشر بالمركز (الرياض 1408هجري)

- ول ديورانت

142. قصة الحضارة ج2، عصر الايمان. تر، محمد بدران، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطابع الرجوي، ط3 (القاهرة 1974)

- ياسين سويد

143. معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر مطابع الحرية (بيروت 1973م)

- يوسف خلف عبدالله

144. الجيش والسلاح في العصر الاشوري الحديث، 911-612 قبل الميلاد، رسالة ماجستير، الدار العربية للطباعة، ط1، (بغداد، 1977م)

الكراسات العسكرية

145. كراسة العمليات البرية، الرقم (351)، العمليات غير النووية ج2 تعبية جحفل المعركة، المطابع العسكرية (بغداد 1984م)
146. السوق في ظؤ التجربة الفيتنامية ترجمة: كنعان خورشيد سلسلة الثقافة العسكرية الرقم (60) مديرية المطابع العسكرية ط(بغداد 1984م)
147. المخادعة السوقية ترجمة: امجد حسن الزهري، سلسلة الثقافة العسكرية (لا.ملا.ت)
148. كراسة المدخل في السوق والجغرافية العسكرية، مطبعة الجيش (بغداد 1955)
149. الحروب الجبلية، الكراسة الرقم (220)م1، فن الحرب، المطابع العسكرية ط1 (بغداد 1987)
150. التاريخ العسكري، اسفار بعض القادة العظام، كتاب رسمي (الإسكندر الكبير، هانيبال، جنكيز خان، خالد بن الوليد، نابليون)، مطبعة الجيش (بغداد،بلات)
151. كراسة الاستخبارات الاساسية والسوقية، مدرسة الاستخبارات العسكرية (بغداد، 1985م)
152. كراسة التدريب للحرب الرقم (151) (بغداد 1990)
153. محاضرات مكية الاركان العراقية، محاضرة الاستخبارات (بغداد 1994م)
154. تاريخ القوات المسلحة العراقية، ج1ط1 (بغداد 1980)
155. الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 (بيروت،1977م)
157. الامن العسكري ومكافحة الاستخبارات. كراسة رسمية الرقم (108) ط2، مديرية التطوير القتالي (بغداد 1992م)
158. فيصل المشاة في المعركة. كراسة رسمية الرقم (129) مديرية المشاة (بغداد-1995م)

159. الامن الداخلي،كراسة رسمية الـرقم (196) ط1 مـديرة التـدريب العـسكري، مطبعـة الجيش (بغداد 1967)

160. واجبات الاركان في الميدان كراسة رسـمية الـرقم (556) مـديرة التطـوير القتـالي ط2، (بغداد 1985م)

161. المعجم العسكري-انكليزي-عربي-مطبعة الجيش العراقي (بغداد بلات)

- Richard wilmer rowan and robert g.deandorfer.
  162. secret service, 33 centuries of espionage, (London 1967)

- Allen Dulles
  163. the secret surrender, 5 winsley (London,W.1,1966)

- sir kenneth strong,magor general .
  164. men of intelligence, aginiger book and cassell (London,1970)

- Constantine Fitz gibbon:
  165.secret intelligence in the twentieth century (London,1976)

- Myon. j. smith.
  166. the secret wars 1945-1980, (Oxford ,England, 1980)
  167. Encyclopedia , the world Book Chicago , USA. 1982, 22 volumes.

- Michael hart
  168. the 100 Ranking of the most influnential Person in History (Newyork, 1978)
  167. Brief guide to intelligence principles and practice-issued by British School of Service in intelligence (Camberly England 1982)

- Williasn Shale Speare
  169. Macbath, Long Mans (London 1967)

ARAB LEAGUE

General Secretariat of Union of Arabic Historians

Institute of Arabic History and Scientific Heritage

For Higher Studies

فهرس

الباب الثالث

التطبيقات العملية للاستطلاع في العهد النبوي و العهد الراشدي

الإستطلاع ودوره في التاريخ العربي الإسلامي لغاية 23 هـ - 645 م

(دراسة تاريخية)

تقديم
أ.د. حسين أمين
شيخ المؤرخين العرب

تأليف
د. خالد محمد عباس الجبوري
(فريق ركن)

الأكاديميون للنشر والتوزيع
Academic For Publishing & Distributing Co.

الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E-mail:academpub@yahoo.com



تصميم: نائل هوجلي
0797212693